جامعـــة اليرمـــوك
كــليــــــة الآداب
قســم اللغة العربية



التحليل اللساني والتداولي للأمثال في العربية

The Linguistic and Pragmatic Analysis of Proverbs in Arabic

إعداد

صدام هايل حسن مقدادي

إشراف

الأستاذ الدكتور سمير شريف استيتية

حقل التخصص: لغة ونحو

2013

التحليل اللساني والتداولي للأمثال في العربية

إعداد

صدام هايل حسن مقدادي

بكالوريوس اللغة العربية، جامعة اليرموك، ٢٠٠٣

ماجستير اللغة العربية/ لغة ونحو، جامعة اليرموك، ٢٠٠٨

قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في اللغة العربية، جامعة اليرموك، إربد، الأردن

وافق عليها

أ.د. سمير شريف استيتية..مشرفًا ورئيسًا

أستاذ في اللغة العربية، جامعة اليرموك

أ.د. قاسم محمد المومني ....عضـــــوًا

أستاذ في اللغة العربية، جامعة اليرموك

أ.د. رسلان أحمد بني ياسين ....عضـــــوًا

أستاذ في اللغة العربية، جامعة اليرموك

أ.د. فواز محمد عبد الحق..عضـــــوًا

أستاذ في اللغة الإنجليزية وآدابها، جامعة اليرموك

أ.د. عبد الكريم مجاهد المرداوي ....عضـــــوًا

أستاذ في اللغة العربية، الجامعة الهاشمية

تاريخ مناقشة الأطروحة

٢٨/ ٤/ ٢٠١٣

الإهداء

إلى من فرشت أهدابها تعبًا كي تخلق الراحة لي

إلى من كانت تراني بعيون قلبها لتلمح الفرح في عيني

إلى من أتعبها تعبي وأثلج صدرها فرحي

أمي

إلى من أراه يكبر مع كلماتي يومًا فيومًا

فيرسم لي طريق النجاح بكلماته العابرة وبروحه الوثابة

أبي

إلى أشقاء الفكر والحس...

إخواني وأخواتي

الباحث

صدام مقدادي

شكر وتقدير

بسم الله الرحمن الرحيم (وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ)

صدق الله العظيم

إلهي لا يطيب الليل إلا بشكرك... ولا يطيب النهار إلا بطاعتك ... ولا تطيب اللحظات إلا بذكرك... ولا تطيب الآخرة إلا بعفوك... ولا تطيب الجنة إلا برؤيتك.

لابد لي وأنا أخطو خطواتي الأخيرة في حياتي الدراسية من وقفة أعود بها إلى أعوام قضيتها في رحاب الجامعة مع أساتذتي الكرام الذين قدموا لي الكثير باذلين جهودًا كبيرة في بناء جيل الغد لتبعث الأمة من جديد. وقبل أن أمضي أتقدم بأسمى آيات الشكر والامتنان والتقدير والمحبة إلى الذين حملوا أقدس رسالة في الحياة. إلى جميع أساتذتي الأفاضل وأخص بالذكر الأستاذ الدكتور سمير استيتية الذي تكرم بالإشراف على هذه الأطروحة، وتابعها بكل لحظاتها، وأخرجها بهذه الصورة الجميلة، وله الشكر لما قدمه لي من عطاءٍ، وبما غمرني به من كرم وتواضع.

كما أتقدم بجزيل الشكر والعرفان إلى أعضاء لجنة المناقشة وهم: الأستاذ الدكتور قاسم محمد المومني، والأستاذ الدكتور رسلان أحمد بني ياسين، والأستاذ الدكتور فواز محمد عبد الحق، والأستاذ الدكتور عبد الكريم مجاهد المرداوي، وذلك لملاحظاتهم القيمة التي أبدوها على الأطروحة، والتي ستكون محطَّ اهتمامي؛ وذلك لخبرتهم الواسعة في هذا المجال.

وكما أنني أثني بالشكر على الأستاذ الدكتور رسلان بني ياسين؛ لثبات مواقفه التي قدمها لي، ولمساندته لي طيلة مدة عملي التي جمعتني به في جامعة إربد الأهلية، فعرفته أستاذًا ناجحًا ورجلًا مفكرًا وحكيمًا، لا يبخل بالخير على أحد، فله مني كل آيات التقدير والاحترام.

والشكر أجمل ما يكون الشكر، والودّ أزكى ما يكون الود، شكر مُحَمّل بعبق الربيع ومُضَمَّخ بباقات النرجس وسحر البيلسان إلى **أشقاء الروح** علي مفلح محاسنه، وحمزة فالح مقدادي، ومعن علي مقدادي، **وتكتحل حياتي برؤيتكم وينبض الفكر بصحبتكم.**

وأنهي شكري وتقديري بتقديمه إلى كل من ساهم في إنجاح هذه الأطروحة من زملائي، وأصحابي، وأحبائي، ولو بكلمةٍ، وذلك أضعف الإيمان.

الباحث

صدام مقدادي

قائمة المحتويات

قائمة المحتويات

قائمة المحتويات

قائمة الملاحق

الملحق	الصفحة
(أ) فهرس الآيات	159
(ب) فهرس الأمثال	160
(ج) فهرس الأشعار	166

الملخص

مقدادي، صدام هايل حسن. التحليل اللساني والتداولي للأمثال في العربية. أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة اليرموك، 2013 (المشرف: أ.د سمير شريف استيتية).

لم يهتم أحدٌ بدراسة التحليلات اللسانية والتداولية في الأمثال العربية؛ فسعيتُ في هذه الدراسة بتحليل الأمثال العربية لسانيًا وتداوليًا، متخذًا من مجمع الأمثال للميداني أنموذجًا؛ إذ يقوم التحليل اللساني على البعدين: الرسوبي والتركيبي في هذه الأمثال، ويقوم التحليل التداولي على ربط الأمثال بمقاماتها المختلفة والملابسات والظروف التي صاحبت مضارب هذه الأمثال؛ للكشف عن الدلالات التداولية فيها.

وتتكون هذه الدراسة من مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة، ويدرس الفصل الأول المراحل التاريخية التي مرت بها الأمثال العربية، وذلك بالنظر إلى مفرداتها التي تكون عبارة المثل، ثم تحديد الرسوبيات اللغوية الموجودة في الأمثال، ثم الربط بين هذه المراحل التاريخية ودور التداولية في تفسير المثل على النحو الذي وصل إلينا بصورته الموجودة.

وأمّا الفصل الثاني فيدرس المسائل النحوية الموجودة في الأمثال، بالوقوف على العبارة التي يتركب فيها المثل، وتتخذ الدراسة جانبين؛ **الجانب الأول** يبحث الإشكالية في تركيب المثل، بخروجه عن القياس النحوي، وعرض الآراء النحوية التي دارت حول هذه الإشكالية، **والجانب الثاني** يعرض الأمثال التي أسهمت بتراكيبها في تدعيم بعض قواعد النحو؛ لما بتركيبه أثر في الاستشهاد على صحة القاعدة التي ذهب إليها أصحابها.

وأمّا الفصل الثالث فيكشف عن الدلالات التداولية في الأمثال العربية، بالوقوف على المقام الذي قيل فيه المثل، ثم تفسيره تفسيرًا تداوليًا ينسجم مع المقام الذي قيل فيه.

وذيلت الدراسة بخاتمة ضمنتها أهم النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة.

الكلمات المفتاحية: *الرسوبيات، التداولية، التراكيب العربية، المقام، المثل.*

المقدمة

حظيت الأمثال العربية بدراسات كثيرة، تناولتها من زوايا مختلفة؛ منها ما عُني بالجمع الإحصائي لهذه الأمثال، ومنها ما ذهب فيه إلى تحديد البيئات التي ضربت فيها، ومنها ما اقتصر الحديث على خصائص الأسلوب اعتمادًا على السرد القصصي التقليدي، ومنها ما ذهب فيه إلى أبعد من ذلك بقليل؛ إذ عُنيت بالتحليل النفسي للأمثال العربية.

لم يهتم أحدٌ بدراسة التحليلات اللسانية والتداولية في الأمثال العربية، وقد عقدت العزم على القيام بهذا العمل لما رأيته من جهد عظيم لأستاذي الدكتور سمير استيتية في تحليلاته اللسانية والتداولية في قضايا النحو المختلفة، فاجتهدت طالبا العون من الله في تطبيق ذلك على الامثال العربية الموجودة في مجمع الأمثال للميداني، بتحليلها تحليلاً لسانيًا يجمع البعدين الرسوبي والتركيبي في هذه الأمثال، ثم بتحليلها تحليلاً تداوليًّا يكشف فيه عن دلالاتها التداولية عن طريق ربط الكلام بمقتضياته المختلفة.

وتكمن أهمية الدراسة في أنها ليست دراسة تقليدية للأمثال التي انصب معظمها في الجمع الإحصائي للأمثال وتوزيعها ومضاربها في الجزيرة العربية، وإنما هي دراسة تجمع بين الأصالة والمعاصرة، حيث تكمن أهميتها في توظيف النحو العربي توظيفًا جديدًا، ضمن ربط الأبعاد اللسانية والتداولية في فهم المقامات المختلفة.

الدراسات السابقة

نظرتُ في الدراسات السابقة للأمثال في العربية، فلم أجد أيًّا منها تناول بُعدها اللساني والتداولي، فقد عُني أصحابها بجوانب مختلفة لدراسة الأمثال العربية، منها دراسة عبد الحميد قطامش التي كانت بعنوان "الأمثال العربية دراسة تاريخية تحليلية"(1988)، حيث وقف بها على الأطوار التاريخية للأمثال العربية، ثم قدم دراسة لغوية وأدبية واجتماعية لهذه الأمثال.

ومن هذه الدراسات أيضا دراسة أماني داود التي كانت بعنوان "الأمثال العربية القديمة دراسة أسلوبية سردية حضارية" (2009)، فقد سعت هذه الدراسة إلى تحليل الأمثال وفق مداخل منهجية متنوعة، حيث تناولت خصائص الأسلوب في المثال من ناحيتين هما: الإيقاع والتركيب، كما درست قصص الأمثال دراسة سردية في ضوء المعايير التي تُدرس بها السرديات.

ومن هذه الدراسات دراسة سمير عبده التي كانت بعنوان "التحليل النفسي للأمثال العربية" (1985)، فقد أشار الباحث إلى مزالق هذه الأمثال ورسم خريطة لمواضعها، وعمل على تحليلها بعد ذلك تحليلا يتلاءم مع نفسية أصحابها في البيئات المختلفة.

ومنها أيضاً دراسة محمد أبو صوفة التي كانت بعنوان "الأمثال العربية ومصادرها في التراث" (1993)، تحدث فيها عن نشأة الأمثال وتطورها وأنواعها، ثم استعرض مصادر الأمثال العربية في التراث، وبين بعض التناقضات التي ورددت في قصص بعض الأمثال، ثم عرض لبعض الأمثال المختارة مصحوبةً بقصصها التي قيلت فيها، كما عرض بعضًا آخر دون قصص.

وقد اتبعتُ في هذه الدراسة منهجا وصفيّا تحليليّا؛ إذ تعتمد منهجية الدراسة على الوصف من جهة، وعلى التحليل اللساني والتداولي من جهة أخرى.

وقد اقتضت خطة هذه الدراسة أن تقع في مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول، وتتضمن المقدمة موضوع الدراسة وأهميتها والدافع لاختيارها ومنهجها.

ويتناول التمهيد مفهوم التداولية في الدراسات اللسانية الحديثة.

الفصل الأول: الرسوبيات في الأمثال العربية:

يسعى هذا الفصل إلى دراسة المراحل التاريخية المختلفة التي مرت بها الأمثال العربية، وذلك بالنظر إلى مفرداتها التي تكون عبارة المثل، وعملتُ على تحديد الرسوبيات اللغوية الموجودة في ثنايا الأمثال، وربطتُ بين هذه المراحل التاريخية والتداولية في تفسير المثل على النحو الذي وصلنا به في صورته الموجودة.

الفصل الثاني: البناء والتركيب في الأمثال العربية:

يسعى هذا الفصل إلى الوقوف على المسائل النحوية الموجودة في ثنايا الأمثال، ويحاول مناقشة هذه المسائل من جانبين؛ **الجانب الأول** يبحث الإشكالية الموجودة في تركيب المثل؛ بخروجه عن القياس النحوي، وعرض الآراء النحوية التي دارت حول هذه الإشكالية، **الجانب الثاني** يعرض الأمثال التي أسمهت في إرساء بعض قواعد النحو؛ في الاستشهاد على صحة القاعدة التي ذهب إليها أصحابها.

الفصل الثالث: تداولية الأمثال العربية:

يسعى هذا الفصل إلى الكشف عن الدلالات التداولية في الأمثال العربية، ويوضح أثر التداول في فهم الأمثال فهمًا ينسجم مع الاستعمالات المختلفة لها مبتعدًا عن الإيحاء الذي تقدمه المفردات التي يتكون منها المثل.

وبعد ذلك تأتي الخاتمة، وتتضمن نتائج الدراسة التي خرجت بها. وقد ذيلت هذا البحث بعد ذلك بعدد من الفهارس، مثل: فهرس الآيات الكريمة، وفهرس الأمثال، فهرس الأشعار والأراجيز.

وختامًا أرجو أن أكون قد وفقت في هذا العمل، فإن كنت أصبت فلله الحمد، وإن كانت الأخرى فجلَّ من لا يخطئ، والله أسأل أن ينفعني بهذا العمل، وأن يجعله في ميزان حسناتي.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

التمهيد

يعود الفضل في استخدام مصطلح التداولية (Pragmatics) إلى الفيلسوف تشارلز موريس (Charles Morris) سنة (1938) وهو اصطلاح لكانت (kant) كان قد أخذ به بيرس (Peirce) في بناء نظرية العلامات[1]، وقد عدّها موريس جزءًا من السيميائيات، في أثناء دراسته للرموز اللغوية التي وزعها على النحو الآتي[2]:

1. **الجانب النحوي** (*Syntax*) ويعنى بعلاقة الرموز اللغوية بعضها ببعض.
2. **الجانب الدلالي** (*semantics*) ويعنى بعلاقة الرموز اللغوية بالأشياء التي تدل عليها.
3. **الجانب البراجماتي** (*Pragmatics*) ويعنى بعلاقة الرموز اللغوية بالمتلقي، وبالظواهر النفسية والحياتية والاجتماعية المرافقة لاستعمال هذه الرموز وتوظيفها.

وهذا المفهوم الذي نسبه موريس (Morris) إلى البراجماتية فضفاض، ويتجاوز حدود البراجماتية اللغوية التي يهتم بها علماء اللغة، ومن أبرز خصائصها العلاقة الوطيدة بين اللغة والمقام، وخلاصة المفهوم عنده أن المعنى البراجماتي هو ما يستخلص من مجموعة عوامل المقام الذي قيلت فيه العبارة، وتشمل المتكلم، والمخاطب، والمستمعين، والمكان والزمان والموضوع والأسلوب، والغاية التي يقصدها المتكلم والنتائج العلمية والسلوكية التي تحدثها العبارة في المخاطب والمستمعين[3].

---

[1] ينظر: علوي، عبد السلام بحث منشور في كتاب: علوي، حافظ: **التداوليات علم استعمال اللغة**. عالم الكتب الحديث، إربد . الأردن، ص19.

[2] ينظر: الحسن، شاهر: **علم الدلالة السيمانتيكية والبراجماتية في اللغة العربية**. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2001، ، ص157.

[3] ينظر: المرجع السابق، ص157.

أما التداولية من حيث إنها اتجاه لساني فلم تصبح مجالاً يعتد به في الدرس اللغوي إلا في العقد السابع من القرن العشرين بعد أن عمل على تطويرها ثلاثة من فلاسفة اللغة، هم: أوستن (Austin)، وسيرل (Searles)، وجرايس (Grice) [1].

وقد ظهرت عدة مصطلحات عربية مقابلة للمصطلح الأجنبي (Pragmatics) مثل الذرائعية والبراجماتية والنفعية والوظائفية وعلم التخاطب وغيرها، وكلها لا ترقى إلى مصطلح (التداولية) الذي كان الفضل في وضعه للأستاذ المنطقي والفيلسوف المغربي الدكتور طه عبد الرحمن منذ سنة 1970[2].

وذهب غازدر إلى أن (البراجماتية = المعنى– تكييف الحقيقة) [3]. وقد بين سمير استيتية النتيجة من معادلة غازدر، في معرض انتقاد ليفنسون لهذا التوجه في فهم حقيقة البراجماتية (اللغوية) بناءً على ما ذهب إليه غازدر من المعادلة؛ إذ استنتج ليفنسون منها أن البراجماتية مساوية لعلم الدلالة بعد سلب تكييف الحقيقة، وذلك أن تحديد البراجماتية على هذا النحو أمر يدعو إلى الحيرة؛ لأن ميدان علم الدلالة في نظر ليفنسون هو المعنى بتجريده عن السياقات (التي تعمل على تكييف الحقيقة)[4].

فقد رأى استيتية أن المقصود بالإشارة الحسابية (–) ليس هو إشارة الطرح المعهودة وإنما هي إشارة للفصل بين شيئين، وعلى ذلك يكون معنى المعادلة هكذا: البراجماتية هي القدرة على

---

[1] ينظر: نحلة، محمود: **آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر**. دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2006، ص12.

[2] ينظر: مقبول، إدريس: **الأسس الإبستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه.** عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، ط1، 2006، ص262 .

[3] ينظر: Gerald Gazdar. **Pragmatics**. N. Y, Academic Pres, 1979, p2

[4] ينظر: استيتية، سمير: **منازل الرؤية (منهج تكاملي في قراءة النص)**. دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، ط1،2003، ص114.

الفصل بين المعنى (من حيث إنه كذلك)، والسياق الذي يستعمل فيه استعمالاً صحيحًا؛ لأن البراجماتية اللغوية تلجأ إلى تقنين العلاقات بين المعنى والسياق، وذلك بعد أن تفصل بينهما فصلاً مؤقتًا[1].

وقد اقترح الباحث اللساني ليفنسون وجوهًا متعددة لتعريف التداولية، منها[2]: أن التداولية: هي دراسة للغة في إطارها الوظيفي أو من جهتها الوظيفية، وهذا يعني شرح وفهم البنيات اللغوية بالاعتماد على علل واستدلالات غير لغوية، وكذلك هي دراسة للعلاقة بين اللغة والسياق، أو هي دراسة لكفاية مستعملي اللغة في ربطهم اللغة بسياقاتها الخاصة.

وقد عرفها محمود نحلة بأنها: "دراسة كل جوانب المعنى التي تهملها النظريات الدلالية، فإن اقتصر علم الدلالة على الأقوال التي تنطبق عليها شروط الصدق، فإن التداولية تعنى بما وراء ذلك مما لا تنطبق عليه هذه الشروط[3].

ويرى مسعود صحراوي بأن التداولية ليست علمًا لغويًا محضًا، ولكنها علم جديد للتواصل، يدرس الظواهر اللغوية في مجال الاستعمال، ويدمج من ثم مشاريع معرفية متعددة في دراسة ظاهرة (التواصل اللغوي وتفسيره)[4].

ويظهر من التعريفات العربية لمصطلح التداولية أن بعض العرب المعاصرين حذوا حذو الغرب في الاتجاه البراجماتي في دراسة النصوص الأدبية، معتمدين على العلاقة بين النص، والظروف المختلفة التي أنتجته، بدءًا من قصد المتكلم عند التلفظ بعبارته، وانتهاءً عند الأثر الذي تحدثه العبارة في المخاطب.

---

[1] ينظر: استيتية، سمير: **منازل الرؤية**، ص114-115.

[2] ينظر: Levinson Stephen. **Pragmatics**. Cambridge – university press, 1985, p5-35.

[3] ينظر: نحلة، محمود: **آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر**، ص12-13.

[4] ينظر: صحراوي، مسعود: **التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني**. دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 2005، ص16.

ولكن لا بد من الإشارة في هذا المقام إلى أنه إذا كانت التداولية (البراجماتية) اتجاهًا لسانيًا نشأ، كما يظهر عند الغرب، فإن جذوره قد نبتت في البيئة العربية قبل قرون كثيرة من نشأته وظهوره في الغرب؛ فقد تنبه ابن جني إلى دور السياق في نقل الرواية، وذهب إلى أنه لا يكفي نقل المقال، بل يلزم للناظر الناقد البحث عن أحوال الرواة حال قولهم وما أحاط بهم من قرائن لفهم أقوالهم، وسمى هذه العملية الوصفية نقل الحال[1]، ويقول: "وليست كل حكاية تروى لنا ولا كل خبر ينقل إلينا يشفع به شرح الأحوال التابعة له المقترنة – كانت – به. نعم ولو نقلت إلينا لم نفد بسماعها ما كنا نفيده لو حضرناها[2].

وقد عقد الجرجاني فصلاً منفصلاً في بيان تلاحم المقام مع عناصر المقال في إنتاج النص، هذا عنوانه " فصل في أن هذه المزايا في النظم، بحسب المعاني والأغراض التي تؤمّ"؛ ثم قال: "إذ قد عرفت أنّ مدار أمر (النظم) على معاني النحو، وعلى الوجوه والفروق التي من شأنها أن تكون فيه، فاعلم أنّ الفروق والوجوه كثيرة ليس لها غاية تقف عندها، ونهاية لا تجد لها ازديادا بعدها، ثمّ اعلم أن ليست المزيّة بواجبة لها في أنفسها، ومن حيث هي على الإطلاق، ولكن تعرض بسبب المعاني والأغراض التي يوضع لها الكلام، ثم بحسب موقع بعضها من بعض، واستعمال بعضها مع بعض"[3].

ويتضح مما سبق أن للتداولية جذورًا عربية، نبتت في البيئة العربية، مما وجد في التراث العربي عند النحاة، ومن ثم عند البلاغيين، ولكن شاءت الأقدار، أن يكشف عنه في الفكر الغربي، بعد قرون متأخرة من الزمان، وقد لبس ثوبًا غربيًا، وحمل اسمًا أجنبيًا هو "البراجماتية"، جسدها العرب فيما بعد بقالب "التداولية".

---

[1] ينظر: مقبول، إدريس: **الأسس الإبستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه**، ص304.

[2] ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني: **الخصائص**. تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2003، 246/1.

[3] الجرجاني، عبد القاهر: **دلائل الإعجاز في علم المعاني**. تصحيح وتعليق: محمد رشيد رضا. وتصحيح: محمد عبده، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1988، ص69.

الفصل الأول

الرسوبيات في الأمثال العربية

ثمة ظواهر كثيرةٌ في كل لغة، تجري على خلاف ما هو معروف في قواعدها، ويظهر ذلك في بعض لهجاتها. وهذا في كتب التراث اللغوي والنحوي كثير. وقد كان النحاة واللغويون العرب يقولون عن كل ظاهرة من هذا القبيل "وهذه لهجة"[1].

لقد أطر النحاة العرب قواعدهم بأطر ضيقة، وعدّوا هذه الأطر نماذج يقاس عليها الكلام الفصيح، وعدّوا ما خرج عنها كلاما خرج عن المألوف، وخالف القياس، ونظروا إليها في أحايين أخرى على أنها لهجة لا يقاس عليها، متناسين أن اللهجة ما هي إلا لبنة من لبنات اللغة الأم، التي تكاملت بعضها مع بعض لبناء اللغة الفصيحة.

وورثنا اللغة العربية بشواهدها كثيرة وقليلة، بشائعها ونادرها، ولكن الغرابة كانت في التعامل مع ما ورثناه؛ إذ بنيت القواعد العربية عند بعض النحاة على الكثير الشائع، وأهمل وترك ما جاء على خلاف ذلك، رغم أن الذي نطق بالكثير والقليل لسان عربي واحد، وما الشواهد القليلة الموجودة في ثنايا الكتب، التي وصفت باللهجات أو بالخروج عن القياس ما هي إلا رسوبيات لغوية.

ويحدث في تاريخ لغة من اللغات، أن ظاهرةً من الظواهر تختفي، بمعنى أنها تسقط من الاستعمال، فلا يعود الناطقون باللغة يستعملونها. ويحدث في الوقت نفسه، أن أفرادًا قليلين يحافظون على الظاهرة، ويستعملونها في حياتهم. ثم تنسى العلاقة بين الظاهرة وما تبقى منها. وقد سميت الظواهر المتبقية من اللهجة البائدة "الرسوبيات اللغوية"[2].

لذا عمدت في هذا الفصل إلى دراسة المراحل التاريخية المختلفة التي مرت بها الأمثال العربية، وذلك بالنظر إلى مفرداتها التي تكون عبارة المثل، وذلك بتحديد الرسوبيات اللغوية

---

[1] ينظر: استيتية، سمير: **اللسانيات، المجال والوظيفة والمنهج.** عالم الكتب، إربد، 2005، ص605.

[2] ينظر: المرجع السابق، الصفحة نفسها.

الموجودة في المثل، ثم الربط بين هذه المراحل التاريخية، ودور التداولية في تفسير المثل على النحو الذي وصل إلينا في صورته الأخيرة، مستعينا بالشواهد التي اعتبرت لهجات في تراكيبها، أو خرجت تخريجات عدة حتى وافقت الصواب الذي يريده النحويون.

وفيما يلي بيان لبعض ما في الأمثال العربية من رسوبيات:

رسوبيات في الأسماء الستة

تعد الأسماء الستة من الأسماء التي تعرب فيها الكلمات بعلامات فرعية، وهذه الأسماء تقتضي الواو في حالة الرفع، والألف في حالة النصب، والياء في حالة الجر. إلا أن هذه الأسماء قد خرجت في بعض الأحيان عن الالتزام بتلك العلامات مع حالات وقوعها رفعا أو نصبا أو جرا. وخروجها عن الالتزام بالواو رفعا أو بالألف نصبا أو بالياء جرا يستدعي دراسة تلك الانكسارات التي خرجت بها عن المألوف، وقد وقع في الأمثال العربية جانب منها، ومما جاء في ذلك قولهم:

- **مُكْرَهٌ أخاكَ لا بَطَلٌ**

يضرب لمن يُحمل على ما ليس من شأنه[1].

وقد ورد هذا المثل عند الميداني بروايتين إحداهما بالرواية السابقة، والأخرى: (مكره أخوك لا بطل)[2]. وموطن الشاهد هو في الرواية الأولى في قوله (أخاك)، فقد أتى بهذه الكلمة بالألف مع أنها في موضع رفع، سواء أجريت على مذهب البصريين فكان إعرابها مبتدأ مؤخرًا، أم أجريت على مذهب الكوفيين فكان إعرابها نائب فاعل بمكره سد مسد خبره[3].

---

[1] الميداني: أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري: **مجمع الأمثال**. قدم له وعلق عليه: نعيم زرزور، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط2، 2004، 374/2.

[2] السابق، 204/1.

[3] ينظر: الأنصاري، ابن هشام: **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك**. تأليف: محمد محيي عبد الحميد. المكتبة العصرية، صيدا– لبنان، 49/1.

يشير هذا المثل إلى صورة من الرسوبيات التي وجدت فيها الأسماء الستة قبل أن تستقر على صورتها النهائية بالواو رفعًا، وبالألف نصبًا، وبالياء جرًا، فالمثل يدل على مرحلة بعيدة من لسان العرب في نطق هذه الأسماء، وتتمثل هذه المرحلة بأن العرب كانوا يلزمون بعض هذه الأسماء الألف رفعا ونصبا وجرّا، وقد جاء على هذه الصورة أيضا قول رؤبة:

1- إِنَّ أَبَاهَــــا وَأَبَــــا أَبَاهَــــا قَـدْ بَلَغَـا فِـي الْمَجْـدِ غَايَاتَاهَـا [1]

ففي هذه المرحلة كان العرب يعاملون الأسماء الستة معاملة المثنى في إلزامه الألف، في حالات الإعراب الثلاث، فقد ورد فيه الاسم (أباها) منصوبا ومجرورا، وقد لزمته الألف في الحالتين، وجاء المثنى (غايتاها) المنصوب، وقد لزمته الألف أيضا على الرغم من كونه مضافا[2].

وكذلك الحال في هذا المثل، فقد ورد الاسم (أخاك) بالألف مع أنها في موضع رفع، وحقه أن يكون مرفوعا بالواو لا بالألف، فمجيئه على هذه الصورة يدل على وجود مرحلة سابقة لما استقرت عليه الأسماء الستة بعد ذلك.

وإن المتتبع لإعراب الأسماء الستة يجد أن هناك ثلاثة استعمالات مختلفة لبعض الأسماء الستة، وهذا يعني أن هذه الأسماء قد مرت بعدد من مراحل التطور، ويمثل كل استعمال منها مرحلة من هذه المراحل؛ إذ لا يعقل أن تكون هذه الاستعمالات كلها قد أخذت طريقها إلى ألسنة القوم دفعة واحدة، ولا أن يكون التطور قد أحدثها كلها معا[3].

---

[1] البيتان لرؤبة في: ملحق ديوانه، **مجموع أشعار العرب**، اعتنى بتصحيحه وترتيبه: وليم بن الورد، الكويت، دار ابن قتيبة، ص168.

[2] ينظر: استيتية، سمير: **علم الأصوات النحوي ومقولات التكامل بين الأصوات والنحو والدلالة**. دار وائل، الأردن، ط، 2012، ص405.

[3] السابق، ص405.

إن حالة لزوم الألف هي أبسط الحالات، فلا يبذل المتكلم جهدًا عقليًا فكريًا، إذ تتحقق سليقته اللغوية بكفاية لغوية محدودة، ولكنها كافية لإقامة لسانه بما لا يقتضي تفكيرًا مركبًا في هذه المرحلة، فإن تكلم في هذه المرحلة قال: هذا أباك، وجاءني أباك، ورأيت أباك وأخاك، ومررت بأباك وأخاك، فيكون الصوت واحدًا هو الألف، وتكون الحالات الإعرابية متعددة، إنها حالة من البساطة وعدم التركيب، تناسب مرحلة البدايات التي يفترض فيها البساطة وعدم التركيب كذلك[1].

وهذا يعني أن البساطة في مرحلة الالتزام في الحالات الثلاث، كان فيها ما يمكن أن يوصف بأنه التوحد الإعرابي الذي يقتضي توحد الظاهرة الصوتية، على الرغم من اختلاف الظاهرة النحوية، وهي صورة من الاقتصاد اللغوي تصلح للمرحلة التي يعد فيها المخزون من النظام اللغوي لدى أبناء اللغة محدودا بحده الأدنى، ثم كانت مرحلة التعدد الإعرابي صورة مولدة من حالة التوحد الإعرابي[2].

وتأتي بعد ذلك مرحلة الإعراب بالحروف، من باب اتفاق النحاة على أن الإعراب هنا هو إعراب بالحروف، وهي في حقيقتها حركات طويلة ليس بينها وبين الحركات القصار من فرق إلا في الطول، فالألف في حدها الأدنى فتحتان، واو المد في حدها الأدنى ضمتان، وياء المد في حدها الأدنى كسرتان[3]، وقد أشار إلى هذا الأمر ابن جني حين قال: "اعلم أن الحركات أبعاض حروف المد واللين وهي الألف والياء والواو، فكما أن هذه الحروف ثلاثة فكذلك الحركات ثلاث وهي الفتحة والكسرة والضمة، فالفتحة بعض الألف والكسرة بعض الياء والضمة بعض الواو، وقد كان متقدمو النحويين يسمون الفتحة الألف الصغيرة والكسرة الياء الصغيرة والضمة الواو الصغيرة وقد كانوا في ذلك على طريق مستقيمة"[4].

---

[1] استيتية، سمير: **علم الأصوات النحوي ومقولات التكامل بين الأصوات والنحو والدلالة**، ص408.

[2] السابق، ص408.

[3] ينظر: السابق، ص409.

[4] ابن جني، أبو الفتح عثمان: **سر صناعة الإعراب**. تحقيق: حسن هنداوي. دار القلم، دمشق، 1985، 17/1.

ففي هذه المرحلة انتقل العرب من مرحلة الالتزام بالألف رفعًا ونصبًا وجرًّا إلى مرحلة الإعراب بالحروف، وفي هذه المرحلة قدرة كبيرة على التحول من البساطة إلى التركيب وتحول من أحادية الإعراب إلى تعدده[1]. ومما جاء من أمثال على هذه المرحلة:

- ***أَخُوكَ مَنْ صَدَقَكَ النَّصِيحَةَ***[2]
- ***مَنْ يَكُنْ أَبُوهُ حَذَّاءً تُجَدُّ نَعْلاَهُ***[3]
- ***إِنَّ أَخَا الْهَيْجَاءِ مَنْ يَسْعى مَعَكْ وَمَنْ يَضُرُّ نَفْسَهُ لِيَنْفَعَكْ***

ويضرب في المساعدة[4].

- ***مَنْ لَكَ بِأَخِيكَ كُلِّهِ***

ويضرب في عز الإخاء[5].

وقد تطور المخزون الذهني من العمليات العقلية كثيرا في هذه المرحلة، فقد أظهرت قدرا كبيرا من التصور التجريدي الذي تحتاج إليه الكفاية اللغوية المتطورة كذلك، وبذلك يصبح استدعاء الحركات الإعرابية المناسبة من موطن خزنه في الذاكرة عملية آلية سريعة[6].

ولا يخفى أن الانتقال من حالة البساطة المتمثلة في إلزام الأسماء الستة ألفا في حالات الإعراب الثلاث إلى مرحلة أنمى ذهنيا وأظهر تجاوزًا للبساطة، وهي الإعراب بالحروف يعني أن الانتقال كان انتقالا من السهل إلى الصعب. وهذا دليل على أن اللغة قد تتطور من السهل إلى

---

(1) ينظر: استيتية، سمير: **علم الأصوات النحوي ومقولات التكامل بين الأصوات والنحو والدلالة**، ص410.

(2) الميداني: **مجمع الأمثال**، 54/1.

(3) السابق، 355/2.

(4) السابق، 67/1.

(5) السابق، 355/2.

(6) استيتية، سمير: **علم الأصوات النحوي ومقولات التكامل بين الأصوات والنحو والدلالة**، ص410.

الصعب، وهذا يظهر مدى التوافق الذي يكون بين واقع أهل اللغة ولغتهم، فواقع لغتهم يمثل واقعهم، وواقعهم يتمثل في تفكيرهم اللغوي[1].

وتأتي بعد ذلك المرحلة الثالثة من مراحل إعراب الأسماء الستة، وهي مرحلة الإعراب بالحركات مع أنها مضافة إلى غير ياء المتكلم، ولكني لم أعثر علي أي شاهد في مجمع الأمثال يدل على استعمال العرب لها في هذه المرحلة، بالرغم من وجوده في الشعر وغيره، ومنه قول الشاعر:

1- بِأَبِهِ اقْتَدَى عَدِيٌّ فِي الْكَرَمْ وَمَنْ يُشَابِهْ أَبَهُ فَمَا ظَلَمْ [2]

وموطن الشاهد فيه قوله (بأبه) وقوله (يشابه أبه) حيث أعرب الشاعر هاتين الكلمتين بالحركات الظاهرة، فجر الأولى بالكسرة الظاهرة، ونصب الثانية بالفتحة الظاهرة، مع أنها مضافتان إلى ضمير الغائب[3].

إن إعراب الأسماء الستة بالحركات القصار مولد من إعرابها بالحركات الطويلة (الحروف) متطور عنه، وذلك بتقصير الواو لتصبح ضمة، وتقصير الألف لتصبح فتحة، وتقصير ياء المد لتصبح كسرة، فصاروا يقولون: هذا أبُه، وذلك أخُه، ورأيت أبَه وأخَه، وسلمت على أبِه وأخِه[4].

ويعدّ الاستعمال السابق في لسان العرب تطورًا، لكنه لم يكتب له الثبات، فدارت دائرته، ثم توقفت حيث دارت، وبقي من هذه المرحلة ما وردت من شواهد تدل عليها، وكانت هذه الشواهد من رسوبياتها مثلما يعدّ إعراب هذه الأسماء بالألف رفعا ونصبا وجرا من الرسوبيات أيضا[5].

---

[1] ينظر: استيتية، سمير: **علم الأصوات النحوي ومقولات التكامل بين الأصوات والنحو والدلالة**، ص411-412.

[2] البيت لرؤبة العجاج في: ملحق ديوانه، ص182.

[3] ابن هشام الأنصاري: **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، 40/1**.

[4] ينظر: استيتية: **علم الأصوات النحوي ومقولات التكامل بين الأصوات والنحو والدلالة**، ص412.

[5] ينظر: السابق، ص412.

رسوبيات في المبتدأ "مجيء المبتدأ نكرة"، والمسوغ هو المثال نفسه

إن الأصل في المبتدأ أن يكون معرفةً؛ لأنه المسند إليه، فحقه أن يكون معلومًا، لأن الإسناد إلى المجهول لا يفيد[1]، وينكر المبتدأ بشرط الفائدة ، وتحصل غالبا بكونه وصفا أو موصوفا بظاهر، أو مقدرا، أو عاملا، أو دعاء، أو جوابا، أو واجب الصدر، أو مصغرا ، أو مثلا، أو عطفًا على سائغ للابتداء، أو عطفًا عليه بالواو وقد يكون به عموم أو تعجب ... [2].

فالحالات السابقة هي بعض الحالات التي يجوز فيها الابتداء بالنكرة، وذلك لمسوغ وهو حصول الفائدة، وقد زخرت الأمثال العربية بعبارات وجمل كثيرة مليئة بوقوع المبتدأ نكرة، ولا مسوغ في بعضها إلا ما أشار إليه السيوطي في قوله السابق وهو حصول الفائدة من النكرة بورودها في المثل، ومن الأمثال التي وقعت فيها النكرة مبتدأ ما يلي:

- ***سَفِيهٌ لَمْ يَجِدْ مُسَافِهاً***[3]

هذا المثل يروى عن الحسن بن علي -رضي الله تعالى عنهما-، قاله لعمرو بن الزبير حين شتمه عمرو.

- ***شَجَرٌ يَرِفُّ***[4]

يضرب لمن له مَنْظر ولا مَخْبر عنده

- ***شُخْبٌ طَمَحَ***[5]

الشُّخْب: اللبنُ يمتدُّ من الضَّرْع.

---

[1] السيوطي، جلال الدين: **همع الهوامع في شرح الجوامع**. شرح وتعليق: عبد العال سالم مكرم. عالم الكتب، القاهرة ، 27/1.

[2] السابق، 28/1.

[3] الميداني: **مجمع الأمثال**، 430/1.

[4] السابق، **1**/430.

[5] السابق، **1**/460.

ويضرب للرجل يكون منه السَّقْطة.

ويقال : معناه حَظٌّ فات يقال : طَمَحَ الشُّخْبُ، وهو أن يسقط على الأرض فلا ينتفع به.

- ***شبعَانُ فِي يَدِهِ كِسْرَةٌ***[1]

يضرب لمن مالُه يُرْبِى على حاجته.

- ***شَيْخٌ يُعَلِّلُ نَفْسَهُ بالبَاطِلِ***[2]

يُضْرب للعِنِّين أو الشيخ الكبير الذي لا يقدر على إلباه.

- ***عَوْدٌ يُقَلَّحُ***[3]

يضرب للبعير المُسِنِّ يُؤَدَّبُ ويُرَاض.

- ***عيْرٌ بعَيْرٍ وَزِيادَةُ عَشَرَةٍ***[4]

قَال أبو عبيدة: هذا مثل لأَهل الشام ليس يتكلم به غيرهم، وأصل هذا أن خلفاءهم كلما مات منهم واحد وقَام آخر، زادهم عشرة في أعطياتهم، فكانوا يقولون عند ذلك هذا، والمراد بالعَيْر ههنا السيد.

- ***عيْرٌ عَارَهُ وَتِدُهُ***[5]

وأصل المثل أن رجلاً أشفقَ على حماره، فربَطَه إلى وَتِد، فهجمَ عليه السبع، فلم يمكنه الفرار، فأهلكه ما احترس له به.

---

[1] الميداني: **مجمع الأمثال**، 463/1.
[2] السابق، 464/1.
[3] السابق، 15/2 .
[4] السابق، 17/2.
[5] السابق، 17/2.

- ***عثَرٌ بِهَا كلُ داءٍ***[1]

يضرب للكثير العُيُوبِ من الناس والدوابِّ.

وقعت هذه الأمثال في جمل اسمية، وقد بدأ كل منها بنكرة، من غير أن يكون هناك مسوغ لفظي لمجيء المبتدأ نكرة، إلا أن المسوغ فيها هو مجيئها في المثل، ولما كان المثل لا يؤتى به إلا لغاية أو لغرض أو ما شابه ذلك، مما بابه الإفادة، فقد ضمنت عبارته المعاني الكثيرة. ومن هنا عدّت النكرة مفيدة عند وقوعها في المثل، فالنكرة في هذه الأمثال انتقلت من باب العموم إلى باب الخصوص.

فوجودها في المثل، جعلها في إطار أضيق لما أطلقت عليه قبل ذلك، متجاوزة الجنس بأكمله إلى الفرد من الجنس، فأصبح المقصود به واحدًا دون غيره، ولذلك استحق الحكم عليه بالخبر الذي جاء بعده؛ لأن الحكم لا يمكن أن يصدر على أي شيء إلا إذا كان معروفًا لدى الشخص المقابل، وقصده بالحكم يعني أنه لا يمكن أن يكون نكرة، وإن كان نكرة لفظًا، فهو معرفة ذهنًا وواقعًا (يعني معرفًا بالقصد)، ويتضح ذلك بتحليل بعض هذه الأمثال .

ففي المثل"***سَفِيهٌ لَمْ يَجِدْ مُسَافِهًا***"، وردت كلمة "سفيه" نكرة، ولكنها هي معرفة بقصد قائلها، فالحسن بن علي – رضي الله تعالى عنهما–، قال المثل لعمرو بن الزبير، وهو يعرف عمرًا مسبقًا، بل عرفه أكثر في هذا الموقف عند شتمه له، لذلك نعته بالسفه، وجعله نكرةً لأنه لا يستحق أن يكون معرفة بعد ما عمله من عمل مشين، وأي إفادة أجمل من ذلك؟!.

وفي المثل "***شبعَانُ فِي يَدِهِ كِسْرَةٌ***"، وردت كلمة "شبعان" نكرة من ناحية اللفظ، ولكنها معرفة في ذهن قائلها، فلا يعقل أن المتكلم نعت صاحب المثل بهذه الصفة دون أن يقصد تعيينه،

[1] الميداني: **مجمع الأمثال، 2**/17.

ويخرج بهذه النتيجة، وكذلك أيضًا لا يعقل أنه حكم عليه بالحكم الذي يليه "الخبر" من غير معرفة له، وكأن النكرة خرجت من إطارها المحض إلى إطار النكرة المقصودة بالحكم الصادر عليها.

وكذلك الحال في المثل "***عَنْزٌ بِهَا كلُّ داءٍ***" فكلمة "عنز" نكرة، ولكن قائلها لا يعقل أنه حكم على الشخص المقابل بهذا الوصف أو الشبه من غير تعيين له، فقائل المثل تعامل مع الطرف الآخر، وعرف أنه ينطوي على كثير من العيوب، ولذلك جاء بالمبتدأ النكرة التي تليق بوصفه، ثم حكم عليه بعد ذلك بالخبر.

تمثل هذه الأمثال حالة من حالات الابتداء بالنكرة، والمسوغ هو ورود النكرة في المثل، ودخول النكرة المثل أفادها تخصيصًا؛ لأنها في مورده موجهة إلى معرفة، فهي في المعنى الذهني معرفة وإن كانت بلفظ النكرة، ولذلك عدّها السيوطي من الحالات التي يجوز فيها الابتداء بنكرة، فالمثل أكسب النكرة التخصيص لورودها فيه، وبقي المبتدأ على هذه الصورة من التنكير، ولكنها لما أفادت مع سائر عناصر الجملة التركيبية للمثل صار هناك مسوغٌ للابتداء بها.

إن ورود النكرة على هذا النحو المحض مع جواز الابتداء بها، ليدل على أن العرب كانت تستعمل النكرة مبتدأ، شأنها شأن المعرفة، وتركت باب الإفادة للمتلقي يقدره كيف يشاء، ولا غرابة أن تكون هذه الصورة للنكرة مألوفة في كلام العرب، وقد بقيت هذه الشواهد رسوبيات تدل على تلك المرحلة من الزمان، فالأمثال قوالب موجزة قيلت في زمن معين، وبقيت هذه القوالب على الصورة التي نطقتها العرب، بما تزخر به من إصابة في المعنى.

رسوبيات في النواسخ

لقد زخرت الأمثال العربية، بصور عدة للنواسخ، عن طريق مكونات عباراتها، ولكن بعض هذه الأمثال في تركيبه خرج عن الاستعمال المألوف للنواسخ وعملها، فكانت هذه الأمثال من الرسوبيات التي نطق بها العرب، وبقيت شاهدة على تلك المرحلة من تاريخهم الحافل. وبيان ذلك على النحو الآتي:

إن وأخواتها

ومما جاء في ذلك قولهم:

- *لَيْتَ القِسِيَّ كُلَّهَا أرجُلاً*

يضرب هذا المثل للمتمني مُحَالاً[1].

يشير هذا المثل إشارة صريحة إلى التطور المذهل في اللسان العربي بنطقه لمعمولي (إن وأخواتها)، فقد جاءت فيه "لعلّ" ناصبة للجزءين معًا، وقد خُرّج المثل تخريجات عدة عند النحاة، حتى يكون موافقًا لقواعدهم، التي لا تقبل بمجيء الخبر على هذا النحو من العمل.

إن هذا المثل إن كان يعارض قواعد النحو، فإنه لا يخالف اللسان العربي الذي نطق بها؛ فالمتتبع لهذا المثل على صورته التي جاء عليها، يجد أن هذا المثل يمثل مرحلة ثالثة لعمل إن وأخواتها، وإن هذه المرحلة لم تستمر ولم يكتب لها النجاح، وبقي هذا المثل شاهدا على هذه المرحلة من اللسان العربي، وسوف أعرض هذه المراحل بصورها المختلفة وأربط بعد ذلك هذه المراحل بالوجوه والمعاني التداولية المستفادة منها.

إن أولى هذه المراحل في (إن وأخواتها) تتمثل في المرحلة التي لم يكن لهذه الحروف عمل في الإعراب مطلقًا، فالنسخ في هذه المرحلة كان مقتصرًا على الحكم المتصل بالمعنى دون النسخ

---

[1] الميداني: **مجمع الأمثال**: 222/2.

في الإعراب، وهذا الاستعمال البدائي يتوافق مع بدائية العرب الفكرية البسيطة في تلك المرحلة حتى تجسد ذلك في لغتها، والشاهد على هذه المرحلة المثل التالي:

- **كأنَّ عَلَى رُؤُوسِهِمُ الطَّيْرُ**

يضرب هذا المثل للساكن الوادع[1].

من المعلوم في عمل (إن وأخواتها) أنها تدخل على الجملة الاسمية، فتنصب المبتدأ اسمًا لها، وترفع الخبر خبرًا لها، ولكن الغريب في المثل السابق أن اسم (كان) جاء مرفوعًا، مع أن حقه النصب، وقد تبدو هذه من الأمور المستغربة، بسبب مخالفتها لقواعد عمل (إن وأخواتها)، ولكن ليس ذلك بغريب على أهل العربية الأوائل، الذين طبعتهم الفطرة، وغلبت عليهم السليقة.

إن الناظر في هذا المثل وفي تركيبه البسيط ليشتم رائحة البساطة، التي تنبعث من بساطة العرب أنفسهم في ظروف حياتهم، فهذا المثل يشير إلى مرحلة بعيدة بل موغلة في مراحل تطور اللغة العربية المرتبطة بالتفكير النحوي. وتكمن هذه المرحلة في عدم إعمال (إن وأخواتها) في الجملة الاسمية التي تدخل عليها، فبقي المبتدأ مرفوعًا والخبر مرفوع على أصله، وكأن عمل هذه الحروف كان مقصورًا في المرحلة الأولى على نسخ الحكم دون الإعراب، فالحرف (كأن) أفاد المشابهة في الجملة دون أن يحدث تغييرًا على أي من أركان جملة المثل.

وفي هذا المثل من التداولية ما لا يخفى أثره، إذا ما رُبطت الضمة على آخر الطير بالمعنى التداولي المنبعث منها؛ فالطير لا تكون ساكنة وادعة إلا إذا كانت مضمومة الجناحين بأكملهما، مما يدل على الهدوء التام والسكون المخيم، فلم يناسب الموقف أن تكون محركة بالفتح؛ لأنه يقتضي أن تكون غير ساكنة؛ لأن الفتح في حركة الطير يقتضي الفتح في حركة الجناحين، ولذلك قاله ضاربه بضم حركة الطير تناسبًا مع الموقف.

---

[1] الميداني: **مجمع الأمثال**، 175/2.

فتبدو التداولية منسجمة مع تلك المرحلة من النطق بشكل واضح في هذا المثل. والذي يؤكد افتراض هذه المرحلة الأولى، وهو عدم إعمال (إن وأخواتها) في الجملة هو مجيء قوله تعالى: ﴿إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾[1] بورود الاسم مرفوعا، إذا تجاوزنا الآراء المعروضة في ذلك.

وتأتي المرحلة الثانية في عمل هذه الحروف، وتتمثل في دخول (إن وأخواتها) على الجملة الاسمية؛ إذ نصبت المبتدأ اسما لها، ورفعت الخبر خبرًا لها، وهذه المرحلة التي استقرت عليها الصورة النهائية من العمل، وهي الصورة التي جاء عليها الكثير الشائع من اللسان العربي، والتي ارتضاها أهل النحو نموذجًا لعمل هذه الحروف، والشواهد على هذه المرحلة كثيرة، منها:

- ***إنَّ الشَّقِيَّ وَافِدُ البَرَاجِمِ***

يضرب لمن يُوقِع نفسه في هَلَكة طمعا[2].

- ***إنَّ اللَّيْلَ طَوِيلٌ وَأَنْتَ مُقْمِر***

يضرب عند الأمر بالصبر والتأنيّ في طلب الحاجة[3].

- ***إنَّ الغَنِيَّ طَوِيلُ الذَّيْلِ مَيَّاسُ***

يضرب في صاحب الغنى لا يستطيع أن يكتمه[4].

- ***كأنَّهَا نَارُ الحُبَاحِبِ***

يضرب به هذا المثل في البخل[5].

- ***لَيْتَ حَظِّي مِنَ العُشْبِ خُوصُهُ***

يضرب لمن يَعِدُك الكثيرَ ولا يعجل القليل[6].

---

[1] طه: 63.

[2] الميداني: **مجمع الأمثال**، 38/1.

[3] السابق، 62/1.

[4] السابق، 67/1.

[5] السابق، 178/2.

[6] السابق، 220/2.

تمثل هذه المرحلة من مراحل عمل (إن وأخواتها) أعظم مرحلة من مراحل تطور اللغة العربية، الذي سطره تفكيرهم في صورة أكثر تقدمًا؛ فالعربي عندما وقر في ذهنه النسخ الذي تحدثه (إن وأخواتها) في الجملة التي تدخل عليها، عن طريق المعاني الجديدة التي تقدمها هذه الحروف في الجمل الداخلة عليها، فقد أيقن بحسه المرهف، وذوقه البديع، أن لا يقتصر عمل هذه الحروف على نسخ الحكم دون العمل "الإعراب"؛ لأن المعاني الجديدة تحتاج إلى حالات إعرابية جديدة، وحركات إعرابية تثيرها، فالمخالفة في الدلالة تقتضي المخالفة في الحركات الإعرابية، ولذلك استقرت هذه المرحلة على التغير في الجمل الداخلة عليها (إن وأخواتها) تغيرًا دلاليًا مرتبطًا بتغير لفظي تحدثه هذه الحروف.

فالمرحلة الثانية إذن، تمثل درجة أرقى لعمل هذه الحروف واستقرارها في اللسان العربي، ففي هذه المرحلة أصبح عمل (إن وأخواتها) مزدوجا في النسخ؛ النسخ في الحكم والنسخ في العمل، وهذا ما يميز المرحلة الثانية عن المرحلة الأولى، التي اكتفي فيها بالنسخ في الحكم دون العمل.

تتمثل المرحلة الأولى في أنه كان لدخول النواسخ أثر واحد، وهو النسخ في الحكم، مما تفيده تلك النواسخ من مدلول جديد للجملة الذي تدخل عليها، بينما ارتقت النواسخ لعمل آخر في المرحلة الثانية، وهو النسخ في العمل، زيادة على النسخ في الحكم، فأصبحت ناسخة من وجهين؛ الوجه الأول: إعطاء مدلول جديد للجملة، والوجه الثاني: تغير حركات الإعراب التي كانت موجودة على آخر معموليها، وهما: المبتدأ والخبر قبل دخول النواسخ عليهما.

تأتي بعد ذلك المرحلة الثالثة، وقد سمع فيها من العرب نصب الجزءين بعدها[1]، فقد قيل في المثل العربي" **لَيْتَ القِسِيَّ كُلَّهَا أرجُلاً**" يضرب هذا المثل للمتمني مُحَالاً[2].

يبدو في هذه المرحلة أن العرب تعاملت مع (إن وأخواتها) على أساس أنها أفعالٌ لا حروف، ولكن الشواهد الماثلة في هذه المرحلة تشير إلى ذلك الدور من العمل، فالنحاة في تقعيدهم للقواعد قاسوا على الكثرة في الاستعمالات، وخرجوا على أن (إن وأخواتها) حروف مشبهة بالفعل، حيث نظروا إلى بنائها على الفتح، كما يبنى الفعل الماضي، وكذلك لما تحمله هذه الحروف من معان، لكن الذي يبدو في هذه المرحلة هو أن هذه الحروف تعدّت ذلك الدور، لتعمل ما هو أعظم من ذلك، وربما كانت إلى عمل أفعال (ظن وأخواتها) أقرب في النسخ، فنصبت الجزءين، ويتضح ذلك من هذا المثل وغيره من الشواهد التي وردت في ذلك، ومن الشواهد التي وردت أيضًا في الدلالة على هذه المرحلة:

1- إذَا التَف جُنْحُ الليلِ فَلْتَأتِ وَلْتَكُنْ   **خُطَاكَ خِفَافَاً إنَّ حُرَّاسَنا أُسْداً**[3]

2- إنَّ العجوز خِبّةً جَرُوزَا   **تأكل ما في مقعدها قفيزا**[4]

3- كأنَّ أُذْنَيْه إذا تشَوَّفا   **قادمةً ، أوْ قَلَمَاً مُحرَّفَا**[5]

4- ألا يا لَيْتَني حجراً بوَادٍ   **أقام وليت أمي لم تلدني**[6]

5- يا ليت أَيّام الصِّبا رَوَاجعا   ....[7]

6- مرّت بنا سحراً طيرٌ فقلت لها   **طوباك يا ليتني إياك طوباك**[8]

---

[1] ينظر: الأنصاري، ابن هشام: **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**. تحقيق: محمد محيي عبد الحميد. المكتبة العصرية، صيدا . بيروت، 46/1 والسيوطي: **همع الهوامع**، 156/1.

[2] الميداني: **مجمع الأمثال**، 222/2.

[3] البيت لعمر بن أبي ربيعة، وهو ليس في ديوانه، وهو من شواهد: السيوطي: **همع الهوامع**، 156/1.

[4] البيت بلا نسبة؛ من شواهد: السيوطي: **همع الهوامع**، 156/1.

[5] البيتان لرؤبة في: ملحق ديوانه، ص 175. ومن شواهد: ابن هشام الأنصاري: **مغني اللبيب**، 217/1.

[6] البيت مجهول القائل؛ من شواهد: السيوطي: **همع الهوامع**، 156/1.

[7] البيت للعجاج، وليس في ديوانه، وهو من شواهد: السيوطي: **همع الهوامع**، 156/1.

[8] البيت لابن المعتز، وهو من شواهد: السيوطي: **همع الهوامع**، 156/1

يجد الناظر في هذه الشواهد أن معاني حروف (إن وأخواتها) لا تخرج عن معاني الشك واليقين (القلوب) التي تدل عليها (ظن وأخواتها)، فمعاني القطع أو الاعتقاد ظاهرة في هذه الشواهد، فنصب الجزءين فيها ناتج عن المعنى الذي قصده الناطقون بهذه الشواهد. ولكن هذه المرحلة لم يكتب لها الاستمرار طويلا، فأفعال (ظن وأخواتها) ماثلة في أذهان العرب، والحروف المشبهة بالفعل (إن وأخواتها) ماثلة أيضا في أذهان العرب، ولكل منها أثر في نسخ العمل وفي الحكم كذلك، من المعاني التي يستفاد منها، فسقطت هذه المرحلة من مراحل عمل (إن وأخواتها) وبقيت الشواهد دالة على هذه المرحلة من مراحل تطور عمل (إن وأخواتها).

وقد بقيت المرحلة الثانية هي الأقوى في عمل هذه الحروف، في نصب الجزء الأول ورفع الجزء الثاني من الجملة الاسمية، وانتهى اللسان العربي إلى ما استقر عليه في التعامل مع عمل هذه الحروف.

كاد وأخواتها

ومما جاء في ذلك قول العرب:

- **عَسَى الْغُوَيْرُ أَبْؤُسًا**

يضرب هذا المثل للرجل يقال له: لعلّ الشر جاء من قبلك[1].

يشير هذا المثل إلى حالة نادرة في مجيء خبر (عسى)، حيث جاء اسمًا مفردًا مخالفًا بذلك القياس النحوي، الذي يقتضي أن يكون خبر (عسى) وسائر أفعال الرجاء والمقاربة والشروع جملة فعلية فعلها مضارع، وقد عدّ هذا الشاهد من الشواهد الشاذة عن القاعدة الرئيسة[2].

---

[1] الميداني: **مجمع الأمثال**، 21/2.

[2] ينظر: ابن منظور، محمد بن مكرم: **لسان العرب**، اعتنى بتصحيحه: أمين محمد عبد الوهاب ومحمد صادق العبيدي، دار إحياء التراث الإسلامي، ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت، 1997، مادة (عسى)؛ قال الجوهري: أما قولُهم: عَسَى الغُوَيْرُ أَبْؤُساً، فشاذٌّ نادرٌ؛ وضع أَبْؤُساً موضعَ الخَبَر، وقد يأْتي في الأمثال ما لا يأْتي في غيرها.

لذلك سأحاول توجيه الشاهد توجيها آخر، يتمثل في أن هذا المثل يشير إلى مرحلة تطور في خبر (عسى)، إذ كان بالإمكان أن يكون اسمًا مفردًا، وبقي الشاهد دالا على هذه المرحلة من مراحل تطور خبر (عسى).

لما كانت أفعال المقاربة والرجاء والشروع تعمل عمل (كان وأخواتها) عند دخولها على الجملة الاسمية، في رفع المبتدأ على أنه اسم لها ونصب الخبر على أنه خبر لها، فإن المنطق يقتضي أن نقيس قضايا أخرى عليها، ولا نكتفي فقط بما تحدثه هذه الأفعال عند دخولها على الجملة الاسمية، ومن هذه القضايا القبول بمجيء خبر (كاد وأخواتها) مفردًا قياسًا على مجيء خبر(كان وأخواتها) مفردًا أيضا.

وإن مجيء الخبر مفردًا في هذا المثل دليل على أن (كاد وأخواتها) كانت تعمل عمل (كان وأخواتها)، وإن هذه الحالة تمثل مرحلة أولى قبل مجيء خبر (عسى) واستقراره على الصورة التي وصل إلينا بها، وهو أن يكون خبره جملة فعلية فعلها مضارع، فالعرب الأوائل نطقوا على سجيتهم.

فهذا المثل يدل على أن العرب أول ما نطقت بخبر (عسى) نطقت بصورته الأولى، التي يقع عليها وهو الخبر المفرد، وهي الصورة البسيطة للخبر سواء دخل عليه ناسخ أم لم يدخل، وهذا الاستعمال يتوافق مع التفكير البسيط للعرب الذي ينسجم مع طبيعتهم البسيطة في تلك الفترة من الزمان، وما أن تطور التفكير النحوي عند العرب لتغير ظروف الحياة، واتساع آفاقهم، وانسياب ألسنتهم في مرحلة ثانية اقتضت فيه أن تستقر ألسنتهم على أن يجيء خبر (عسى) وسائر أخواتها جملة فعلية فعلها مضارع، ومن الأمثال التي جاءت شاهدة على تلك المرحلة: **(كادَ النَّعَامُ يَطِيرُ)** يضرب لقرْب الشَيء ممَّا يُتَوَقَّعُ منه لظهور بعض أماراته[1].

---

[1] الميداني: **مجمع الأمثال**، 93/2.

وقد أورد ابن جني المثل "عسى الغوير أبؤسًا" شاهدًا في باب (القول على الاطراد والشواذ)، وذكر في هذا الباب أن مما يقوى في القياس، ويضعف في الاستعمال مفعول (عسى) اسمًا صريحًا، نحو قولك: عسى زيدٌ قائمًا أو قيامًا؛ فهذا هو القياس، غير أن السماع ورد بحظره، والاقتصار على ترك استعماله ههنا[1].

فالشاهد عند ابن جني مطرد في القياس، وشاذ في الاستعمال، وهذا الرأي الذي أورده ابن جني يقوي صحة أن الأصل في وقوع خبر(عسى) اسمًا صريحًا.

ومما يؤيد مجيء خبر (عسى وأخواتها) بصورتها الأولى، وهو أن يكون مفردًا، ورود عدة شواهد أخرى على هذا الوجه بالرغم من قلتها، وهذه الشواهد هي:

1- عنِ الْمِقْدَامِ بْنِ معْدِي كَرِبَ الْكِنْدِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ- قَالَ : يُوشِكُ الرَّجُلُ مُتَّكِئًا عَلَى أَرِيكَتِهِ ، يُحَدَّثُ بِحَدِيثٍ مِنْ حَدِيثِي ، فَيَقُولُ : بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابُ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ- ، فَمَا وَجَدْنَا فِيهِ مِنْ حَلَالٍ اسْتَحْلَلْنَاهُ ، وَمَا وَجَدْنَا فِيهِ مِنْ حَرَامٍ حَرَّمْنَاهُ، أَلا وَإِنَّ مَا حَرَّمَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ- مِثْلُ مَا حَرَّمَ اللَّهُ[2].

2- أَكْثَرْتَ فِي الْعَذْلِ مُلِحًّا دَائِمَا لا تُكْثِرَنْ إِنِّي عَسَيْتُ صَائِما [3]

3- **فَأُبْتُ إِلى فَهْمٍ وَمَا كِدْتُ آئِباً وَكَمْ مِثْلِهَا فَارَقْتُهَا وَهْيَ تَصْفِرُ [4]**

---

[1] ابن جني: **الخصائص**، 139/1.

[2] ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني: **سنن ابن ماجة**. كتب حواشيه : محمود خليل، مكتبة أبي المعاطي، 9/1.

[3] البيتان لرؤبة في: ملحق ديوانه ص185، وهو من شواهد: السيوطي: **همع الهوامع**، 141/1.

[4] البيت لتأبط شرًا في **ديوان تأبط شرا وأخباره**. تحقيق: علي ذو الفقار شاكر. دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1999، ص91.

إن وقوع خبر (يوشك) في الشاهد الأول مفردا، وكذلك وقوع خبر (عسى) في الشاهد الثاني مفردا، وكذلك وقوع خبر (كاد) –أيضا– مفردا في الشاهد الثالث يقوي صحة الاستدلال على تلك المرحلة من مراحل تطور خبر (كاد وأخواتها)؛ إذ تقتضي تلك المرحلة وقوع خبر (كاد وأخواتها) مفردا، كما هو الحال في خبر (كان وأخواتها).

ما التميمية والحجازية

لم تكن الأمثال العربية بعيدة عن استخدام العرب لـ (ما) التي تدخل على الجملة الاسمية، التي أصبحت مدار جدل في إعمالها وعدمه عند النحاة، ومردّ ذلك هو الاستخدام لـ(ما) حسب الأصل لها عند أهل الحجاز في إعمالها، وعند بني تميم في عدم إعمالها، والمتتبع للأمثال العربية يجد أن الأمثال قد وقع فيها الاستخدامان بإعمال (ما) وبعدم إعمالها، وبيان ذلك فيما يلي:

- ***ما عَلَى الأرْضِ شيءٌ أَحَقُّ بِطُولِ سِجْنٍ مِنْ لسَانٍ*** [(1)]

وقد رويت بالنصب على لغة أهل الحجاز وبالرفع على لغة تميم. يضرب في الحثّ على حفظ اللسان عما يجر إلى صاحبِهِ شرًا.

- ***ما أنتِ نَجِيَّةٌ ولاَ سَبيَّة*** [(2)]

لقد جاء هذان المثلان على لغة تميم في استخدامهم لـ (ما)، وإن هذه اللغة لا تعمل (ما) فيما بعدها؛ إذ يبقى المبتدأ مرفوعًا ويبقى الخبر مرفوعًا على أصله، فلم تؤثر (ما) في دخولها على الجملة سوى النفي في الحكم، فقد كانت العلاقة قائمة بين المبتدأ والخبر على الوصف الإيجابي بعدم النفي، وأصبحت بوجود النفي قائمةً على الوصف السلبي، وبقي ركنا الجملة مرفوعين على

---

(1) الميداني: **مجمع الأمثال**، 307/2.

(2) السابق، 323/2.

أصلهما في تركيب الجملة الاسمية، وهذا يدل على صورة التكامل بين هذين الركنين سواءً في الوصف الإيجابي أم السلبي.

إن اختيار التميميين عدم إعمال (ما)، قائم على فكرة مؤداها أن المماثلة في حقيقتها صبغ لوني واحد، وأنه ما دام ركنا الجملة الإسمية متماثلين في كونهما قطبي عملية الإسناد، فكانت(ما) غير عاملة على إحداث مخالفة بينهما حتى في الحركة الإعرابية، وبذلك يكون التزامهم بإهمال (ما) قائما على المماثلة التركيبية[1].

ويبدو مما تقدم أن المماثلة في الحركة الإعرابية في ركني الجملة الاسمية تمثل صورة أولى نطق بها أهل تميم، حسب الأصل الذي نطقت به (ما) في زمن بعيد، ولم يحفظ منه هذا النطق إلا القليل.

والذي ينظر في هذين المثلين، يرى الآثار المتبقية من آثار تلك المرحلة التي طواها الزمن، وبقيت هذه الرسوبيات شاهدًا عظيمًا على تلك الحقبة من الزمن، هذه الحقبة التي اقتصر فيها على نفي الحكم لـ (ما)، دون تغير يطرأ على ركني الجملة الاسمية.

ثم تأتي بعد ذلك المرحلة الثانية من مراحل (ما النافية)، وفي هذه المرحلة تطور عمل (ما)، فأصبح عملا مزدوجا، وتكمن الازدواجية، في إعمال (ما) عمل (ليس)؛ إذ عملت ما على نفي الحكم في الجملة، ومن ثم على النسخ في ركني الجملة الاسمية.

ومما جاء من شواهد على ذلك، المثل التالي:

- ***مَا كُلُّ بَيْضَاء شَحْمَةً ولاَ كُلُّ سَوْدَاءَ تَمْرَةً*** [2]

ومن التنزيل الحكيم جاء قوله تعالى: ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا﴾[3].

---

[1] استيتية: **علم الأصوات النحوي ومقولات التكامل بين الأصوات والنحو والدلالة**، ص339.

[2] الميداني: **مجمع الأمثال**، 332/2.

[3] يوسف: 31.

فالنسخ الذي ظهر في هذين المثالين يتضمن المخالفة الصوتية التركيبية، ولا شك أنه غرض لاحق، فلا يعقل أنه كان متزامنًا مع نفي مضمون الجملة، الذي يكفي للدلالة عليه، وجود حرف النفي (ما) مهملاً غير عامل، والإهمال أسهل من الإعمال، ففضلوه واختاروه، والسلوك البشري يقوم على مثل هذا التطور الذي يتجه فيه سلوك الأمم من البساطة إلى التركيب، ولن تكون اللغة مخالفة لما يجري به السلوك الإنساني، ذلك هدف اللغة أصلا أن تعبر عن السلوك الإنساني[1].

وإن وجود تباين بين المبتدأ والخبر جرّاء عملية النسخ ما هو إلا وجود وصف إخباري سالب ، يجعل اجتماع المبتدأ والخبر في دلالة الجملة،اجتماعًا سالبًا، كيف قلبته ونظرت فيه، كما في الآية الكريمة﴿ مَا هَٰذَا بَشَرًا ﴾، فالعلاقة بين اسم (ما): هذا، وخبرها: بشرًا، هي علاقة سلب، تنفي مضمون نسبتين؛ إحداهما:لغوية، تفهم من نفي نسبة المشار إليه (يوسف) إلى البشرية، باعتبار أن ما فيه من صفات الكمال والجمال ليس من سائر البشر، والأخرى: تداولية، وليست لغوية تهدف إلى نفي نسبة مضمون خبر (ما) ـ وهو الكينونة البشرية ـ إلى اسمها وهو يوسف –عليه السلام–[2].

وليست هذه الدلالة التداولية من منطوق النص، ولكنها نتيجة منطقية له؛ إذ ما دام يوسف –عليه السلام– يملك ما لا يملكه سائر البشر، فهم لا يملكون ما يملكه؛ أي أن صلتهم به من حيث إنهم لا يملكون ما يملك، كصلته بهم من حيث إنه يملك ما لا يملكون، والصلتان سالبتان،

---

[1] استيتية: **علم الأصوات النحوي ومقولات التكامل بين الأصوات والنحو والدلالة**، ص340.

[2] السابق، ص338.

ويكون المعنى المتحصل عليه من هذين النفيين (المنطوق والتداولي): ما هو من البشر، وما البشر منه[1].

فالمماثلة أقرب إلى أن تكون أصلاً، بسبب عدم وجود تعدد في الحركة الإعرابية بين المبتدأ والخبر، وأنه لا يصار إلى المخالفة إلا على أعقاب مماثلة، وهذا يدل على أن عدم إعمال (ما) هو الأصل التاريخي، ولما كان الأمر على هذا النحو، فمن الصحيح أن نتصور بقاء بني تميم على أصل الاستعمال القديم، يهملون (ما) فلا يعملونها، وأن الحجازيين ذهبوا إلى إحداث النسخ بها، فأبقوا المبتدأ مرفوعًا وسماه النحاة (اسم ما)، ونصبوا الخبر وسموه (خبر ما)[2].

حذف خبر لا النافية للجنس

مما جاء عن العرب في ذلك قولهم:

- ***لا عِلَّةَ لا عِلَّةَ هذه أَوْتَاد وَأَخِلَّةٌ*** [3]

يضرب لمن يعتلُّ عليك بما لا عِلَّةَ له فيه

- ***لاَعَبَابَ وَلاَ أَبابَ*** [4]

يضرب للرجل يُعْرِضُ عن الشيء استغناء

إن الأصل في معمولي (لا النافية للجنس) أن يذكرا معها، فالكلام لا يبين معناه، ولا يحسن مؤداه إلا باكتمال أركانه، والعرب أهل إبانة، فلا يتكلمون إلا بما فيه فائدة، وقد كثرت الأمثال التي جاءت عباراتها مسبوقة بلا النافية للجنس، ومن هذه الأمثال:

---

(1) استيتية: **علم الأصوات النحوي ومقولات التكامل بين الأصوات والنحو والدلالة**، ص338.

(2) ينظر: السابق، ص340.

(3) الميداني: **مجمع الأمثال**، 2/267.

(4) السابق، 2/287.

- ***لا عِتَاب بَعْدَ المَوْتِ***[1]

يضرب في الحث على الإعتاب.

- ***لاَ رَأْيَ لِمَنْ لاَ يُطَاعُ***[2]

قَالَه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب – رضي الله عنه– في خطبته التي يعاتب فيها أصحابه.

- ***لاَ مَالَ لِمَنْ لاَ رِفْقَ لَهُ***[3]

يعني أن المال يكسبه الرِّفق لاَ الخرق.

- ***لاَ أُمَّ لَكَ***[4]

يضرب في الشتم الصحيح؛ لأن بني الإماء عند العرب ليسوا بمحمودين ولاَ لاَحقين بما يلحق به غيرهم من أبناء الحرائر.

فهذه الأمثال كلها مسبوقة بلا النافية للجنس، وقد عملت عملها في نصب الجزء الأول ورفع الجزء الثاني منها، من غير حذف لأحد أركانها، ولكن المجموعة الأولى جاءت بحذف خبر (لا النافية للجنس)، وهذا الحذف له ما يسوغه عند النحاة.

فحذف خبر (لا النافية للجنس) – إن علم– غالب في لغة الحجاز، ملتزم في لغة تميم وطيىء، فلم يلفظوا به أصلا، نحو: "لا ضير"، و"لا فوت"، و"لا ضرر ولا ضرار، و"لا عدوى ولا طيرة"، و"لا بأس"[5].

---

[1] الميداني: **مجمع الأمثال**، 268/2.

[2] السابق، 284/2.

[3] السابق، 286/2.

[4] السابق، 286/2.

[5] ينظر: السيوطي: **همع الهوامع**، 202/2.

وإنما كثر أو وجب؛ لأن (لا) وما دخلت عليه جواب استفهام عام، والأجوبة يقع فيها الحذف والاختصار كثيرا، ولهذا يكتفون فيه بـ "لا" و"نعم" ويحذفون الجملة بعدهما رأسا[1].

ويرى ضاحي عبد الباقي أن خبر "لا النافية للجنس" نوع من الاختصار النطقي، يمكن أن يطلق عليه "اختصار جملي" وهو يلائم البيئة الصحراوية، فالمتكلم قد تكون بينه وبين المخاطب مسافة شاسعة، فلو نطق كل أجزاء الجملة، فقد يسمعها الناطق بغير وضوح، فيكتفي حينئذٍ بجزء من الجملة يؤدي الدلالة كاملة، أما البيئة المستقرة فيندر فيها وجود الحاجز بين المتكلمين، وليست هناك بالتالي ضرورة إلى بتر جزء من أجزاء الكلام، فشيء طبيعي إذن ألا يكثر حذف خبر "لا النافية للجنس" عند الحجازيين كثرته عند بني تميم[2].

وعلاوة عما تقدم من أسباب في حذف خبر "لا النافية للجنس"، فإن المعاني التداولية التي يحتويها هذان المثلان أعمق مما تقدم عند النحاة، ويتضح ذلك من تحليل المثلين السابقين:

- ***لا عِلَّةَ لا عِلَّةَ، هذه أَوْتَاد وَأَخِلَّةٌ***

فأصلُ المثل لامرأة خَرْقَاء كانت لا تُحِسْن بناء بيتها، وتعتلُّ بأنه لا أوتاد لها، فأتاها زوجُها بالأوتاد والأخِلَّة، وقَال لها هذا القول[3].

إن الناظر في الموقف الذي ضرب فيه المثل يرى أن المرأة عاجزةٌ عن بناء بيتها، وأنها امرأة دائما متعذرة بعدم وجود الأوتاد التي تقيم عليها البيت، فلما أتاها زوجها بالأوتاد، قطع عليها كل حججها وعللها، فلم يبقَ لها أي عذر بعد اليوم، وقد جاء قطع الرجل كلام زوجته المعهود

---

(1) ينظر: السيوطي: **همع الهوامع**، 202/2.

(2) ينظر: عبد الباقي، ضاحي: **لغة تميم، دراسة تاريخية وصفية**، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1985، ص538.

(3) الميداني: **مجمع الأمثال**، 267/2.

وعللها، متوافقًا مع قطع الخبر في هذا التركيب، بالإضافة إلى أن الخبر واضح في هذا الموقف وهو الزوجة، فهي المخاطب وهي المقصودة بالمثل الذي ضربه الزوج.

وتكمن الجمالية في هذا المثل عن طريق حذف الخبر أيضا، فالرجل بعد أن قطع أعذار زوجته ومبرراتها، لوجود ما يمنع ذلك، من خلال إحضاره لمقومات البيت، أراد أن يظهر لها العجز الموجود عندها، فخاطبها بلغة الحذف، وحذفه الخبر في الخطاب توافق مع عدم وجودها في تمام عملها في البيت، فكأن الرجل يريد أن يوجه رسالة إلى زوجته مفادها أنها هي العلة في البيت لا شيء سواه.

وكذلك الحال في المعنى التداولي الذي يقدمه المثل الثاني:

- ***لَاعَبَابَ وَلَا أَبَابَ***

فالمثل يضرب للرجل يُعْرِضُ عن الشيء استغناء، فهو على جميع الأحوال لا يريد هذا الشيء، ولا يفكر فيه، فالرجل قطع كل حواسه عن هذا الشيء، ولا يريده بأي وسيلة، ولما قطع الرجل نفسه عن الشيء الموجود، فقد ناسب ذلك قطع الخبر في هذا التركيب وعدم ذكره، فالخبر أيضا واضح من خلال الحديث عنه، وهو الغائب، وقطع الخبر ربما كان أجمل في السياق، فالمعنى الذي ينبعث من المثل، أن الرجل لم ولن يفكر في هذا الشيء أبدًا، مما يقدم المثل معنى قطعيًا لا يتطرق إليه الشك ولو بأدنى درجة.

وهذا الموقف مشابه لموقف الظباء التي إذا أصابت الماء لم تعبَّ فيه، وإن لم تصبه لم تأبِبْ لهُ أي لم تتهيأ لطلبه[1]، فالرجل على شتى الأحوال قد استغنى عن الشيء ولا يأبه له.

وأخيرًا، سواء أكان الحذف من قبيل الغالب كما هو عند أهل الحجاز، أم كان من قبيل الالتزام والواجب كما هو عند أهل تميم وطيىء، فإن هذين المثلين يقدمان صورة جلية على حذف

---

[1] الميداني: **مجمع الأمثال**، 287/2.

خبر "لا النافية للجنس"؛ لوجود قرينة تدل عليه، ويمثلان أيضا صورة من الروسبيات التي بقيت شاهدة على هذا الحذف في أزمانه الغابرة.

رسوبيات في حذف عامل المفعول به

رسوبيات في وجوب حذف عامل المفعول به سماعًا عند النحاة

جاء عن العرب عدد من الأمثال، تمثل رسوبيات في وجوب حذف عامل المفعول به سماعا عند النحاة، ومن تلك الأمثال التي جاءت في ذلك قولهم:

- ***كِلاَهُمَا وَتَمْرَاً***
- ***كِلَيهِمَا وَتَمْرَاً*** [1]
- ***الكِلاَبَ عَلَى البَقَرِ***

يضرب عند تحريش بعض القوم على بعض من غير مبالاة، يعني لا ضَرَر عليك فَخَلِّهم[2].

- ***الجَارَ ثُم الدَّار***

أي إذا أَرَدْتَ شراء دارٍ فَسَلْ عن جِوَارها قبل شرائها [3].

تظهر في هذه الأمثال بلاغةُ العربي في كلامه، وبلاغة الحذف في استعمالاته، فكما تكون البلاغة في الكلام عند ذكره تكون أيضا في الكلام عند حذفه.

لكنْ في هذا الباب بالذات أنصف النحاة الكلام القليل، وقاسوا عليه غيره، ولم يعتمدوا على الكثرة المطلقة، ولم ينظروا إلى الشذوذ قطُّ، وإنما بنوا على القليل وقاسوا عليه؛ لأن العبرة لا يفترض أن تكون دائما بكثرة الشاهد، بل ينبغي مراعاة قوته.

---

(1) الميداني: **مجمع الأمثال**، 180/2.

(2) السابق، 170/1.

(3) السابق، 228/1.

وقد ورد الشاهد الأول والثاني عند سيبويه تحت عنوان "هذا بابٌ يُحْذَفُ منه الفعل لكثرته في كلامهم حتى صار بمنزلة المَثَل"[1]، وكأن المثل أصبح قاعدة مطردة يقاس عليها غيرها، فأساليب العربية في حذف عامل (ناصب) المفعول به معلومة وواضحة، كالإغراء أو التحذير أو الاختصاص، أما في هذا الباب فالحذف واجب سماعيًا في كل ما أجري مجرى الأمثال، وترك ذكر الفعل لما كان قبل ذلك من الكلام، وكأنه قال في المثل الأول : أعطني كليهما وتمرا[2]، وفي المثل الثاني بإضمار (أرسلْ) [3]، وفي المثل الثالث على إضمار (اشترِ، انتقِ).

ومثل ذلك أيضا قولك: "هذا ولا زَعَماتِك"؛ أي ولا أَتَوَهَّمُ زَعَماتِك[4]. ومن ذلك قول الشاعر :

دِيارَ مَيَّةَ إذ مَيٌّ مُساعِفةٌ ولا يَرى مثلَها عُجْمٌ ولا عَرَبُ [5]

كأنه قال: أذْكُرُ ديارَ مَيّة، ولكنّه لا يَذكر أذكرُ لكثرة ذلك في كلامهم واستعمالهم إيّاه، ولما كان فيه من ذكر الدَّيار قبل ذلك، ولم يَذكر: ولا أتوهَّمُ زعماتِك لكثرة استعمالهم إيَّاه، ولاستدلاله مما يَرَى من حاله أنَّه يَنْهاه عن زَعْمه[6].

ومن ذلك قولهم: "**كلَّ شيء ولا هذا**" و"**كلَّ شيء ولا شتيمةَ حر**"؛ أي ائتِ كلَّ شيء ولا ترتكب شتيمة حُرّ، فحذف لكثرة استعمالهم إيّاه، فأجري مجرى: "ولا زعماتك"[7]، وكذلك ما أشبه المثل في كثر الاستعمال نحو:﴿ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ﴾[8]؛ أي وأتوا[9].

---

[1] ينظر: سيبويه: **الكتاب**. تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي القاهرة، ط4، 2004، 280/1.

[2] ينظر: سيبويه: **الكتاب**، 281/1.

[3] السيوطي: **همع الهوامع**: 20/3.

[4] ينظر: سيبويه: **الكتاب**، 280/1.

[5] البيت لذي الرمة: في **ديوان ذي الرمة**. اعتنى وشرح غريبه: عبد المصطاوي. دار المعرفة، بيروت، 2006، ص12.

[6] ينظر: سيبويه: **الكتاب**، 280/1.

[7] ينظر: السابق، 280/1.

[8] النساء: 171.

[9] السيوطي: **همع الهوامع**: 19/3.

يتضح مما سبق أنّ هذه مرحلة موغلة في القدم في حذف "الفعل" العامل في المفعول به، وقد سبقت هذه المرحلة حذف عامل المفعول به في الأساليب الأخرى كالإغراء والتحذير والاختصاص، حتى إن سيبويه تحدث عنها في كتابه قبل الأساليب الأخرى التي حذف فيها عامل المفعول به وجوبا. وقد بقيت الشواهد السابقة من الرسوبيات التي تعد دليلا على تلك المرحلة من الزمان بحذف الفعل؛ لدلالة السياق الذي قيل فيه المثل على ذلك الفعل المحذوف، وبلاغتهم في الحذف (الإضمار) أو الإظهار لغة مشتركة بينهم، فقد كان عندهم من الكفاية ما ينسجم في أدائهم في ظروفهم المختلفة.

وتتضح قيمة هذا الأسلوب في الاستخدام، إذا ما ربط بالموقف أو المقام الذي قيل فيه هذا المثل وغيره، فالأمثال السابقة مكتنزة بمعانٍ عظيمةٍ جليلةٍ، إذ لا تفهم مجتزأة على هذا النحو من التركيب، ولربما حذف الفعل أبلغ من ذكره في كل مثل سابق.

ففي "***كِلِيهِمَا وَتَمْرَاً*** "، قد حذف المتكلم الفعل ونطق المفعول به مباشرة؛ لأن الموقف أو المقام الذي قاله فيه المتكلم لا يحتمل أن يأتي بالفعل أولا، ثم يواصل المتكلم حديثه، فقصة المثل توحي أن الرجل الذي طلب الطعام كان جائعا جدًا لدرجة غير محتملة، فبادره المتكلم بالطعام حتى يقطع عليه جوعه، وقطع المفعول به عن فعله، وإضماره يتوافق مع قطع جوع الرجل وعدم إظهاره، فكان ذلك أبلغ في الدلالة.

وفي المثل الثاني" ***الكِلَابَ عَلَى البَقَرِ***"، فالمثل يضرب عند تحرش بعض القوم على بعض من غير مبالاة، والموقف يدل على وجود جماعتين مشتبكتين، ولا علاقة للفاعل الذي يفترض أن يقوم بالحدث وهو فعل الإرسال بالجماعتين؛ لأن الموقف يدل على أن مكانته يجب أن تكون خارج هاتين الجماعتين، فهو ليس أحد أفراد الجماعتين، ولما سقط وجود الفاعل من بين الجماعتين في الاشتباك وجب إسقاطه من الجملة، ولا يمكن أن يسقط الفاعل من الجملة إلا بسقوط الفعل؛ لأن

الفاعل في الفعل (أرسلْ) أصلا هو ضمير مستتر، فاستتاره واجب في الفعل، وزاد هذا الاستتار في حذف الفعل أيضًا.

أما المثل الثالث" ***الجَارَ ثُم الدَّار***"، فإن سياق الموقف يتطلب أن يكون فيه الفعل مضمرًا لا ظاهرًا وكذلك فاعله، فالتركيز في هذا السياق منصبٌ على المفعول به، وعلى الأهمية في طلبه، فاختيار الجار ليس بالأمر السهل، بل إن البحث عن الجار الحسن لمن أراد النزول في أي دار يبدو أمرًا في غاية الصعوبة، وحتى يزيد المتكلم من أثر ذلك على نفس المستمع والأخذ بنصيحته، فقد انطلق في حديثه من الركن الأهم في الجملة وهو المفعول به، فحذف الفعل وفاعله المستتر به وجوبا؛ لينسجم مع الموقف الذي يريده المتكلم وهو ضرورة اختيار الجار قبل الدار.

فالشواهد السابقة تكتنز بالمعاني التداولية التي لا يمكن أن تفهم على وجهها الصحيح، الذي يعبر عنها سياقها الحالي بعدم ذكر الفعل، كما لو كان الفعل ظاهرًا في هذه الأساليب.

رسوبيات في حذف عامل المفعول به "إضمار الفعل المستعمل إظهاره"

لقد جاء في لسان العرب قولهم ما يأتي:

- ***الظِّبَاءَ عَلَى البَقَرِ*** [1]

يضرب عند انقطاع مابين الرجلين من القرابة والصداقة.

- ***أمْرَ مُبْكِيَاتِكِ لا أمْرَ مُضحِكاتِكِ*** [2]

أي الزمي واقبلي أمر مبكياتك.

لقد ورد هذان المثلان في كتاب سيبويه تحت عنوان "هذا باب ما جرى من الأمر والنهي على إضمار الفعل المستعمل إظهاره إذا علمت أن الرجل مستغن عن لفظك بالفعل"[3].

---

[1] الميداني: **مجمع الأمثال**، 566/1.

[2] السابق، 62/1.

[3] سيبويه: **الكتاب**، 253/1.

ويقف هذان المثلان شاهدًا عظيمًا على بلاغة العربي في كلامه، فقد كان للحذف فيهما أثرٌ عظيمٌ بإضمار الفعل الناصب للمفعول به من غير قاعدة مطردة، يسير عليها الكلام، وكذلك من غير علة أو سبب يحتم ذلك الحذف، حتى أن سيبويه ردّ ذلك الحذف إلى المتكلم نفسه، فالمتكلم أراد الحذف والإضمار فكان ذلك.

والذي يقف عند هذا الباب يجد أن العرب كانت تظهر الفعل في المواطن التي يستلزم فيها الإظهار، وتضمر الفعل في المواطن التي يستلزم فيها الإضمار، وكما أن البلاغة تكون في الإظهار، فإنها تكون في الحذف أيضا، ويرجع ذلك كله إلى الغرض الذي قصده المتكلم من كلامه.

فالمثل الأول يضرب عند انقطاع ما بين الرجلين من القرابة والصداقة، ومن المعلوم في المجتمع الإنساني أن البشر أصناف في التعامل مع علاقات الانقطاع والشحناء التي تقع بينهم، فإذا ما سعى أحدهم للإصلاح والمودة بين طرفين، ربما لا يروق ذلك الأمر لأحدهم، فيقول له من مثل هذا القول "الظباء على البقر"، وكأنه يريد أن يثبط عزمه في الإصلاح بينهما، فيريد أن يبعد دور الفاعلية للمصلح، وإسقاط الفاعلية يقتضي بالضرورة إسقاط الفعل؛ لأن فاعل فعل الأمر في هذا السياق هو مستتر في فعله، وما إسقاط الفعل في كلام المتكلم إلا إسقاط لدور المخاطب في عملية الصلح، وإبعاده عن هذا الدور، فهو لا يريده أن يفصل بين هذين الطرفين المتنازعين، وإنما يريد أن يبقى الطرفان في نزاع دائم، لذلك كان من الأبلغ أن يخاطبه بمثل هذا الأسلوب.

وجاء في مجمع الأمثال في مضرب هذا المثل أن الرجل كان في الجاهلية إذا قال لامرأته "الظباءَ على البقر" بَانَتْ منه، وكان عندهم طلاقا، ونصب "الظباء" على معنى "اخترتُ" أو "أختار" الظباء على البقر، والبقر كناية عن النساء[1].

---

[1] ينظر: الميداني: **مجمع الأمثال**، 1/566-557.

إن مضرب هذا المثل ليس بعيدًا عن المضرب السابق له، ففيه أيضًا طرفان، طرف اختاره وفضله المتكلم على طرف آخر، ولما كان الطرف الذي اختاره المتكلم وهو الظباء،فقد قربه من نفسه كثيرًا، وإن عملية الاختيار قد تمت، ولا رجعة عنها، فهي أصبحت تشكل جزءًا من عقله، وما اختيار الرجل إلا قطعة من عقله كما يقولون، وما كلام الرجل في الجاهلية عند طلاق زوجته إلا اختيار واقع للظباء، وطلاق لا رجعة عنه للبقر.

وتكمن بلاغة الحذف في المثل الثاني كذلك من خلال إضمار فعل الأمر "الزمي" أو "اقبلي" أو"اسم" فعل الأمر "عليك"، وهذا يتوافق مع المعنى التداولي العميق الذي يريده المتكلم؛ فمضرب المثل جاء في أن فتاة من العرب كانت لها خالات وعمات، فكانت إذا زارت خالاتها ألهينها وأضحكنها، وإذا زارت عماتها أَدَّبْنها وأَخَذْن عليها فقالت لأبيها: إن خالاتي يلطفنني وإن عماتي يبكينني فقال أبوها وقد علم القصة: أَمْرَ مبكياتك لا أمرَ مضحكاتك [1].

إن الناظر في مضرب المثل يرى أن الأب يريد أن يلزم ابنته أمرًا لا تردد فيه؛ لأن هذا الأمر هو من قبيل مصلحتها، فقد وقر في نفس الأب أن عمات ابنته وهن أخواته، يردن الخير لابنته، وذلك من الأسلوب الجاد في التعامل مع ابنته، بينما خالات ابنته لا يردن الخير لها، وذلك من أسلوب الهزل واللهو الذي يضيع وقت ابنته، ولا منفعة فيه، فخاطب الأب ابنته بأسلوب ملزم مركزًا من خلاله على الجانب الذي يجب أن تلزم فيه، وهو التزام أمر العمات لا الخالات، ولذلك على ابنته أن تلتزم ما تسمع من أبيها بأسرع وقت، حتى لا يضيع وقتها.

وهناك جانب آخر في التداولية، وهو أن فعل الأمر ماكث في ذهن الفتاة، فهي تعلم أن كلام أبيها هو أمر ينبغي تنفيذه سواء في هذا الموقف أم في غيره من المواقف، ولذلك فإن الأب لا يحتاج في مخاطبة ابنته دائما إلى فعل، إذا ما أراد منها أمرا أن يوجه إليها الخطاب في صيغتي

---

[1] ينظر: الميداني: **مجمع الأمثال**، 62/1.

الأمر أو النهي، فهي كما ذكرت تعلم ذلك، ولما كان كلام الأب إلى ابنته أمرًا أو نهيًا، وكان قد وقر في ذهن الفتاة تنفيذ أي شيء يريده الأب، فقد استغني في هذا المثل عن ذكر فعل الأمر؛ لعدم الحاجة إلى ذكره.

ومن هذه الحجج أيضا ما جاء في كلام العرب: "اللهم ضبعًا وذئبًا"، وذلك إذا كان يدعو بذلك على غنم رجل، وإذا سألتهم ما يعنون قالوا: اللهم اجمع أو اجعل فيها ضبعا وذئبا[1].

وقد ذكر أبو العباس المبرد أنه سمع أن هذا دعاء له لا عليه؛ لأن الضبع والذئب إذا اجتمعا تقاتلا فأفلتت الغنم[2].

إن قطع المتكلم للمفعول به عن عامله ما هو إلا أمر خفي في نفس المتكلم، فالمتكلم حريص على ما عنده من أغنام، ويسعى للحفاظ عليها ونمائها، فهو يحميها من الضبع والذئب وغيرها مما يهلكها، ولذلك هو يدعو الله بأن يحميها له، وبأن يرسل الضبع والذئب معًا، لا أحدًا منهما، وذلك أن هذين الحيوانين إذا اجتمعا انشغل كل واحد منها بالآخر، وتقاتلا قتالا شرسًا، وبذلك تنجو الغنم من أذى الضبع والذئب.

فالواضح من هذا المثل أن المتكلم يدعو على الضبع والذئب، بأن يجتمعا كيفما يشاء فهو يدعو الله –عز وجل–، والله أعلم بحاله، ولذلك ترك المتكلم أمر جمع أو التقاء الضبع والذئب لله – عز وجل –، فهو القادر على جمعهما والتقائهما معًا، ولما كان الأمر كذلك فقد ترك المتكلم استعمال الفعل، ونواه في هذا الموضع، وقد جاء ذلك متوافقًا مع الموقف الذي قيل فيه هذا المثل؛ فالمتكلم يعلم أن الله قادر على حماية أغنامه، ولذلك فقد لجأ المتكلم إلى الله؛ لحماية أغنامه بإرسال الضبع والذئب مجتمعين إلى أغنامه، دون أن يحدد الكيفية أو الطريقة التي يريدها من الله

---

(1) ينظر: سيبويه: **الكتاب**، 255/1.

(2) سيبويه: **الكتاب**، 255/1 (الحاشية)، ولم أجد ذلك في كتابي المبرد: المقتضب والكامل.

–عز وجل– لحماية أغنامه؛ فالمتكلم دعا الله –عز وجل– لتدبر أمر أغنامه لجمع الذئب والضبع، وترك الأمر في هذا التدبير لله تعالى؛ لأنه قد وقر في نفسه هذا التدبير.

والذي يبدو من هذا الاستعمال، في إضمار الفعل المستعمل إظهاره، أن العرب كانت تميل إلى هذا الاستخدام جنبًا إلى جنب مع استخدام الفعل، وهذا يعود إلى المواقف الكلامية التي تستخدمها العرب؛ فالعرب تذكر الفعل حين ترى أن في ذكره ما هو أبلغ في الدلالة، وأما حين ترى أن في عدم ذكره ما يؤدي إلى فساد التركيب اللغوي؛ مما يؤدي في النهاية إلى فساد المعنى، فإنها تضمر الفعل، فيكون إضماره أعمق في الدلالة على المعنى، وأقوى في التعبير عن الغرض.

وقد كان إضمار الفعل عند العرب سائغًا في الاستخدام، وما هذه الشواهد إلا دليلٌ على المرحلة التي كان العرب يستخدمون فيها هذا الأسلوب، ثم سقط هذا الاستعمال فيما بعد، وانحصرت الأساليب التي يضمر فيها الفعل، كأسلوب الإغراء والتحذير، التي يحذف فيها العامل وجوبًا، وبقيت الشواهد السابقة من الرسوبيات التي تمثل مرحلة كانت العرب تستخدم إضمار الفعل، لأمر مفاده أن المتكلم استغنى عن إظهار الفعل في ما جرى على الأمر والنهي؛ لأنه وجد أن البلاغة تكمن في الحذف.

فهذه الأمثال تمثل مرحلة كان يضمر فيها الفعل المستعمل إظهاره، وهذه المرحلة لا تخضع لضوابط العرب في حذف العامل، وإنما هي مرحلة كان الحذف مقتصرًا فيها على السماع وعلى المعنى الذي يريده المتكلم عن طريق استخدامه لهذا الأسلوب، ولكن يجب أن لا ننسى أيضًا دور المخاطب في تلقيه لهذا الأسلوب، فالمتكلم يدرك تمام الإدراك أن المخاطب يعي هذا الأسلوب ويفهم المقصود منه، وهذا يشير إلى المستوى الراقي للعرب في تلك الفترة من الاستعمال.

رسوبيات في المفعول المطلق

ومما جاء في ذلك قول العرب:

- *صَبْراً عَلَى مَجامِرِ الكِرَامِ* [1]

يضرب لمن يؤمَرُ بالصبر على ما يكره تهكما.

- *صَبْراً وَإِنْ كانَ قَتْراً* [2]

يضرب عند الشدائد والمَشَاقِّ.

- *مَهْلاً فُواقَ نَاقَةٍ* [3]

أي أمْهِلْنِي قَدْرَ ما يجتمع اللبن في ضَرْع الناقة وهو مقدار ما بين الحلبتين.

إن الناظر في هذه الأمثال يجد أن كلا منها بدأ بمصدر، وأن هذه الجمل جمل فعلية؛ لأن المصدر قام مقام الفعل في كل منها، ولكن المثير في الموضوع هو أن نتساءل، لماذا اتجه العرب إلى إقامة المصدر مقام فعله ؟ وهل حدث ذلك دفعة واحدة ؟ وهل كان هناك معانٍ تداولية في ذهن العرب عندما تكلموا بهذا الأسلوب ؟.

لا شك أن العرب أهل فصاحة وبلاغة، وكما أدت العفوية والسليقة وظيفتها في لسان العرب، فإن القصدية لم تفارقها، كما أن هذه القصدية سارت جنبًا إلى جنب مع التداولية التي أرادها العرب في أساليب كلامهم، فجسدت أساليب جميلة من البلاغة، بقي ألقها موجودًا إلى هذا اليوم.

إن إقامة المصدر مقام الفعل كان نتيجة ثلاث مراحل من التطور، ولكل مرحلة منها علاقة بالتداولية، فالمرحلة الأولى كانت باستعمال الفعل فقط، فكانوا يقولون: (اصبر)، ومن شأن هذه

---

(1) الميداني: **مجمع الأمثال**، 494/1.

(2) السابق، 505/1.

(3) السابق، 322/1.

المرحلة كسائر البدايات أن تكون ألصق بالحدث، وبذلك يكون التعبير بالفعل أظهر في تصوير هذه المرحلة[1].

وفي المرحلة الثانية احتاجوا إلى تأكيد هذا الصبر، فقالوا: (اصبر صبرًا)، ومن الطبيعي أن تكون هذه المرحلة تالية للمرحلة السابقة، إذ إن مرحلة تأكيد التعبير عن الفعل تكون بعد مرحلة التعبير عن الفعل نفسه، إذ لا يعقل أنهم بدأوا بوضع الفعل، وأنهم أكدوه في مرحلة واحدة[2].

وفي المرحلة الثالثة وجدوا أن إسقاط الفعل يؤدي وظائف دلالية أخرى، فحذفوا الفعل، وأقاموا المصدر مقامه، فقالوا: صبرًا، وهذه مرحلة متطورة في اللغة لأن فيها قدرًا كبيرًا من التجريد، والتجريد يكون عادة في مرحلة متطورة ظاهرة التطور؛ لأن الحذف يعني الاستغناء عن المنطوق، مع الاحتفاظ به في الوعي اللغوي؛ لأنه جزء من ذلك الوعي[3].

فالحذف في هذه المرحلة واضح من التجريد، ومن الطبيعي أن يتلاءم هذا الاستخدام مع تطور العقل العربي وقدرته على تقديم المعنى بأقل الألفاظ.

أما علاقة ذلك بالتداولية، فيتضح من إسقاط الفعل، وإحلال المصدر محله، وهذا يعني تجاوز الفعل باعتباره حدثًا يقع ويمر، إلى المفهوم الذي هو ألصق بذهن الإنسان أكثر من التصاقه بالحدث، والوجه التداولي فيه أنك تجد المخاطب أهلاً لمخاطبته بمفهوم راقٍ كهذا المفهوم وهو المصدر، فضلاً أن الفعل (اصبر) لا يعني بالضرورة طلب صبر مطلق، لكن (صبرًا) يحملك إلى باب مطلق الصبر أقرب، فكان حذف الفعل دالاً على قدر كبير من تطور التفكير اللغوي نفسه[4].

---

(1) ينظر: استيتية: **علم الأصوات النحوي ومقولات التكامل بين الأصوات والنحو والدلالة**، ص434.

(2) ينظر: السابق، ص435.

(3) ينظر: السابق، ص435-436.

(4) ينظر:استيتية: **علم الأصوات النحوي ومقولات التكامل بين الأصوات والنحو والدلالة**، ص436.

ومن الدلالات التداولية في مثل هذا التركيب، أنك تتجاوز إصدار أمر إلى من كان الحدث كبيرًا بالنسبة له، وحذف الفعل يعني أنك تتجنب ما يزيد عليه وقع الألم، ويثقل كاهله، وهذا وجه تداولي واضح[1].

رسوبيات في الحال

رسوبيات في وقوع الحال معرفة

لقد ذهب الجمهور إلى أن الحال يجب فيها التنكير؛ لأنها خبر في المعنى، ولئلا يتوهم كونها نعتا عند صاحبها، أو خفاء إعرابها[2].

وللحال أربعة أوصاف: أحدها: أن تكون منتقلة لا ثابتة، وذلك غالب لا لازم، وثانيها: أن تكون مشتقة لا جامدة، وذلك . أيضا . غالب لا لازم، وثالثها: أن تكون نكرة لا معرفة، وذلك لازم، ورابعها: أن تكون نفس صاحبها في المعنى[3].

والمتتبع لهذه الأوصاف في كلام العرب يجد أن من هذا الكلام ما خرج في استعماله عن الأوصاف المتفق عليها في استخدام الحال؛ إذ إن المتتبع للأمثال العربية يجد أن من بين الأمثال ما خالف بعض الأوصاف السابقة، لذا كان لا بد من الوقوف مليا عليها، فبعض هذه الأمثال خالفت اللزوم في الوصف، كما هو الحال في الوصف الثالث؛ إذ وقعت الحال فيها معرفة لا نكرة، وبيان ذلك على النحو الآتي:

- ***مَرَرْتُ بِهِم الجَمّاءَ الغَفِيرَ*** [4]
- ***جاء القوم قَضُّهم بقضيضِهم*** [5]

---

[1] ينظر: استيتية: **علم الأصوات النحوي ومقولات التكامل بين الأصوات والنحو والدلالة**، ص436.

[2] ينظر: السيوطي: **همع الهوامع**، 18/4.

[3] ينظر: الأنصاري، ابن هشام : **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، 296/2-305.**

[4] الميداني: **مجمع الأمثال**، 320/2.

[5] السابق، 215/1.

- ***ذهبوا أيدِيْ سَبأ، وتفرقوا أيدي سبأ*** [1]

أي تفرقوا تفرقا لا اجتماع معه.

إن الناظر في هذه الشواهد يجد أن هذه الشواهد مما نطق به اللسان العربي، وقد استشهد بها في باب الحال على مجيء الحال معرفة، سواء أكانت معرفة بـ(أل) أم مضافةً، وقد نظر إليها على أنها جاءت مخالفة للقياس العربي في القواعد النحوية؛ إذ إن إجماع الجمهور على أن تكون الحال نكرةً، فذهب النحاةُ الجماء الغفير في تأويل هذه الشواهد حتى تنسجم مع قواعد إجماعهم على مجيء هذه الحال نكرة، مستهجنين وقوع الحال على هذه الصورة البريئة.

إن وقوع الحال في هذه الأمثال على صورة المعرفة، يدل على أن هناك فترة تاريخية في حياة العرب، كان ينطق فيها العربي بالحال معرفةً، ولا غرابة أن تكون هذه الفترة سابقة لمجيء الحال نكرة، وبقيت هذه الشواهد من الرسوبيات اللغوية التي تدل على نطق اللسان العربي لهذه الصورة في كلام العرب، ولكن عندما وضع النحاة القواعد قاسوها على الكثرة المطلقة، ناظرين إلى هذه الأمثال وغيرها أمثلة نادرة يجب تأويلها.

لكن الغريب أن النحاة عندما تعاملوا مع هذه الأمثلة جزموا بخروجها عن القياس، فأوّلوا تراكيبها متجاوزين المعنى الذي قد يستنبط من المعرفة، مما هو أبلغ في الدلالة وأقوى في أداء الصورة مما لو كان نكرة.

وبالنظر إلى هذه الأمثال تم استخراج معانٍ تداولية لا تؤديها عندما تكون الحال فيها نكرة؛ ذلك أن المتكلمين بهذه الأمثال كانوا يقصدون صاحب الحال، فقد هالهم الموقف عندما أرادوا أن يعبروا عنه، لذلك كان من المناسب في هذه الأمثال أن يأتوا بالحال معرفة لا نكرة.

---

[1] الميداني: **مجمع الأمثال**، 351/1.

ويتضح ذلك بتحليل هذه الأمثال؛ ففي المثل الأول لم يسعف المتكلم في التعبير عن الكثرة الغالبة التي جاء عليها القوم أن يأتي بالحال نكرة، باستعمال كلمة (جميعا)، فكان لا بد له من استعمال كلمة تكون أبلغ في الدلالة وأقوى في التعبير، لذلك اتجه إلى استعمال كلمة (الجماء) ثم لم يكتفِ بذلك، بل رأى أن يصفها بوصف يعظم الحدث، وهو مجيء القوم، فألحقها بكلمة (الغفير)، مما أعطى الجملة معنى لم يكن يحصل لو كانت الحال بصورة النكرة.

ومما سبق يكون المعنى الذي أراده المتكلم قد شكل في نفوس الآخرين أمرًا جللا، فكأنه يثير التهويل، فلسان حاله يقول: إن هؤلاء القوم لكثرتهم وعظيم عددهم ستروا وجه الأرض، فلم يظهر منها شيء[1].

وكذلك الحال في المثل الثاني، فقد ارتأى المتكلم أن يستبدل كلمة (جميعا) بكلمة أو عبارة تكون أبلغ في الدلالة عما يريده، فلم يتسنَّ له ذلك إلا بالحال المعرفة، فاستعمل عبارة (قَضُّهم بقضيضِهم)؛ فالقوم جاءوا من غير استثناء، فلم يتركوا واحدًا ولا جماعة إلا رافقهم في المجيء، فلم يتخلف منهم أحد.

ولقد أدت التداولية أيضا وظيفتها في المثل الثالث بمجيء الحال معرفة؛ فضارب المثل أراد أن يخبر أن القوم تفرقوا تفرقا لا اجتماع معه، تماما مثلما تفرّق أبناء سبا؛ إذ ولد له عشرة، تيامن منهم ستة، وتشاءم منهم أربعة، فأما الذين تيامنوا الأزد وكِنْدَة ومَذْحِج والأشعرون وأنمار منهم بجيلة، وأما الذين تشاءموا فعَامِلة وغَسَّان ولَخْم وجُذام، وهم الذين أرسل عليهم سَيْل العَرِم بعد أن كذبوا رسولهم[2]. فالتفرق إذن تفرق لا رجعة عنه، ولا اجتماع لهم بعد ذلك، وإن هذا المعنى

---

[1] ينظر: الأنصاري، ابن هشام : **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك**، 304/2.

[2] الميداني: **مجمع الأمثال**، 352/1.

المستفاد من مجيء الحال معرفة لا يمكن أن يفهم على هذا النحو كما لو كانت الحال نكرة، كما في قول الضارب للمثل، مثلا: (ذهبوا تبددا لا بقاء معه)َ [1].

ومما يدل على وقوع الحال معرفة في لسان العرب، هو أنها كانت مستخدمة أيضا في الشعر، ومما جاء في الشعر:

1- فأَرْسَلَهَا العِرَاكَ ولم يَذُدْهَا ولم يُشْفِقْ على نَغَصِ الدِّخَالِ [2]

2- أَتَتْنِي سُلَيْمٌ قَضّها بقَضِيضِها تُمَسِّحُ حَوْلي بالبَقِيعِ سِبالَهَا [3]

ولم يكن تحليل هذين البيتين بعيدًا عن تحليل الأمثال السابقة، في وقوع الحال معرفة؛ ففي البيت الأول اتجه الشاعر إلى استخدام كلمة (العراك) بدلا من (معتركة)،في أثناء إيراد حمار الوحش ، لأتنه الماء، ولا يخفى المعنى الذي يريده الشاعر من استخدام الحال معرفة، فحمار الوحش عندما ورد الماء وجدها مزدحمة، ولم يرد أن ينغص على الأتن الشرب، ولذلك لم يثنها عن طلبها الماء، فأرسلها إلى الماء؛ لأنها قد اعتادت العراك والازدحام، فلم يكن الموقف غريبا على الأتن، وكأن صفة العراك أصبحت ملاصقة للأتن، فكان الأولى أن يأتي بها معرفة، وابتعد عن استعمال النكرة، حتى لا تكون متقلبة متبدلة في المواقف التي تواجهها.

وفي البيت الثاني أيضا اتجه الشاعر إلى استخدام الحال المعرفة، في التعبير عن مجيء قبيلة سليم في طلبه، فهذه القبيلة قبيلة كبيرة، تضم بطونا عدة ، ينتسبون إلى سليم بن منصور، جاءت تريد الشماخ، وكأن الشاعر يريد أن يقول إنها جاءت بأكملها تطلبه، وذلك بعد أن تزوج

---

[1] ينظر: السيوطي: **همع الهوامع**: 19/4.

[2] البيت للبيد بن ربيعة: في **ديوانه**، شرحه وضبط نصوصه وقدم له: عمر فاروق، دار الأرقم بن الأرقم، بيروت، ط1، 1997، ص94.

[3] البيت للشماخ بن ضرار الذبياني: في **ديوانه**، تحقيق وشرح: صلاح الدين الهادي، دار المعارف بمصر، ص290.

امرأة منهم، وأساء إليها، وضربها، وكسر يدها، فأتت أهلها، وادعت عليه طلاقا، فالشاعر يعظم أمر طلب بني سليم له، بقدوم بطون القبيلة عامة[1].

رسوبيات في وقوع الحال مبنية

لم يقف الأمر في الأمثال العربية عند وقوع الحال معرفة، وإنما انطوت الأمثال على جانب آخر من الرسوبيات هو وقوع الحال مبنية لا معربة، وما جاء في ذلك قولهم:

- ***ذَهَبُوا شَغَرَ بَغَرَ، وَشَذَرَ مَذَرَ، وَشِذَرَ مِذَرَ، وَخِذَعَ مِذَعَ***

أي في كل وَجْه [2]

هذا أيضا نموذج من الأمثال العربية التي خلدتها لنا كتب التراث، فرسم صورة من صور جماليات اللغة العربية، في استعمال أبنائها لها، فبقي شاهدًا على مر الأزمان، فالنموذج السابق أحد روائع العرب الأوائل الذين نطقوا بها، وتركوا لنا لذة التمتع في النظر إلى سبائكها التي مهما طال عليها الزمن لا يفقدها شيئًا من بريقها.

وتكمن الجمالية في هذا المثل حينما ينطق المثل بلسان حاله، ويعبر عن حاله بصورة المبني بدلاً من المعرب، فقد وقر في أذهان النحاة، في أثناء تقعيدهم لقواعد النحو، أن الحال لا تكون إلا معربةً، وما جاء خلاف ذلك فهو من الشذوذ؛ لأن ذلك لا يتفق مع القاعدة النحوية، فعاملوه معاملة مركب العدد كلفظ خمسة عشر [3] بفتح الجزءين.

إن ظاهرة وقوع الحال مبنيةً كانت موجودةً، وتكلم بها العرب حينًا من الدهر، فهي تمثل مرحلة من مراحل تطور النحو العربي في الحال، وبقي هذا النموذج شاهدًا على مثولها في كلام العرب.

---

(1) ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني: ص287-291.

(2) الميداني: **مجمع الأمثال**، 355/1.

(3) ينظر: السيوطي: **همع الهوامع**، 19/4.

إن وقوع الحال على هذه الصورة المركبة من الكلمات يكون أبلغ في التعبير عن المعنى الذي قصده صاحبه، ذلك أن الذهاب والتفرق ليس له وجه ثابت، فالتشتت والتفرق لا يوجد إليه سبيل واحدة، وهذه الدلالة من الدلالات التي لا تفهم من خلال الرصف الموجود في عبارة المثل، بل لا بد من النظر إلى ما هو أبعد من ذلك.

رسوبيات في النداء

حذف حرف النداء مع النكرة المقصودة

أجاز النحاة مواضع لحذف حرف النداء إلا في ثماني مسائل، ومن هذه المسائل اسم الجنس لمعيَّن، وقد شكلت هذه المسألة قضية خلاف بين البصريين والكوفيين؛ فذهب البصريون إلى وجوب ذكر حرف النداء مع اسم الجنس لمعين، واسم الإشارة؛ ولا يجوز حذفه إلا في ضرورة الشعر. وذهب الكوفيون إلى جواز ذكر حرف النداء وجواز حذفه، واستدلوا على جواز الحذف بما ورد في السماع[1].

وقد عدّ البصريون تلك الأمثلة من قبل الضرورة والشذوذ.

ومن شواهد السماع التي استدل بها الكوفيون الأمثال التالية:

- ***أَصْبِحْ لَيْلُ*** [2]

يقال ذلك في الليلة الشديدة التي يَطُول فيها الشر.

- ***أَطْرِقْ كَرَا إِنَّ النَّعَامةَ فِي الْقُرَى*** [3]

يضرب للذي ليس عنده غَنَاء ويتكلم فيقال له: اسكت وتَوَّق انتشار ما تلفظ به كراهة ما يتعقبه.

---

[1] ينظر: الأنصاري، ابن هشام : **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، 4/10-14.**

[2] الميداني: **مجمع الأمثال،** 506/1.

[3] السابق، 541/1.

- ***أَطْرِقْ كَرَا يُحْلَبْ لَكَ*** [1]

يضرب للأحمق تمنِّيه الباطلَ فيصدّق.

- ***افْتَدِ مَخْنُوقُ*** [2]

يضرب لكل مَشْفُوق عليه مضطر.

فقد وردت هذه الأمثال مشتملة على أسلوب النداء، وجاء هذا الأسلوب بحذف حرف النداء، وورود الشواهد على هذا النحو يدل على أن العرب نطقت بأسلوب النداء بحذف حرف النداء مع اسم الجنس لمعيَّن، وقد بقيت هذه الشواهد صورة حية ودليلاً ناطقًا على أن الحذف وقع في هذا النوع من المنادى.

ويبدو أيضا من ورود هذه الأمثال على هذا النحو أن حذف حرف النداء مع اسم الجنس لمعيَّن يشكل مرحلة سارت جنبًا إلى جنب مع مرحلة ذكر حرف النداء مع هذا النوع من المنادى، فكما أن العرب نطقت بذكر حرف النداء، فقد نطقت أيضا بحذفه، وكما أن الحذف جائزٌ مع غير هذا النوع في المنادى. وذلك بورود الشواهد التي تدل على الحذف الذي وقع فيه، فقد كان من الأفضل ألا يجانب القياس هذا النوع من المنادى في حذف حرف النداء، وذلك بورود الشواهد التي تدل أيضا على وقوعه فيه.

فالشواهد الماثلة في هذه الأمثال تشير إلى أن العرب نطقت بحذف حرف النداء مع اسم الجنس لمعين، ويبدو أن هذا النطق كان في مرحلة بعيدة، وما لبث أن استقرت العرب بعد ذلك على صورة واحدة هي استخدام هذا النوع من المنادى بذكر حرف النداء، وبقيت هذه الأمثال من

---

[1] الميداني: **مجمع الأمثال**، 541/1.

[2] السابق، 94/1.

الرسوبيات التي تدل على تلك المرحلة من مراحل نطق اللسان العربي بنداء اسم الجنس لمعيَّن مع حذف حرف النداء.

ويبدو أيضًا أن هناك أغراضًا تداولية في حذف حرف النداء مع اسم الجنس لمعيّن في هذه الأمثال، وتفهم هذه الأغراض من السياق الذي جاء به كل مثل من الأمثال المذكورة؛ فالمثل الأول نطقت به زوجة امرئ القيس الكندي، وكان امرؤ القيس رجلا مفرَّكاً لا تحبه النساء، ولا تكاد امرأة تصبر معه، فتزوج امرأة من طَيِيء، وقد كرهت معاشرته في تلك الليلة، وقد تمنت أن ينقضي الليل ويأتي الصبح، لشدة كراهيتها لامرئ القيس، فكانت تقول بين الحين والآخر من الليل: أصبح ليل، والليل كما هو لا ينقضي، ولا تمر ساعاته إلا بدقاتها المعهودة، ولربما كانت أبطأ على زوجة امرئ القيس.

وقد كانت زوجة امرئ القيس تنادي الليل، وتتمنى زواله بأسرع وقت، فلا يوجد عندها صبر على تلك الليلة، حتى أن فقدان صبرها كراهة لمعاشرة زوجها قد ظهر جليًا في ندائها، فخاطبت الليل ونادته بغير حرف النداء، فلا طاقة عندها للصبر، ولا طاقة عندها لمناداة الليل بحرف النداء، فالموقف لا يحتمل ذكر حرف النداء عندها، بل هي لا تريد أن تجعل الليل بعيدًا عنها، وإنما تريد أن تنادي الليل من غير عائق يعوق بينهما، فهي تتوسل إلى الليل أن يصبح ولا يطول، وحتى لا يطول هذا الليل، وحتى يلبي نداءها استبعدت حرف النداء الذي قد يشكل عائقًا لها أثناء ندائها المصحوب بالتمني.

أما المثل الثاني فقد كمنت جمالية تداوليته بحذف حرف النداء أيضًا؛ فالمثل يقوم على تحذير الشخص الذي يتكلم بأشياء لا تحمد عقباها؛ لأن هناك من هو في مرصاده بعد التكلم، فإذا أراد التكلم والاستطراد في الكلام، تدخل غيره ونهاه عن مواصلة الكلام، وأنه لا بد من قطع كلامه بأسرع وقت، وهذا المثل ينبغي أن يقدم بأسرع وقت حتى يتنبه الشخص الذي يتكلم، فقطع حرف

النداء عن المنادى يتوافق مع قطع المتكلم لكلامه، علاوة على أن المنادى نكرة مقصودة، فالكلام موجه له، فهو مقصود بالنداء، ولا حاجة إلى استعمال حرف النداء قبل المنادى، وهناك أمر ثالث، وهو أن منزلة هذا الشخص عند الطرف الآخر الذي يستمع لكلامه متدنية؛ لأن في المقابل من هو أعلى قيمة منه، ويفهم ذلك من علاقة التضاد القائمة بين الكروان والنعامة، فاستبعاد حرف النداء في مناداة الشخص المشبه بالكروان يقلل من مكانته، ويجعلها في مرتبة متدنية، يجعل المعنى المستفاد من النداء إلى المشابهة أقرب منه إلى التنبيه، وما كانت هذه الأمور تفهم لولا حذف حرف النداء.

وكذلك الحال في المثل الثالث وما يحتويه من دلالات تداولية كالمثل الثاني، فهذا المثل يضرب للأحمق الذي تمنِّيه الباطلَ فيصدِّق، فالأحمق يتصرف تصرفات لا تؤهله أن يكون إنسانًا كاملاً كغيره من البشر؛ ذلك لما يتمتع به من عقل بسيط ومن تفكير ساذج، مما يجعل غيره يتصرف معه تصرفات تليق بوضعه الذي يعيشه، دون أن يأبه، فيتقبل أي شيء تقوله، ويصدق بأي كلام حتى لو كان محالاً، ولا غرابة أن تمنيه حتى الباطل، فيصدق بذلك دون تفكير أو نقاش، وحماقة المخاطب في المثل السابق تتوافق مع حذف حرف النداء في مضرب المثل، فالأحمق كما أسلفت رجل غير كامل في وجوده بين غيره وفي نظرة الناس إليه، وحذف حرف النداء، وعدم اكتماله يتلاءم مع عدم اكتمال الأحمق، فلكل مقام مقال، ويجب مخاطبة الناس على قدر عقولهم، وقد جاءت من خلال المثل السابق وما يتضمن من معنى تداولي عميق.

أما المثل الرابع فلم يكن ببعيد عن الدلالة التداولية التي اشتملت عليها الأمثال الثلاثة السابقة، فالمثل يضرب لكل مضطر وقع في شدة، ثم هو يبخل أن يفتدي نفسه بشيء من ماله، فيخاطبه غيره بالشفقة، بالرغم أنه ليس مشفقًا على نفسه لبخله وحرصه على المال، وقد جاء المثل بحذف حرف النداء،وهذا يتوافق مع الموقف الذي ضرب فيه المثل؛ ذلك أن المخاطب رجلٌ

مضطر وقع في شدة، وقد يؤدي به ذلك إلى الوقوع في الهلاك، وعليه أن يدفع الفدية التي تخرجه من هذا الموقف، ولا سبيل إلى ذلك إلا بدفع الفدية، فهي الحل الوحيد، وما دام الأمر كذلك، فإن الموقف لا ينتظر منه أن يتردد في الدفع أو يفكر في الأمر، لذلك كان لا بد من مخاطبته بأسلوب قصير لا يأخذ مجالاً في الكلام والنقاش، فبدأ المثل بفعل الأمر الذي يفيد الوجوب لأن تنفيذ الفدية أصبح واجبًا على المضطر، ثم النداء بالنكرة المقصودة التي وجهت لهذا المضطر؛ لأنه المقصود لا غيره، ولم تسبق النكرة المقصودة بحرف النداء، وكأن أسلوب النداء خرج إلى أسلوب الطلب الذي يقوم على فعلين مجزومين، من مثل: ادرسْ تنجح، فصار معنى المثل افتدِ تسترح؛ فالمتكلم ضرب المثل بحذف حرف النداء، حتى لا يدع مجالاً للمخاطب بالتردد أو التفكير، فالموقف لا يحتمل أي تأخير، فالرجل مخنوق ومضيق عليه، وقد جاء أسلوب النداء المضيق بحجمه يتوافق مع هذا الموقف، وهذا المعنى لم يكن يستفاد على هذا النحو، لو لم يكن نداء النكرة المقصودة في هذا المثل بغير حرف النداء.

ومما يدل على وجود هذه الظاهرة واستعمالها ما روي في الأثر الذي رواه أَبُو هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم– قَالَ: "كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ يَغْتَسِلُونَ عُرَاةً يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى سَوْأَةِ بَعْضٍ وَكَانَ مُوسَى – عَلَيْهِ السَّلاَمُ – يَغْتَسِلُ وَحْدَهُ فَقَالُوا وَاللَّهِ مَا يَمْنَعُ مُوسَى أَنْ يَغْتَسِلَ مَعَنَا إِلاَّ أَنَّهُ آدَرُ – قَالَ – فَذَهَبَ مَرَّةً يَغْتَسِلُ فَوَضَعَ ثَوْبَهُ عَلَى حَجَرٍ فَفَرَّ الْحَجَرُ بِثَوْبِهِ – قَالَ – فَجَمَحَ مُوسَى بِإِثْرِهِ يَقُولُ ثَوْبِى حَجَرُ ثَوْبِى حَجَرُ. حَتَّى نَظَرَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ إِلَى سَوْأَةِ مُوسَى قَالُوا وَاللَّهِ مَا بِمُوسَى مِنْ بَأْسٍ . فَقَامَ الْحَجَرُ حَتَّى نُظِرَ إِلَيْهِ – قَالَ – فَأَخَذَ ثَوْبَهُ فَطَفِقَ بِالْحَجَرِ ضَرْبًا"[1].

---

[1] النيسابوري، مسلم بن الحجاج القشيري: **صحيح مسلم**. دار الجيل، بيروت ودار الأفاق الجديدة، بيروت، 183/1.

فالشاهد فيه أن موسى – عليه السلام– نادى الحجر بحذف حرف النداء، ونداؤه لاسم الجنس لمعين "النكرة المقصودة" يدل على أن هذه الظاهرة كانت مستعملة ومتداولة منذ زمن بعيد، وقد بقي هذا الشاهد من الرسوبيات التي تدل على هذا الاستعمال، وعلى أن حذف حرف النداء جائز مع هذا النوع من المنادى.

وحذف حرف النداء مع اسم الجنس لمعيَّن في الحديث ينطوي على معانٍ تداولية عظيمة، فسيدنا موسى –عليه السلام– كان رجلا حييًا، فكان لا يرى متجردًا، ولذلك كان يغتسل وحده، ويبتعد عن قومه بني إسرائيل الذين يغتسلون عراة، ينظر بعضهم إلى سوءة بعض، إلا أنه في أثناء اغتساله في إحدى المرات، وضع ثوبه على حجر، وفرّ الحجر بثوبه، وقد خشي موسى –عليه السلام– من أن تتكشف عورته أمام قومه من بني إسرائيل، فتوجه إلى الحجر بالنداء وهو مفزوع لما حدث، وقد قطع المنادى عن حرف النداء؛ لأن الموقف لا يحتمل ذكر حرف النداء، فلا وقت للمطل عند موسى عليه السلام لنداء الحجر، فهو يريد من الحجر أن يسمعه بأسرع وقت، ويلبي نداءه ويتوقف عن الفرار بثوبه حتى يستر عورته، ولا تتكشف أمام قومه وذلك لحيائه الشديد، فنادى موسى –عليه السلام – الحجر بحذف حرف النداء، وبتكرار النداء، حتى كان له ما أراد.

ومما يدل على وجود هذه الظاهرة واستعمالها أيضا ورودها في الشعر، ومن ذلك بيت الأعشى الذي قال فيه[1]:

وحتى يبيتَ القومُ في الصّفّ ليلةً　　　يقولونَ نوّرْ صبحُ، واللّيلُ عاتمُ

---

[1] الأعشى، ميمون بن قيس: **ديوان الأعشى الكبير**. شرح وتعليق: محمد حسين، مكتبة الآداب بالجماميزت، المطبعة النموذجية، ص77.

لقد قال الأعشى هذا البيت في قصيدة يهجو بها يزيد بن مسهر الشيباني، وجهها له لما وصل إلى قبيلة الأعشى من تحريض ليزيد بن مسهر لبني سيار، فقد هاجمه الأعشى بهذه القصيدة، وهو يطلب إليه أن يدع بني سيار وبني كعب[1].

ويتجلى معنى هذا البيت بوضوح بربطه بالبيتين السابق واللاحق له، ولذلك لا بد من ذكرها مجتمعة، فالأبيات هي:

ولـــنْ تنتهـــوا حتـــى تكـــسّرَ بيننـــا ... رِمَـــاحٌ بِأيْـــدِي شُـــجْعَة ٍ وَقَـــوَائمُ

وحتـــى يبيـــتَ القـــومُ فـــي الـــصّفّ ليلـــةً ... يقولـــونَ نـــوّرْ صبحُ، واللّيـــلُ عـــاتمُ

وقوفـــاً وراءَ الطّعـــنِ، والخيـــلُ تحـــتهمْ، ... تـــشدّ علـــى أكتـــافهنّ القـــوادم[2]

فالشاعر يخاطب يزيد بن مسهر الشيباني بلغة الحرب والقتال، ويقول له: إنكم لن تنتهوا حتى تتكسر بيننا رماح وسيوف، وحتى يبيت القوم في قتال مرير، وقد شدَّت رؤوسهم فوق أكتافهم شدا، تقولون وقد اشتد بكم الكرب، وأجهدكم القتال، (نوّرْ صبحُ)، والليل جاثم طويل، لم ينته إلا أقله[3].

فموطن الشاهد فيه هو قوله: "نور صبح" فقد حذف الشاعر حرف النداء عند ندائه للصبح، وهو اسم جنس لمعيّن، مما يقوي وجود هذه الظاهرة واستعمالها في لسان العرب.

وورود هذا الاستعمال في الشعر والنثر يدل على أن هذا الاستعمال كان موجودا عند العرب، فكما أن العرب نادت النكرة المقصودة "اسم الجنس لمعين"، بوجود حرف النداء، نادته

---

[1] الأصفهاني، أبو الفرج: **الأغاني**. تحقيق: سمير جابر، دار الفكر ، بيروت، ط2، 180/9.

[2] الأعشى: **ديوان الأعشى الكبير**، ص77.

[3] السابق، ص77.

أيضا بحذف حرف النداء، وقد بقيت هذه الشواهد دليلا على وجودها، بل إن هذه الشواهد من الرسوبيات التي حفظت لنا تلك المرحلة من لسان العرب.

رسوبيات في أسلوب الشرط

وقوع جواب الشرط مرفوعًا لا مجزومًا

- ***مَنْ يَكُنْ أبُوهُ حَذَّاءً تُجَدُّ نَعْلاَهُ***[1]

ويضرب لمن كانت له أعوان ينصرونه.

- ***مَنْ يَبْغِ فِي الدِّينِ يَصْلَفُ***[2]

أي مَنْ يَطْلُبُ الدنيا بالدين قلَّ حَظُّه منها، وقال الأصمعي: يعني أنه لا يحظى عند الناس، ولا يرزق منهم المحبة.

لقد جاء هذان المثلان على صورة غريبة في جواب أسلوب الشرط، فقد ورد كلٌّ منهما مكونا من (مَنْ) الشرطية ومن فعل الشرط ومن جواب الشرط، وتكمن الغرابة في مجيء جواب الشرط مرفوعًا، وكان الأجدر به أن يأتي مجزومًا؛ لأن (من) من أدوات الشرط التي تجزم فعلين[3]، وقد وردت بقية الأمثال المبدوءة بـ (من) بجزم فعل الشرط وجوابه، ومن هذه الأمثال:

1. ***مَنْ يَسْمَعْ يَخَلْ***[4]

أي مَنْ يَسْمَع أخبارَ الناس ومعايبَهم يقع في نفسه عليهم المكروه.

2. ***مَنْ يُرِ يَوْمَاً يُرَ بِهِ***[5]

---

(1) الميداني: **مجمع الأمثال**، 355/2.

(2) السابق، 365/2.

(3) ينظر: الأنصاري، ابن هشام : **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، 205/4.**

(4) الميداني: **مجمع الأمثال**، 354/2.

(5) السابق، 359/2.

ويضرب مثلاً لمن يُغَالِبُ الغَلاَّبَ.

3. مَنْ يَرَ الزُّبْدَ يَخَلْهُ مِنْ لبَنٍ[1]

ويضرب للرجل يريد أن يُخفِيَ مالا يُخفىَ.

4. مَنْ يَجْتَمِعْ يَتَقَعْقَعْ عَمَدُهُ[2]

أي لاَ بدَّ من افتراق بعد اجتماع، ويُقَال في معناه: إذا اجتمع القومُ وتقاربوا وقَعَ بينهم الشر فتفرقوا.

5. مِنْ يَمشِ يَرْضَ بماَ رَكِبَ[3]

ويضرب للذي يُضْطَرَّ إلى ما كان يرغب عنه.

فالناظر في الأمثال التي وردت في المجموعة الثانية يجد أن كل مثل من هذه الأمثال قد جاء على نظام أسلوب الشرط؛ إذ بدأ كل منها بـ (من) الشرطية، ومن ثم فعل شرط مجزوم، ومن ثم جواب شرط مجزوم، وهذا هو الحال في عمل (مَنَ) الشرطية؛ إذ تجزم فعلين.

ولكن بالرجوع إلى المجموعة الأولى، يتبين أن (مَنْ) جزمت فعل الشرط ولم تجزم الجواب، ولم يقف الأمر على النثر فقط، بما ورد من أمثال، وإنما ظهر عدم جزم (مَنْ) للجواب في الشعر أيضا، ومن ذلك بيت أبي ذؤيب الهذلي الذي يقول فيه:

فقيل: تحمَّلْ فوق طوقك إنّها مُطَبَّعة منْ يَأتها لا يضِيرُها[4]

فالشاهد فيه: قوله: (لا يضيرها) حيث رفع الفعل المضارع الواقع جوابا[5].

---

[1] الميداني: **مجمع الأمثال**، 363/2.

[2] السابق، 368/2.

[3] السابق، 368/2.

[4] **شرح أشعار الهذليين**، صنعة أبي سعيد الحسن بن الحسين السكري، رواية أبي الحسن علي بن عيسى بن علي النحوي عن أبي بكر أحمد بن محمد الحلواني عن السكري، حققه: عبد الستار أحمد فراج، راجعه محمود محمد شاكر، مكتبة دار العروبة، مطبعة المدني، 208/1

[5] ينظر: الأنصاري، ابن هشام : **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، 209/4.**

وإن ورود المثلين السابقين في تركيبهما في عدم جزم (من) لجواب الشرط، وكذلك ما ورد في بيت أبي ذؤيب الهذلي، لدليل واضح على أنّ مِن العرب من لم يكن يجزم بـ (من) في الجواب، وقد سقط هذا الاستعمال من لسان العرب، وبقيت هذه الشواهد من الرسوبيات التي تمثل تلك المرحلة من الزمن.

ولربما يزيد هذه الظاهرة وجودا، ويدل على صحة تكلم العرب بها، قراءة طلحة بن سليمان لقوله تعالى: ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ ﴾[1]، فقد قرأ طلحة الفعل (يدركُكُم) بالرفع، مع أنه وقع جواب شرط، وكان حقه الجزم.

(1) النساء: 78.

الفصل الثاني

البناء والتركيب في الأمثال العربية

أغنت الأمثال العربية كتب النحو المختلفة؛ لما شكلته من جدل دار بين النحاة؛ كخروجها عن المألوف في بعض الأحيان؛ وذلك لأنها قد قيلت بلهجات مختلفة، مما أدى إلى اختلاف تراكيبها بين لهجة وأخرى، فكان هذا الاختلاف مدعاة لاختلاف النحاة في تأويل تلك التراكيب لتوافق قواعدهم التي وضعوها أصولا لمدارسهم وأسسًا ثابتة في مسيرة تاريخ هذه المدارس، كما أن هذه الأمثال أسهمت في تدعيم بعض القواعد؛ بالاستشهاد بها جنبا إلى جنب مع الشواهد الأخرى، كالآيات القرآنية، والأشعار العربية، بالرغم من عدم حضورها الواسع كما كان لغيرها.

ولما كانت الأمثال على هذا النحو من الأهمية؛ فقد رأى الباحث أن يدرس في هذا الفصل بناء وتركيب المثل العربي، موزعا الدراسة على جانبين، هما: **الأول:** خصصه الباحث لبحث الإشكالية في تركيب المثل بخروجه عن القياس النحوي، ومن ثم عرض الآراء النحوية التي دارت حول هذه الإشكالية، مرجحا الرأي الأقوى في تفسير هذه الإشكالية، **والثاني:** خصصه الباحث لعرض الأمثال التي أسهمت بتراكيبها في تدعيم بعض قواعد النحو؛ لما تركته من أثر في الاستشهاد على صحة القاعدة التي ذهب إليها أصحابها.

أولا: الإشكالية في تركيب المثل العربي وتأويل النحاة لها

الأمثال كالشعر، يتحملان الضرورات، ويُتسامح فيهما ما لا يتسامح في غيرهما من أنواع الكلام؛ أما الشعر فلأنه محكوم بوزن معين، وقافية معينة، قد يضطران الشاعر إلى الخروج عن قياس اللغة والنحو، أما الأمثال فلأن العرب كانوا حريصين على أن يوفروا لها ضروبًا من الحِلى اللفظية، كالسجع والازدواج وغيرهما؛ حتى تكون أوقع في النفس، وأخف على السمع، فكان هذا يضطرهم أحيانا إلى الخروج عن القياس، والتضحية بما جرت به عادةُ اللغة[1].

[1] ينظر: قطامش، عبد المجيد: **الأمثال العربية دراسة تاريخية تحليلية**. دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق، ط1، 1988، ص208.

ومن ناحية أخرى كان بعض الأمثال يصدر عن فئات من الأمة، لا تحكم أمر اللغة، ولا تتقن قواعدها، كالعامة والنساء، فيقع اللحن في تلك الأمثال، ثم تسير بين الناس بلحنها دون التعرض لها بالإصلاح؛ لأن الأمثال لا تغيّر عما جاءت عليه عن العرب، حتى ولو كانت ملحوظة[1].

ولما انطوت الأمثال في بعض تراكيبها على هذه الصورة من الخروج عن المألوف في القواعد النحوية والتمرد عليها، ثم لما أحدثته هذه الانكسارات اللغوية من جدل بين النحاة لإخضاع تلك التراكيب لقواعدهم المرسومة حدودها؛ فقد عني الباحث في هذا الجانب من الفصل لبحث بعض صور الإشكالية في تركيب المثل العربي، والوقوف على الآراء النحوية المفسرة لإشكاليات بعض صور تراكيب الأمثال، والخروج بتفسير يكون أكثر صوابًا من غيره، وأدق مذهبًا في تأويله، بما ينطوي عليه من منهجية تكون إلى السداد أقرب.

جاء في المثل العربي:

- **عَسَى الْغُوَيْرُ أَبْؤُسًا**

يضرب هذا المثل للرجل يقال له: لعلّ الشر جاء من قبلك[2].

إن الإشكالية في هذا المثل هي أن القياس النحوي أن يكون خبر (عسى) وسائر أفعال الرجاء والمقاربة والشروع جملة فعلية فعلها مضارع، ولقد خالف القياس النحوي؛ فجاء في المثل مفردًا.

ولقد ذهب النحاة مذاهب شتى لتوجيه الشاهد حتى يوافق القياس النحوي، فوجهه سيبويه على أن (عسى) هنا قد حملت على (كان) فعملت عملها[3].

---

[1] ينظر: قطامش: **الأمثال العربية دراسة تاريخية تحليلية**، ص208.

[2] الميداني: **مجمع الأمثال**، 21/2.

[3] ينظر: سيبويه: **الكتاب**، 158/3-159.

واستشهد سيبويه لذلك بثلاثة أبيات، هي:

– عـسى الكَـرْبُ الـذي أمـسيتُ فيـه   يكـــونُ وراءَهُ فَـــرَجٌ قَرِيـــبُ[1]

– عَسَى اللَّهُ يَغنى عَنْ بـلادِ ابنِ قـادِرٍ   بمُنْهَمـرٍ جَـوْنِ الرَّبـابِ سَـكوبِ[2]

– فَأَمّـــا كَـــيّسٌ فَنَجَـــا وَلكـــنْ   عَـسَى يَغْتَـرُّ بِـي حَمِـقٌ لَئـيمُ[3]

يرى سيبويه أن العرب أجرت (عسى) مجرى (كان) في الأبيات الثلاثة السابقة؛ بأن وقع خبر (عسى) في الأبيات جملة فعلية مجردًا من (أن)، وعلى ذلك فلا غرابة أن يجري المثل في (عسى) مجرى (كان)؛ إذ يصح أن يجيء الخبر مفردا، كما وقع ذلك في خبر (كان).

وذهب ابن هشام في تعليقه على المثل إلى: أنه مما حذف فيه الخبر: أي يكون أبؤسا؛ لأن في ذلك إبقاء لها على الاستعمال الأصلي[4].

وذكر ابن هشام في موضع آخر أن سيبويه قد خرجه على أن "أبؤسا" خبر (عسى)، وذكر ذلك يجري مجرى الضرورة، ومراجعة الأصول المهجورة. وجعل ابن الأعرابي"أبؤسا" منصوبًا بفعل محذوف، وقدره: عسى الغوير يصير أبؤسًا، وقدره الكوفيون: عسى الغوير أن يكون أبؤسا، ولا فرق بين تقدير ابن الأعرابي وتقدير الكوفيين إلا في ذكر (أن) المصدرية[5] التي يغلب اقتران الفعل المضارع الواقع خبرًا لعسى بها، وهو حسن بالنظر إلى تحقق ما هو الأصل، وذهب قوم إلى أن "أبؤسا": مفعول به لفعل محذوف، وقدروه: يأتي بأبؤس، ولو قدروه: يأتي أبؤسا؛ لقلت المحذوفات، ولعلهم غفلوا عن أن "أتى" يتعدى إلى المفعول به بنفسه.

---

(1) الشاهد لهدبة بن الخشرم في: **معجم شواهد النحو الشعرية**: رقم (121).

(2) السابق، رقم (321).

(3) الشاهد للمرار بن سعيد الأسدي في: **معجم شواهد النحو الشعرية**: رقم (2493).

(4) ينظر: الأنصاري، ابن هشام : **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، 175/1.

(5) هذه ليست المصدرية، وإنما هي الناصبة للفعل المضارع؛ حتى لا يكون الخبر مصدرًا مؤولاً.

وقال ابن هشام بعد حكاية هذه الأقوال: وأحسن من ذلك كله أن يقدر: عسى الغوير يبأس أبؤسا، فيكون مفعولا مطلقًا، ويكون مثل قوله تعالى ﴿فَطَفِقَ مَسْحًا﴾[1]؛ أي: يمسح مسحا. فحذف الفعل وناب المصدر[2].

وذهب السيوطي إلى أن معناها في هذا المثل الإشفاق من المكروه، ورأى أن الخبر جاء من الندرة، إذ وقع اسما مفردا[3]، واستشهد بالبيتين التاليين:

- **أَكثَرْتَ في العَذْلِ مُلِحّاً دَائِمَا لاَ تُكْثِرَنْ إنِّي عَسَيْتُ صَائِمَا**[4]
- **فأُبْتُ إلى فهمٍ وما كدتُ آيِباً وكَمْ مِثْلَها فَارَقْتُهَا وَهْيَ تَصْفِرُ**[5]

وعقب على المثلين بقوله: "وهذا تنبيه على الأصل، لئلا يجهل"[6]

وإن المتتبع للآراء السابقة يرى أن هذه الآراء قد جمعت في خمسة مذاهب: **أولها:** خبر (عسى)، **وثانيها:** خبر (يصير محذوفة)، **وثالثها:** خبر (الكون المحذوفة)، **ورابعها:** مفعول به لفعل محذوف، **وخامسها:** مفعول مطلق عامله محذوف.

وبالنظر في الآراء السابقة يتضح أن قول سيبويه كان موافقًا للقياس أكثر من غيره؛ فخبر (عسى) في المثل جاء اسمًا مفردا على أصله، وليس من المنطق أن يترك الأصل، ويؤخذ بتأويل أو بتخريج آخر، فسيبويه عدّ خبر (عسى) في هذا المثل مفردًا كما هو الحال في خبر (كان وأخواتها)، وإن ذكر أن ذلك يجري مجرى الضرورة، فمراعاة الأصل وإن كان ضرورة أقرب إلى الصواب، من اللجوء إلى التأويل الذي لا مسوغ له.

---

[1] ص: 33.

[2] ينظر: الأنصاري، ابن هشام : **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك**، 304/1.

[3] ينظر: السيوطي: **همع الهوامع**، 131/2.

[4] الشاهد لرؤبة في: **مجموع أشعار العرب وهو مشتمل على ديوان رؤبة**: ص185.

[5] الشاهد لتأبط شرا في: **معجم شواهد النحو الشعرية**، حنا جميل حداد، الرياض، دار العلوم للطباعة والنشر، 1984، رقم (914).

[6] ينظر: السيوطي: **همع الهوامع**، 131/2.

- ***لَيْتَ القِسِيَّ كُلَّهَا أرجُلاً***

يضرب هذا المثل للمتمني مُحَالاً[1].

تنبع الإشكالية في هذا المثل من أنّ "ليت" نصبت الجزءين؛ إذ وقع اسمها وخبرها منصوبين، مع أن القياس النحوي في (إن وأخواتها) أن تنصب الاسم وترفع الخبر.

وقيل نصب (أرجلا) هي لغة تميم، يُعْمِلُون "ليت" عمل "ظن" فيقولون: ليت زيدًا شاخصًا، كما يقولون: ظننت زيدًا شاخصًا[2].

لقد قيل في هذا الشاهد، وما جاء على نحوه مما وقع منصوبًا فيه الخبر بعد (إن وأخواتها) إن نصب الجزءين لغة[3].

وقيل أيضا إنه سمع من العرب نصب الجزءين بعدها. فقيل: هو مؤول، وعليه الجمهور، وقيل: سائغٌ في الجميع، وأنه لغة، وعليه أبو عبيد القاسم بن سلام، وابن الطراوة، وابن السيد، وقيل: خاص بليت، وعليه الفراء[4]، ومن الوارد في ذلك قوله:

1- إذَا التف جُنْحُ الليلِ فَلْتَأتِ وَلْتَكُنْ ... خُطَاكَ خِفَافاً إنَّ حُرَّاسَنا أُسْداً [5]

2- إنَّ العجوز خِبّةً جَرُوزَا ... تأكل ما في مقعدها قفيرا[6]

3- كأنَّ أُذْنَيْه إذا تشَوَّفا ... قادمةً ، أوْ قَلَماً مُحرَّفَا[7]

4- ألا يا لَيْتني حجراً بوَادٍ ... أقام وليت أمي لم تلدني[8]

5- يا ليت أيّام الصِّبا رَوَاجعا ....[9]

---

[1] الميداني: **مجمع الأمثال**: 222/2.

[2] السابق: 222/2.

[3] ينظر: الأنصاري، ابن هشام : **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، 46/1.

[4] ينظر: السيوطي: **همع الهوامع**، 156/2.

[5] البيت لعمر بن أبي ربيعة، وهو ليس في ديوانه، وهو من شواهد: السيوطي: **همع الهوامع**، 156/1.

[6] البيت بلا نسبة؛ من شواهد: السيوطي: **همع الهوامع**، 156/1.

[7] البيتان لرؤبة في: ملحق ديوانه، ص 175. ومن شواهد: ابن هشام الأنصاري: **مغني اللبيب**، 217/1.

[8] البيت مجهول القائل؛ من شواهد: السيوطي: **همع الهوامع**، 156/1.

[9] البيت للعجاج، وليس في ديوانه، وهو من شواهد: السيوطي: **همع الهوامع**، 156/1.

وسمع: "لعل زيدا أخانا"[1].

وقد أول الجمهور ذلك وشبهه على الحال، أو إضمار فعل، وحذف الخبر[2].

وقد وجهه سيبويه في باب (هذا باب ما يحسن عليه السكوت في هذه الأحرف الخمسة)، بأن قدره: يا ليت أيام الصبا أقبلت رواجعَ[3].

فحذف الخبر واضح عند سيبويه.

وقال ابن يعيش: "وكان بعضهم ينصب الاسم والخبر بعد ليت تشبيهًا بوددت وتمنيت؛ لأنها في معناها، وهي لغة بني تميم يقولون: ليت زيدًا قائمًا[4].

إن الآراء السابقة في غالبها تكاد تجمع على أن نصب الجزءين هي لغة قوم من العرب، بل إن هذه اللغة هي لغة تميم، التي وقع في لسانها نصب الاسم والخبر، سواء كانت تميم تنصب الجزءين بعد (إن وأخواتها) بشكل عام، أم كانت تعمل (ليت) عمل (ظن)، أو تشبيهًا بـ "ودَّ ، وتمنى"، فنصب الجزءين بعد (ليت) بشكل خاص هو من خواص لغة تميم التي تميزها عن غيرها من اللغات، إذ كانت كل لغة يسجل لها من الظواهر ما لا يسجل لغيرها.

- ***اليَوْمَ خَمرٌ وغَداً أمْرٌ***

ويضرب للدول الجالبة للمحبوب والمكروه[5]

تتبع الإشكالية في هذا المثل في أن خبر المبتدأ وقع ظرف زمان بالرغم من أن المبتدأ اسم عين، والقياس النحوي يقتضي عدم جواز الإخبار عن اسم عين بظرف زمان إلا إذا أفاد. وفي ذلك قال ابن مالك:

---

[1] ينظر: السيوطي: **همع الهوامع**، 156/2.

[2] السابق، 156/2.

[3] سيبويه: **الكتاب**، 141/2-142.

[4] ابن يعيش: **شرح المفصل**، تحقيق إميل يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2001، 261/1.

[5] الميداني: **مجمع الأمثال**، 495/2-496.

ولا يكــون اســم زمــان خبــرا عـــن جثـــة وإن يفـــد فـــأخبرا [1]

إن ظرف الزمان لا يقع خبرًا عن الجثة، إلا إذا أفاد، نحو: (الليلة الهلالُ) و(الرُّطب شهري الربيع) فإن لم يفد لم يقع خبرًا عن الجثة، نحو: (زيدٌ اليوم) وإلى هذا ذهب قوم منهم المصنف، وذهب البصريون إلى المنع مطلقا، فإن جاء شيء من ذلك يؤول، نحو قولهم: (الليلة الهلالُ) و(الرُّطب شهري الربيع)، والتقدير طلوع الهلال الليلة، ووجود الرُّطب شهري الربيع، بينما تكون الإفادة عند المصنف ومن ذهب مذهبه كقولك: (نحن في يوم طيب، وفي شهر كذا)، فإن لم يفد منع، نحو: (زيد يوم الجمعة)[2].

وإلى ذلك ذهب أيضا السيوطي؛ إذ رأى أن المشهور أن ظرف الزمان لا يجوز الإخبار به عن اسم عين، وأن ما ورد من ذلك مؤول على حذف مضاف كقولهم: (اليومَ خمر، وغدًا أمرٌ)؛ أي شرب خمر، و(الليلة الهلالُ)؛ أي طلوعه[3].

وخلاصة القول في هذا الموضوع أن الفائدة من الإخبار باسم الزمان عن اسم الجثة تحصل بأحد أمور ثلاثة، **أولها:** أن يتخصص اسم الزمان بوصف أو بإضافة، ويكون مع ذلك مجرورا بفي، نحو قولك: (نحن في يوم قائظ، ونحن في زمن كله خير وبركة)، ولا يجوز في هذا إلا الجر بفي، فلا يجوز أن تنصب الظرف ولو أن نصبه على تقدير (في)، **وثانيها:** أن يكون الكلام على تقدير مضاف هو اسم معنى، نحو قولهم: (الليلةُ الهلالُ) فإن تقديره (الليلة طلوع الهلال)، ونحو قول امرئ القيس: (اليومَ خمرٌ، وغدًا أمرٌ)، فإن التقدير عند النحاة في هذا المثل: اليوم شرب خمر، **وثالثها:** أن يكون اسم الجثة مما يشبه اسم المعنى في حصوله وقتا بعد وقت،

---

[1] ابن عقيل: **شرح ابن عقيل**، 200/1.

[2] ينظر: السابق، 201/1.

[3] ينظر: السيوطي: **همع الهوامع**، 23/2.

نحو قولهم: (الرُّطب شهري ربيع)، و(الورد أيار)، ويجوز في هذا النوع أن تجره بفي، فتقول: (الرطب في شهري ربيع)، و(الورد في أيار)[1].

- **مُكْرَهٌ أخاكَ لا بَطَلٌ**

يضرب لمن يُحمل على ما ليس من شأنه[2].

وقعت الإشكالية في هذا المثل بمجيء كلمة(أخاك) بالألف، مع أنها في موقع رفع، والقياس النحوي يقتضي أن تكون كلمة (أخاك) بالواو في حالة الرفع لكونها أحد الأسماء الستة.

إن مجيء (أخاك) بالألف في موضع رفع، يدل ذلك على أن المتكلم رفعه بضمة مقدرة على الألف كالأسماء المقصورة[3].

فعلى هذا التخريج تكون الألف في كلمة (أخا) من قبيل الألف التي تختم بها الأسماء المقصورة التي تقدر عليها حركات الإعراب، لا ألف الأسماء الستة التي تنوب عن الفتحة في حالة النصب.

- ***جاء القوم قَضُّهم بقضيضِهم***[4]

- ***ذهبوا أيدِيْ سَبأ، وتفرقوا أيدي سبأ*** [5]

- ***مَرَرْتُ بهِم الجَمّاءَ الغَفيرَ*** [6]

تنطوي هذه الأمثال على إشكالية مفادها وقوع الحال معرفة، مع أن القياس النحوي أن تكون الحال نكرة.

---

[1] ينظر: ابن عقيل: **شرح ابن عقيل**، 201/1 (الحاشية).

[2] الميداني: **مجمع الأمثال**، 374/2.

[3] ينظر: الأنصاري، ابن هشام : **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك**، 49/1.

[4] الميداني: **مجمع الأمثال**، 214/1.

[5] السابق، 351/1.

[6] السابق، 320/2.

ورد المثل الأول "***جاء القوم قَضُّهم بقضيضِهم***" عند سيبويه في باب (هذا باب ما جعل من الأسماء مصدرًا كالمضاف في الباب الذي يليه)، فقال: ومررت بهم قضهم بقضيضهم، كأنه يقول: مررت بهم انقضاضاً. فهذا تمثيل وإن لم يتكلم به[1].

ويعلل سيبويه سبب ذكر الانقضاض في (قضّهم)؛ بأنه إذا قال: قضهم فهو مشتق من معنى الانقضاض، فكأنه يقول: انقضّ آخرهم على أولهم[2].

ثم يذكر سيبويه أن بعض العرب يجعل قضَّهم بمنزلة كلّهم، يجريه على وجوه الاتباع من الرفع والنصب والجر[3].

يبدو مما تقدم عند سيبويه في تأويل المثل السابق، أنه يميل إلى تأويل الحال المعرفة باللجوء إلى أقرب مصدر يلائم تلك الحال، ثم بجعلها نكرة كما يتطلب القياس النحوي في الأوصاف التي تقع عليها الحال.

ولا غرابة فيما أورده سيبويه عن بعض العرب ممن يجعل (قضّهم) بمنزلة (كلّهم)؛ لأن ذلك يتوافق مع رواية المثل، إذ وردت إحدى الروايتين بالرفع، فالإتباع في هذا المثل يقوي من المعنى الذي أراده صاحب المثل، فالقوم جاءوا كلهم دون تخلف من أحدهم.

أما المثل الثاني "**ذهبوا أيدِيْ سَبأ**"، فقد أوّل بتقدير: **(مثل)** أو **(تبددا لا بقاء معه)**[4].

ولكن تأويل الحال المعرفة بتقدير "مثل" لا يخرج الحال إلى دائرة التنكير؛ إذ تبقى معرفة بالإضافة إلى "أيدِيْ سَبأ"، ولذلك يكون التأويل الثاني "تبددا لا بقاء معه" أكثر صوابًا في التأويل لأنه يخرج الحال من دائرة المعرفة إلى دائرة النكرة، مما يوافق القياس النحوي.

---

(1) سيبويه: **الكتاب**، 374/1-375.

(2) ينظر: السابق، 375/1.

(3) ينظر: السابق، 375/1.

(4) ينظر: السيوطي: **همع الهوامع**، 19/4.

وأما المثل الثالث "**مَرَرْتُ بهِم الجَمّاءَ الغَفِيرَ**" فقد ورد عند سيبويه في باب "هذا باب ما يجعل من الأسماء مصدرا كالمصدر الذي فيه الألف واللام نحو العراك" وهو قولك: مَرَرْتُ بهِم الجَمّاءَ الغَفِيرَ، فهذا ينتصب كانتصاب العراك[1].

وزعم الخليل – رحمه الله– أنهم أدخلوا الألف واللام في هذا الحرف وتكلموا به على نية مالا تدخله الألف واللام، وهذا جعل كقولك: مررت بهم قاطبة ومررت بهم طرا، أي جميعا؛ إلا أن هذا نكرة لا يدخله الألف واللام، كما أنه ليس كل المصادر بمنزلة العراك، كأنه قال: مررت بهم جميعاً. فهذا تمثيل وإن لم يتكلم به. فصار طرا وقاطبة بمنزلة (سبحان الله) في بابه، لأنه لا يتصرف كما أن طراً وقاطبة لا يتصرفان، وهما في موضع المصدر، ولا يكونان معرفةً، ولو كانا صفةً لجريا على الاسم أو بنيا على الابتداء فلم يوجد ذا في الصفة. وقد رأينا المصادر قد صنع ذا بها لأنها لا تصرف، فشبه هذا بها[2].

وزعم يونس أن الجماء الغفير كقولك: جميعًا وعامة[3].

وذهب ابن هشام إلى أن هناك أوصافًا للحال، منها: أن تكون نكرة لا معرفة، وذلك لازم؛ فإن وردت بلفظ المعرفة أولت بنكرة، ومنها "جاءوا الجماء الغفير" أي جميعا، ثم ذكر أنهم قالوا في هذا المثل "جاءوا جماءً غفيرًا" فأتوا به منكرًا على الأصل في الحال، والمعرف على التأويل بالنكرة[4].

---

[1] سيبويه: **الكتاب**، 375/1.

[2] ينظر: السابق، 376/1.

[3] ينظر: السابق، 377/1.

[4] ينظر: الأنصاري، ابن هشام : **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك**، 300/2–304.

ذهب السيوطي أيضا إلى ما ذهب إليه ابن هشام؛ إذ ذكر أنه ورد عن العرب أحوال مقترنة باللام كقولهم: مررت بهم الجماء الغفير، وادخلوا الأولَ فالأولَ وقرئ:﴿ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ﴾[1]، وهي مؤولة على زيادة اللام[2].

يتضح مما تقدم أن النحاة ذهبوا في ما جاء من الحال معرّفًا بـ (أل) مذهبين؛ **فالمذهب الأول**: ذهب إلى تأويل الحال في المثل السابق وما شابهه من المعارف إلى تنكير الحال بنكرة توافق المعنى المراد بتلك الحال، كتأويلهم "الجماء الغفير" إلى "جميعًا، وعامة، وقاطبة، وطرا"، بينما ذهب **المذهب الثاني** إلى تأويل الحال في هذا النوع من الحال المعرفة بحال نكرة على إسقاط لام التعريف، مما يجعل الحال نكرة كما هو الأصل الذي يقتضيه القياس النحوي.

ويتضح أيضا مما تقدم من آراء في هذه الأمثال الثلاثة، وقوع الحال نكرة، وعند وقوعها معرفة، فإنها تؤول بنكرة، حتى توافق القياس النحوي في وقوع الحال قي كلام العرب.

- ***افْتَدِ مَخْنُوقُ*** [3]

يضرب لكل مَشْفُوق عليه مضطر.

- ***أَصْبِحْ لَيْلُ*** [4]

يقال ذلك في الليلة الشديدة التي يَطُول فيها الشر.

- ***أَطْرِقْ كَرَا إِنَّ النَّعَامَةَ فِي الْقُرَى*** [5]

---

[1] المنافقون: 8.

[2] ينظر: السيوطي: **همع الهوامع**، 19/4.

[3] الميداني: **مجمع الأمثال**، 94/1.

[4] السابق، 506/1.

[5] الميداني: **مجمع الأمثال**، 541/1.

يضرب للذي ليس عنده غَنَاء ويتكلم فيقال له: اسكت وتَوقّ انتشار ما تلفظ به كراهة ما يتعقبه.

- *أَطْرِقْ كَرَا يُحْلَبْ لَكَ* [1]

يضرب للأحمق تمنّيه الباطلَ فيصدّق.

تتبع الإشكالية في هذه الأمثال من حذف حرف النداء عند نداء النكرة المقصودة "اسم الجنس المعين"، والنحاة في ذلك آراء، وتتمثل الآراء على النحو التالي:

أولا: جواز حذف حرف النداء مع اسم الجنس المعين، وهو مذهب الكوفيين[2]، وهو عندهم مقيس مطرد[3].

ثانيا: جواز حذف حرف النداء مع اسم الجنس المعين، ولكن على قلة، وممن ذهب هذا المذهب سيبويه، وابن مالك، وابن هشام[4]، وابن عقيل[5].

فابن مالك يجيز الحذف في هذا الموضع، وقد جاء ذلك صريحا في كتاب (شرح الكافية الشافية) حين قال: "يجوز الاستغناء عن حرف النداء إن لم يكن المنادى اسم الله، ولا مضمرًا، ولا مستغاثًا به، ولا اسم جنس مفردًا غير معين .... فإن قصدت واحدًا معينًا فالأكثر ألا يحذف الحرف، وقد يحذف في الكلام الفصيح ....، والبصريون يرون هذا شاذًا لا يقاس عليه، والكوفيون يقيسون عليه، وقولهم في هذا أصح ...."[6]، فابن مالك يرى أن الأكثر امتناع حذف حرف النداء

---

[1] الميداني: **مجمع الأمثال، 1**/541.

[2] ينظر: الأنصاري، ابن هشام : **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك**، 14/4، الأزهري، خالد: **شرح التصريح على التوضيح**. دار الفكر، بيروت، 174/2، ابن مالك: **شرح الكافية الشافية**. 1290/3.

[3] ينظر: ابن مالك: **شرح الكافية الشافية**، 1291/3.

[4] ينظر: الأنصاري، ابن هشام : **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك**، 14/4.

[5] ينظر: ابن عقيل: **شرح ابن عقيل**، 234/2.

[6] ابن مالك: **شرح الكافية الشافية**، 1290/3-1291.

النداء مع اسم الجنس المعين، لكنه جائز على قلة، ويظهر ذلك في قوله: "وقد يحذف في الكلام الفصيح"[1].

وقد أشار إلى ذلك في الألفية:

- **وغَيْــرُ مُنْــدُوبٍ ومُــضْمَر ومــا جــا مُـسْتَغَاثًا قـد يُعَـرَّى فاعْلَمـا**
- **وَذَاكَ فى اسْمِ الجِنْسِ وَالْمُشَارِ لَـهْ قَـلَّ وَمَـنْ يَمْنَعْـهُ فَانْـصُرْ عَاذِلَـهْ**[2]

ثالثا: امتناع حذف حرف النداء مع اسم الجنس المعين، وهو مذهب البصريين[3]، وأكثر النحاة[4]، وحملوا ما ورد في الشعر على الضرورة، وفي النثر على الشذوذ[5].

وحجة البصريين في منع حذف حرف النداء مع اسم الجنس المعين ذكرها الصيمري بقوله: "فالمنادى إذا كان قريبا منك، ولم تحتج في ندائه إلى مد الصوت جاز أن تحذف حرف النداء .... وهذا مطرد في جميع الأسماء إلا النكرة والمبهم، فلا يجوز إسقاط حرف النداء معهما؛ لأنهما يكونان نعتًا لأي، كقولك: يا أيهذا أقبل .... وإذا قلت: يا رجلُ، و: يا هذا، فقد حذفت الموصوف وأقمت الصفة مقامة، فلو حذفت (يا) منهما، فقلت: هذا أقبلُ، لكنت قد أجحفت بالاسم إذ حذفت الموصوف وحرف النداء جميعًا"[6].

يبدو مما تقدم من الآراء السابقة، أن مسألة حذف حرف النداء مع اسم الجنس المعين مسألة خلافية بين النحاة، فقد اختلفت مذاهبهم في الحذف وعدمه، مستندين إلى حججهم وبراهينهم

---

[1] هنادي، محمد بن عبد القادر: **ما خالف القياس في باب النداء.** مركز النشر العلمي، جامعة الملك عبد العزيز، جدة العدد 17، ص6.

[2] ابن عقيل: **شرح ابن عقيل،** 234/2.

[3] ينظر: ابن مالك: **شرح الكافية الشافية،** 1291/3، السيوطي: **همع الهوامع،** 43/3.

[4] ينظر:ابن عقيل: **شرح ابن عقيل،** 234/2.

[5] ينظر: الأنصاري، ابن هشام : **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك،** 14/4.

[6] الصيمري: **التبصرة والتذكرة.** تحقيق: فتحي أحمد علي الدين، نشر مركز البحث العلمي، أم القرى، ط1، 1982، 357/1-358.

في الدفاع عن آرائهم، وأنه بعد النظر في الآراء السابقة فلا سبيل إلى القول بالمنع مطلقا ولا إلى القول بالجواز مطلقا، فالمنع لا يؤخذ به لورود الشواهد الشعرية والنثرية التي تدحض هذا المنع، كما أن الجواز مطلقا لا يحكم عليه بذلك؛ لقلة الشواهد الشعرية والنثرية التي جاءت تدعم هذا الجانب، ولذلك فإن القول بالجواز مع قلته في حذف حرف النداء مع اسم الجنس المعين حكم ينصف النحاة في هذه المسألة، وهذا ما ذهب إليه نحاة الفريق الثاني، فكانوا إلى الصواب أهدى سبيلا.

ثانيا: الشواهد من الأمثال

استشهد النحاة على تراكيب اللغة المختلفة بالأمثال العربية القديمة، شأنهم في ذلك شأن الاستشهاد بالشعر العربي، إلا أن الاستشهاد بالشعر العربي كان ذا حظ وفير، وحضور أكثر في الاستشهاد على تراكيب اللغة وقواعدها، ومع ذلك فقد تركت الأمثال أثرًا لا ينكر فضله في بناء بعض التراكيب والقواعد النحوية، بل إن بعضها كان له أثر عظيم في ترسيخ قاعدة، ربما لم يكن لغيره من الشواهد حظٌّ في الاستدلال على صحة القاعدة سواه.

ورغم أن النحاة لم يستكثروا من الأمثال العربية استكثارهم من الشعر القديم في الاستشهاد على تراكيب اللغة، فقد سطرت جانبا لا بأس به في كتب النحو العربي، ورسخت قواعد لا يستهان بها بورودها في الاستشهاد على تلك القواعد، ففي كتاب سيبويه منها نحو اثنين وعشرين مثلا، وفي كتاب (الخصائص) لابن جني نحو ثلاثة عشر مثلا، وفي كتاب (مغني اللبيب) لابن هشام نحو اثنين وعشرين مثلا، بينما استشهد ابن يعيش في (شرح المفصل) بنحو تسعين مثلا[1].

[1] ينظر: قطامش: **الأمثال العربية دراسة تاريخية تحليلية**، ص 230.

وسوف يعرض الباحث في هذا الجزء من الفصل جانبًا من الأمثال العربية التي استشهد بها على بعض تراكيب النحو، مما جاء في كتب النحو العربي، واقفا على الأثر الذي تركته الأمثال العربية في ترسيخ تلك القواعد.

الأول: باب المبتدأ والخبر

جواز الابتداء بالنكرة

جاء في لسان العرب قولهم: "**شَرٌّ أَهَرَّ ذَا نَابٍ**". ويضرب في ظهور أمارات الشر ومخايله[1].

ذكر سيبويه هذا المثل في باب (باب يختار فيه أن تكون المصادر مبتدأة مبنيًا عليها ما بعدها وما أشبه المصادر من الأسماء والصفات)، وقد قدّم المثل عند تفسيره لقوله: شيء ما جاء بك، فإنه يحسن وإن لم يكن على فعل مضمر، لأن فيه معنى ما جاء بك إلا شيء. وإن المثل مشابه للمثال السابق فكأن العرب قالت: "ما أهر ذا ناب إلا شرٌّ"[2].

جاء سيبويه بالمثل ليدل على جواز الابتداء بالنكرة إذا أفادت، وقد أفادت النكرة عند سيبويه لأنها في معنى الحصر.

وذكر ابن عقيل في شرحه للألفية هذا المثل ، حينما تحدث عن مسوغات الابتداء بالنكرة إذا أفادت، وكان المثل تحت مسوغ: أن تكون النكرة في معنى المحصور كما ورد عند سيبويه، إلا أن ابن عقيل ذكر قولا آخر، بتقدير آخر هو: " شرّ عظيم أهرّ ذا ناب"، فيكون داخلا في قسم ما جاز الابتداء به لكونه موصوفا؛ لأن الوصف أعم من أن يكون ظاهرا أو مقدرا، وهو هنا مقدر[3].

---

[1] الميداني: **مجمع الأمثال**، 467/1.

[2] ينظر: سيبويه: **الكتاب**، 328/1-329.

[3] ينظر: ابن عقيل: **شرح ابن عقيل**، 207/1.

ولم يبتعد ابن هشام والسيوطي عما ذهب إليه ابن عقيل في استشهاده بهذا المثل ، فقد أورداه تحت مسوغ: أن تكون النكرة موصوفة لفظًا أو تقديرًا أو معنى، وقد جاء المثل على النوع الثاني من النكرة الموصوفة والتقدير عنده: (شرٌّ أيُّ شر) و("شرّ عظيم)[1].

وبصرف النظر عن اختلاف النحاة في تأويلهم لهذا المثل، فإنه يقدم صورة من صور الابتداء بالنكرة التي لا يجوز الابتداء بها إلا إذا أفادت، وقد حصلت الفائدة بالحصر وبالوصف.

الثاني: باب كان وأخواتها

جاء في كلام العرب: **إن لا حَظِيَّةً فَلا أَلِيَّةً**

ونصب حظيَّةً وأليَّةً على تقدير إلاّ أكُنْ حظيةً فلا أكون أليَّةً. وقال أبو عبيد: أصل هذا في المرأة تَصْلَفُ عند زوجها فيقال لها: إن أخطأتْكِ الحُظْوة فلا تألِي أن تتودَّدي إليه.

ويضرب في الأمر بمُداراة الناس ليدرك بعض ما يحتاج إليه منهم[2].

ورد هذا المثل عند سيبويه في باب (ما يضمر فيه الفعل المستعمل إظهاره بعد حرفٍ)[3]، وقد استشهد به على جواز حذف (كان) مع اسمها، وتقدير الكلام عنده: إن لا أكن عنده حظية فلا أكون عنده ألية، وذلك إذا عنت المرأة نفسها[4].

كما استشهد سيبويه أيضا بالمثل: ***(قَدْ قِيلَ ذَلِكَ إنْ حَقًا وإنْ كَذِبًا)***[5]، على جواز حذف (كان) مع اسمها متمثلاً قول النعمان بن المنذر:

قَدْ قِيلَ ذَلكَ إنْ حَقاً وإنْ كَذِباً فَمَا اعْتِذَارُكَ عَنْ شَيءٍ إذا قِيلا[6]

---

[1] ينظر: الأنصاري، ابن هشام : **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، 29/2، السيوطي: **همع الهوامع**: 28/2.
[2] الميداني: **مجمع الأمثال**، 50/1.
[3] ينظر: سيبويه: **الكتاب**، 258/1.
[4] ينظر: السابق، 261/1.
[5] الميداني: **مجمع الأمثال**، 50/1.
[6] الشاهد للنعمان بن المنذر في: **معجم شواهد النحو الشعرية**: رقم (2139).

فالشاهد فيه نصب (حقًا) و(كذبًا) بإضمار فعل يقتضيه الشرط، تقديره (كان)[1].

كما استشهد السيوطي بهذا الشاهد؛ إذ ذكر أن (كان) تختص من بين سائر أخواتها بأنها قد تعمل محذوفة، وذلك مما يجوز بكثرة بعد (إن) و(لو) الشرطيتين، فتحذف هي واسمها إذا كان ضمير ما علم من غائب أو حاضر، وكان الشاهد السابق عنده مثالا بعد (إن) مع الغائب[2].

الثالث: باب نعم وبئس وما جرى مجراها

جاء في كلام العرب قولهم: ***فِي الصَّيفِ ضَيَّعْتِ اللَّبَنَ***

ويروى "الصَّيْفَ ضَيَّعْتِ اللبن" والتاء من "ضيعت" مكسور في كل حال إذا خوطب به المذكر والمؤنث والاثنان والجمع؛ لأن المثَلَ في الأصل خوطبت به امرَأة وهي دَخْتَنُوس بنت لقيط بن زرارة[3].

فالأول يضرب لمن يطلب شيئًا قد فَوَّته على نفسه، والثاني يضرب لمن قَنَع باليسير إذا لم يجد الخطير[4].

استشهد ابن هشام بهذا المثل في تعقيبه على كلام سيبويه على الفعل (حبّ) واقترانها بـ (ذا)؛ إذ ذكر سيبويه أن (حبّذا) بمنزلة حبّ الشيء، ولكن ذا وحبّ بمنزلة كلمة واحدة نحو (لولا)، وهو اسم مرفوع كما تقول: يا ابنَ عمَّ، فالعمُّ مجرورٌ، ألا ترى أنك تقول للمؤنّث (حبّذا) ولا تقول (حبّذهِ)؛ لأنه صار مع حبّ على ما ذكرتُ لك، وصار المذكّر هو اللازم، لأنه كالمثَل[5].

---

[1] ينظر: سيبويه: **الكتاب**، 260/1، (الهامش).

[2] ينظر: السيوطي: **همع الهوامع**، 102/2.

[3] الميداني: **مجمع الأمثال**، 83/2.

[4] السابق، 83/2.

[5] ينظر: سيبويه: **الكتاب**، 180/2.

وكان تعقيب ابن هشام على كلام سيبويه أن (ذا) لا يتغير عن الإفراد والتذكير؛ بل يقال: "حبذا الزيدان والهندان"، أو "الزيدون والهندات"؛ لأن ذلك كلام جرى مجرى المثل؛ كما في قولهم: "الصيف ضيعت اللبن"، يقال لكل أحد بكسر التاء وإفرادها[1].

فهذا المثل كان له دور لا ينكر في الدلالة على أن (حبذا) أصبحت بمنزلة واحدة، وأخذت قالبًا واحدًا في الكلام، بالرغم من تغير الفاعل في السياق الذي يقتضي ذلك.

الرابع: باب جمع المؤنث السالم

قيل في المثل العربي: ***اسْتَأْصَلَ اللّهُ عَرْقَاتَهُ***

قال أبو عمرو: يقال: استأصل الله عَرْقَاتَ فلانٍ، وهي أصله.

وقال المنذري: هذه كلمة تكلمت بها العرب على وجوه، قالوا: استأصل الله عَرْقَاتَه وعِرْقَاتَه وعِرْقَاتِهِ، ويراد بها الأصل.

وقال ابن فارس والأزهري: العرب تقول في الدعاء على الإنسان: استأصل الله عِرْقَاتَه ينصبون التاء لأنهم يجعلونها واحدةً مؤنثة مثل سِعْلاَة، وقال آخرون: بل هي تاء جماعة المؤنث، لكنهم خَفَّفوه بالفتح[2].

ورد هذا المثل عند سيبويه في باب (الظروف المبهمة غير المتكنة) في قوله: "ونظير هيهات وهيهاة في اختلاف اللغتين، قول العرب: استأصل الله عِرْقاتِهم، واستأصل الله عِرقاتَهم، بعضهم يجعله بمنزلة عرسٍ وعرساتٍ، كأنك قلت: عرقٌ وعرقان وعرقاتٌ. وكلاًّ سمعنا من العرب"[3].

---

[1] ينظر: الأنصاري، ابن هشام : **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك**، 285/3.

[2] الميداني: **مجمع الأمثال**، 98/1-99.

[3] سيبويه: **الكتاب**، 292/3.

وقد أورد هذا المثل أيضًا ابن جني في باب تركيب اللغات: "والخبر المرفوع في ذلك؛ وهو سؤال أبي عمرو أبا خَيْرة عن قولهم استأصل اللّه عِرْقاتَهم؛ فنصب أبو خَيْرة التاء من عِرْقاتهم، فقال له أبو عمرو: هيهات أبا خيرة، لان جِلدك. وذلك أن أبا عمرو استضعف النصب بعد ما كان سمعها منه بالجّر، قال: ثم رواها فيما بعد أبو عمرو بالنصب والجرّ، فإمّا أن يكون سمع النصب من غير أبي خَيْرة ممن يرَضى عربيَّته، وإما أن يكون قوِى في نفسه ما سمعه من أبي خيرة مِن نصبها. ويجوز أيضا أن يكون قد أقام الضعفُ في نفسِه فحكى النصب على اعتقادِه ضعفه، وذلك أن الأعرابيّ قد ينَطق بالكلمة يَعتقد أن غيرها أقوى في نفْسه منها؛ ألا ترى أن أبا العباس حكى عن عُمَارة أنه كان يقرأ ﴿وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ النهارَ﴾[1] بالنصب؛ قال أبو العباس: فقلت له ما أردت؟ فقال: سابقٌ النهارَ، فقلت له فهَّلا قلتَه؟ فقال: لو قلته لكان أوزن؛ أي أقوى"[2].

ولم يكتفِ ابن جني بإيراد هذا الخبر المتضمن للمثل السابق في هذا الباب، وإنما أورد هذا الخبر في بابين آخرين، هما: (باب في العربي الفصيح ينتقل لسانه)[3] و(باب في سقط العلماء)[4].

وبصرف النظر عن الأبواب التي ورد فيها هذا المثل عند ابن جني، فقد ترك المثل أثرًا عظيمًا بوجوده في الخبر أو الحكاية التي ظهرت شاهدًا، وكان له أثر كبير في توجيهه عند ابن جني، بالكيفية التي يريدها.

وأجاز الكوفية النصب مطلقًا في مثل هذا الجمع. وأجازه (هشام) منهم في المعتل خاصة، كلغة وثبة، وحكي سمعت لغاتهم، وما سمي به من هذا الجمع فصار علمًا مفردًا، فالأشهر بقاؤه

---

[1] يس: 40.

[2] ابن جني: **الخصائص**، 379/1.

[3] ينظر: السابق، 401/1.

[4] ينظر: السابق، 497/1.

على حاله الكائن قبل التسمية، من النصب بالكسرة منونا، ويجوز ترك تنوينه مع الكسرة، وإعرابه إعراب ما لا ينصرف، فيجر وينصب بالفتحة كواحدٍ زيد في آخره ألف وتاء كأرطاة وعلقاه وسعلاه[1].

يبدو مما تقدم، أن حالة النصب بالفتحة الواردة في المثل في كلمة (عرقات) بالرغم أنها مختومة بالألف والتاء، كما هو حال الكلمات المجموعة جمعا مونثًا سالمًا، يبدو أن هذا الاستخدام جائز، وقد ترك المثل السابق أثرًا كبيرًا بوجوده شاهدًا على نصب جمع المؤنث السالم بالفتح؛ إذ إن هذه الحالة من الإعراب لها ما يبررها عند أهل النحو بمدارسهم المختلفة.

الخامس: باب الممنوع من الصرف

جاء في كلام العرب الاستدلال على هذا الباب بالأمثال الآتية:

- ***باءَتْ عَرَارِ بِكَحْلَ***

يقال: هما بَقَرَتَانِ انتطحتا فماتتا جميعًا.

ويضرب لكل مستويين، يقع أحدهما بإزاء الآخر[2].

- ***اسْقِ رَقَاشِ إنَّها سَقَّايَة***

رَقَاشِ هو اسم امرأة .

ويضرب في الإحسان إلى المحسن[3].

- ***القَوْلُ مَا قَالتْ حَذامِ***

ويضرب في التصديق.

---

[1] ينظر: السيوطي: **همع الهوامع**، 1/67-68.
[2] الميداني: **مجمع الأمثال**، 1/133.
[3] السابق، 1/423.

قَال ابن الكلبي: إن المثل لُلجَيْم بن صَعْب والدِ حنيفة وعِجْلٍ، وكانت حَذَامِ امرأته، فَقَال فيها زَوجها لجيم[1]:

إذَا قَالَــتْ حَــذَام فَــصَدَّقُوهَا   فــإنَّ القَــوْلَ مَــا قَالَــتْ حَــذَامِ[2]

- ***مَنْ دَخَلَ ظَفَارِ حَمَّر***

ظَفَارِ: قرية باليمن يكون فيها المغرة، وحمَّر: تكلم بالحميرية، ويُقَال: معناه صبغ ثوبه بالحمرة؛ لأن بها تعمل المغرة.

ويضرب للرجل يدخل في القوم فيأخذ بزيهم[3].

استشهد النحاة بهذه الأمثال في باب الممنوع من الصرف؛ لأنها احتوت على صيغة (فَعالِ)؛ وهذه الصيغة منعت من الصرف؛ لاجتماع العلمية والعدل عن فاعلة[4]، وسيعرض الباحث آراء النحاة في هذا الباب مدّعمًا بالمثل حسب موطن وروده عند صاحبه.

قال أبو العباس في (فَعالِ): "اعلم أنه لا يبنى شيء من هذا الباب على الكسر إلا وهو مؤنث معرفة معدولٌ عن جهته، وهو في المؤنث بمنزلة فُعَل، نحو: عُمر وقُثم في المذكر، وفُعَل معدول في حال المعرفة عن فاعلٍ وكان فاعلٌ ينصرف، فلما عدل عنه فُعَل لم ينصرف، وفعال معدول عن فاعلة لا ينصرف في المعرفة فعدل إلى البناء،لأنه ليس بعد ما لا ينصرف إلا المبنيّ، وبني على الكسر لأن في فاعلة علامة التأنيث ..."[5].

---

[1] الميداني: **مجمع الأمثال**، 128/2.

[2] الشاهد للجيم بن صعب في: **معجم شواهد النحو الشعرية**: رقم (2693).

[3] الميداني: **مجمع الأمثال**، 361/2.

[4] ينظر: سيبويه: **الكتاب**، 277/3.

[5] المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد: **الكامل في اللغة والأدب**: تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط3، 1997، 52/2.

وذكر أن من هذا الباب أن تسمي امرأةً، أو شيئًا مؤنثًا باسم تصوغه على هذا المثال، نحو: رقاش وحذام وقطام وما أشبه ذلك، فهذا مؤنث معدول عن راقشة وحاذمة وقاطمة، إذا سمّيت به، وأهل الحجاز يجرونه على قياس ما ذكر سابقًا من البناء على الكسر؛ لأنه معدول في الأصل وسمّي به، فنقل إلى مؤنث كالباب الذي كان قبله، فلم يغيروه، فعلى ذلك قالوا: اسق رقاش إنها سقّاية[1].

وذكر الزمخشري مجموعة من الصيغ المعدولة عن فاعلة في الأعلام كحذام، وقطام، وغلاب، وبهان لنسوة، وسجاح للمتنبئة، وكساب، وخطاف لكلبتين، وقثام، وجعار، وفشاخ للضبع، وخصاف، وسكاب لفرسين، وعرار لبقرة، واستشهد بالمثل: (باءت عرارِ بكحل)، وظفار للبلد الذي ينسب إليه الجزع، واستشهد أيضًا بالمثل: (من دخل ظفارِ حمر)، وملاع، ومناع لهضبتين، ووبار، وشراف لأرضين، ولصاف لجبل[2].

ثم عقب الزمخشري على ذلك أن البناء في المعدولة لغة أهل الحجاز، وبنو تميم يعربونها ويمنعونها الصرف إلا ما كان في آخره راء، كقولهم: حضار لأحد المحلفين، وجعارِ، فإنهم يوافقون فيه الحجازيين إلا القليل منهم[3].

وذكر ابن عقيل في شرحه على الألفية في هذا الباب أنه إذا كان علم المؤنث على وزن فَعَال . كحَذامِ، ورقَاش، فللعرب مذهبان: أحدهما: وهو مذهب أهل الحجاز، بناؤه على الكسر، فيقال: هذه حذَامِ، ورأيت حذامِ، ومررت بحذامِ. واستشهد على هذه اللغة بقول الشاعر[4]:

---

[1] ينظر: المبرد: **الكامل في اللغة والأدب**، 54/2.

[2] ينظر: الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر: **المفصل في صنعة الإعراب**. دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1993، ط1، ص201.

[3] ينظر: السابق، ص201.

[4] ينظر: ابن عقيل: **شرح ابن عقيل**، 308/2-309.

إذَا قَالَــتْ حَــذَامِ فَــصَدَّقُوهَا   فــإنَّ القَــوْلَ مَــا قَالَــتْ حَــذَامِ[1]

والمذهب الثاني عند العرب: وهو مذهب بني تميم، إعرابه كإعراب ما لا ينصرف للعلمية والعدل، والأصل حاذمة، وراقشة، فعدل إلى حذَام، ورَقاش، كما عُدل عُمر وجُشم من عامر وجاشم[2].

أما ابن هشام فلم يكن ببعيد عما ذهب إليه ابن عقيل في صيغة **(فَعَال)**؛ إذ ذكر ما ذكره ابن عقيل من مذاهب العرب في ذلك، وقد استشهد بشاهد ابن عقيل في **(حَذامِ)** [3].

ويظهر مما تقدم من آراء في صيغة **(فَعال)**، وما استشهد به من شواهد على هذه الصيغة أن النحاة لم يخرجوا عما ذكره سيبويه فيها؛ فبنو تميم يمنعون من الصرف للعلمية والتأنيث في قطام وحذام، مما جعل مؤنثا، وأهل الحجاز يجرونها على حالها من البناء، فلم يغيِّروها؛ لانَّ البناء واحد، فهو ههنا اسم للمؤنّث، كما كان قبل ذلك، وهو ههنا معرفة كما كان، وإن من كلامهم أن يشبهِّوا الشيء بالشيء، وإن لم يكن مثله في جميع الأشياء. وأمّا ما كان آخره راءً فإنَّ أهل الحجاز وبني تميم فيه متفّقون، ويختار بنو تميم فيه لغة أهل الحجاز، والحجازيّة هي اللغة الأولى القدمى[4].

السادس: باب المفعول به

استشهد سيبويه على حذف عامل المفعول به في أسلوبي الأمر والتحذير بالأمثال الآتية:

- ***أخاك أخاك إنّ مَن لا أخا له   كساعٍ إلى الهَيْجا بغير سلاح*** [5]
- ***أَهْلَكَ وَاللَّيْلَ***

---

[1] الشاهد للجيم بن صعب في: **معجم شواهد النحو الشعرية**: رقم (2693).

[2] ينظر: ابن عقيل: **شرح ابن عقيل**، 308/2-309.

[3] ينظر:الأنصاري، ابن هشام : **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك**، 4/ 119.

[4] ينظر: سيبويه: **الكتاب**، 278/3.

[5] الميداني: **مجمع الأمثال**، 53/1.

ويضرب في التحذير والأمر بالحَزْم[1].

- *مَازِ رَأْسَكَ والسَّيْفَ*

قَالَ الأَصمعي: أصل ذلك أن رجلاً يُقَال له "مازن" أسَرَ رجلاً، وكان رجلٌ يطلب المأسور بِذَحْل، فَقَالَ له: مازِ – أي يا مازن – رأسَكَ والسيفَ، فنحَّى رأسه، فضرب الرجل عنق الأسير[2].

وكان تقدير الكلام عند سيبويه في الشاهد الأول (الزم أخاك)؛ على نصب (أخاك) بفعل تقديره (الزم)، وقد أضمر الفعل لأنه من باب الأمر، ومثل ذلك عنده. والشاهد الثاني فكأنه قال: بادر أهلك قبل الليل، وإنما المعنى أن يحذره أن يدركه الليل. فيكون تقدير الكلام بادر أهلك واحذر الليل، وكذلك الحال في الشاهد الثالث؛ إذ قدر سيبويه الحذف بضرب مثال آخر كقولك: رأسَك والحائطَ، وهو يحذره، كأنه قال: اتقِ رأسَك والحائطَ[3].

وقد بيّن سيبويه علة الحذف في هذه الأمثلة وما أشبهها في قوله: "وإنما حذفوا الفعل في هذه الأشياء حين ثنوا لكثرتها في كلامهم، واستغناءً بما يرون من الحال، ولما جرى من الذكر، وصار المفعول الأول بدلاً من اللفظ بالفعل، حين صار عندهم مثل: إياك ولم يكن مثل: إياك لو أفردته، لأنه لم يكثر في كلامهم كثرة إياك، فشبهت بإياك حيث طال الكلام وكان كثيرًا في الكلام"[4].

فسيبويه يرى أن علة الحذف هو ورود أكثر من مفعول في الجملة، وقد قام المفعول الأول مقام الفعل من حيث اللفظ، فلذلك استغنى عن ذكره، وكذلك لكثرة وقوع هذين الأسلوبين في كلام العرب، حتى غدت مألوفة، كأنها قوالب يقاس عليها غيرها.

وجاء في لسان العرب قولهم: ***مَنْ يَسْمَعْ يَخَلْ***

---

[1] الميداني: **مجمع الأمثال**، 86/1.

[2] السابق، 330/2.

[3] ينظر: سيبويه: **الكتاب**، 256/1، 275.

[4] السابق، 276/1.

والمعنى مَنْ يَسْمَع أخبارَ الناس ومعايبَهم يقع في نفسه عليهم المكروه[1].

استشهد ابن هشام بهذا المثل في بيان أنه قد يظن أن الشيء من باب الحذف، وليس منه، وذكر في هذا الجزء من الباب أن العادة جرت عند النحويين أن يقولوا: يحذف المفعول اختصارًا واقتصارًا، ويريدون بالاختصار الحذف لدليل، وبالاقتصار الحذف لغير دليل، ويمثلونه بنحو: ﴿كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ﴾[2]؛ أي أوقعوا هذين الفعلين، وكذلك قول العرب في ما يتعدى إلى اثنين بالمثل: (من يسمع يخل)؛ أي تكن منه خيلة[3].

السابع: باب المفعول المطلق:

حذف عامل المصدر بعد الاستفهام المقصود به التوبيخ

جاء في كلام العرب "***غُدَّةٌ كَغُدَّةِ البَعِيرِ وَمَوْتٌ في بيْتِ سَلُولِيَّةٍ***". ويروى "أغدةً وموتًا" نصبا على المصدر؛ أي أؤُغَدُّ إغْدَاداً وأموت موتًا. ويضرب في خَصْلَتين إحداهما شر من الأخرى[4].

لقد أورد سيبويه هذا المثل في باب (هذا باب ما ينتصب فيه المصدر كان فيه الألف واللام أو لم يكن فيه على إضمار الفعل المتروك إظهاره، لأنه يصير في الإخبار والاستفهام بدلاً من اللفظ بالفعل، كما كان الحذر بدلاً من احذر في الأمر)[5].

وقد أورد سيبويه المثل في معرض حديثه عن المصادر التي تنتصب في الاستفهام، ومنها: أقيامًا يا فلان والناس قعودٌ، وأجلوسًا والناس يعدون، لا يريد أن يخبر أنه يجلس ولا أنه قد جلس وانقضى جلوسه، ولكنه يخبر أنه في تلك الحال في جلوس وفي قيام[6].

---

[1] الميداني: **مجمع الأمثال**، 354/2.

[2] الحاقة: 24.

[3] ينظر: الأنصاري، ابن هشام : **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، 702/2.

[4] الميداني: **مجمع الأمثال**، 68/2.

[5] سيبويه: **الكتاب**، 335/1.

[6] ينظر: السابق، 335/1.

ثم أورد بعد ذلك قول الراجز، وهو العجاج:

أَطَرباً وَأَنْتَ قِنَّسْرِيٌّ[1]

وعلق سيبويه عليه إنما أراد: أتطرب، أي أنت في حال طرب؟ ولم يرد أن يخبر عما مضى ولا عما يُستقبل[2].

ثم أورد سيبويه المثل شاهدا لما جاء في كلام العرب: "أغدة كغدة البعير وموتًا في بيت سلولية"، كأنه إنما أراد: أأغد غدة كغدة البعير وأموت موتًا في بيت سلولية. وهو بمنزلة أطربًا، وتفسيره كتفسيره[3].

كما أورد السيوطي هذا المثل عند حديثه عن المواضع التي يجب فيها حذف عامل المصدر، وكان هذا المثل شاهدًا على حذف عامل المصدر بعد الاستفهام المقصود به التوبيخ[4].

وورود المثل ضمن الشواهد السابقة يؤكد أن العرب قصدت حذف عامل المصدر بعد الاستفهام المقصود به التوبيخ، فصار يقاس عليه، فهو مطرد في كلام العرب شعرًا ونثرًا.

وقد ورد في مجمع الأمثال طائفة أخرى من الأمثال التي تدل على حذف عامل المصدر بعد الاستفهام المقصود به التوبيخ، وهذه تدعم الشاهد الذي أتى به النحاة في حذف عامل المصدر بعد هذا النوع من الاستفهام، ومنها:

- ***أَعِلَّةً وَبُخْلاً***

قَاله النبي – صلى الله عليه وسلم– لعائشة – رضي الله تَعالى عنها– حين قَالَ لها: أرخي علَيَّ مرطَك فَقَالت: أنا حائض[5].

---

[1] الشاهد للعجاج في: **ديوانه:** ص293.

[2] ينظر: سيبويه: **الكتاب،** 338/1

[3] ينظر: السابق، 338/1.

[4] ينظر: السيوطي: **همع الهوامع،** 122/3.

[5] الميداني: **مجمع الأمثال،** 43/2.

- *أَغَيْرَةً وَجُبْنَاً*

قَالته امرَأة من العرب تعير به زوجها وكان تخلَّف عن عدوه في منزله، فرآها تنظر إلى قتال الناس فضربها.

فَقَالت: أغيرةً وجبنًا؟ أي أتغار غيرةً وتجبن جبنًا. ويضرب لمن يجمع بين شرّين[1].

- *أَكِبْراً وَإِمْعَاراً*

أي أتجمع عُجْبًا وفَقْرًا؟ [2].

الثامن: باب المفعول فيه:

استشهد سيبويه في (باب ما شبه من الأماكن المختصة بالمكان غير المختص شبهت به إذ كانت تقع على الأماكن) بقول العرب: **هُوَ مِنْي دَرَجَ السّيْلِ**[3]، أي مكان درج السيل من السيل[4].

وقد جاء في مجمع الأمثال مثل آخر يشبه المثل السابق في تركيبه مما يصلح الاستشهاد على ما ذهب إليه سيبويه في الباب المذكور، والمثل: "**هُوَ دَرْجَ يَدِكَ**"، وهي وهما وهم دَرْجَ يدك، المذكر والمؤنث والواحد والجمع والاَثنان سَوَاء، ومعناه طَوْع يدك، قَالَه الشرقي، وكذلك قَالَ أبو عمرو، ونصب (دَرَجَ) على الظرف كما يُقَال: أنْقَدته دَرْجَ كتابي، وروى المنذري (دَرَجَ) بنصب الراء، كما يُقَال: ذهب دَمُهُ دَرَجَ الرياح، إذا بَطَلَ وهدر "[5].

وجاء في كلام العرب: ***ذَهَبَ أَمْسِ بِمَا فِيهِ***[6]

---

[1] الميداني: **مجمع الأمثال**، 69/2.

[2] السابق، 189/2.

[3] هذا المثل لم أعثر عليه في مجمع الأمثال.

[4] ينظر: سيبويه: **الكتاب**، 414/2.

[5] الميداني: **مجمع الأمثال**، 460/2.

[6] السابق، 351/1.

ورد هذا المثل في كتاب سيبويه تحت باب (تغير الأسماء المبهمة إذا صارت علامات خاصة) وقد جاء ذلك في أثناء سؤال سيبويه للخليل عن الظرف أمس[1].

وكان جواب الخليل في ذلك قوله: "واعلم أنَّ بني تميم يقولون في موضع الرفع: ذهب أمسُ بما فيه، وما رأيته مذ أمسَ، فلا يصرفون في الرَّفع، لأنهم عدلوه عن الأصل الذي هو عليه في الكلام لا عن ما ينبغي له أن يكون عليه في القياس. ألا ترى أنَّ أهل الحجاز يكسرونه في كلّ المواضع، وبنو تميم يكسرونه في أكثر المواضع في النصب والجر، فلمّا عدلوه عن أصله في الكلام ومجراه تركوا صرفه كما تركوا صرف آخر حين فارقت أخواتها في حذف الألف واللام منها، وكما تركوا صرف سَحَرَ ظرفًا؛ لأنه إذا كان مجرورًا أو مرفوعًا أو منصوبًا غير ظرف لم يكن معرفةً إلا وفيه الألف واللام، أو يكون نكرةً إذا أخرجتا منه، فلمّا صار معرفةً في الظرف بغير ألف ولام خالف في هذه المواضع، وصار معدولاً عندهم كما عدلت أخر عندهم. فتركوا صرفه في هذا الموضع كما ترك صرف أمسِ في الرفع"[2].

وقد فتح قوم (أمس) في (مذْ) لما رفعوا، وكانت في الجر هي التي ترفع، شبهوها بها، قال:

لَقَـدْ رَأَيْـتُ عَجَباً مـذْ أَمْـسَا عَجَـائِزاً مِثْـلَ الـسّعَالَى خَمْـسَا[3]

وهذا قليل[4].

وخلاصة القول في الظرف (أمس) وما استشهد به على وقوعه أن أمس اسمٌ معرفة متصرف يستعمل في موضع رفع ونصب وجر، وهو اسم زمان موضوع لليوم يلي اليوم الذي أنت

---

[1] ينظر: سيبويه: **الكتاب**، 3/283-284.

[2] سيبويه: **الكتاب**، 3/283-284.

[3] الشاهد بلا نسبة في: **معجم شواهد النحو الشعرية**: رقم (3424).

[4] سيبويه: **الكتاب**، 3/284-285.

فيه، أو ما هو في حكمه في إرادة القرب، فإن استعمل ظرفًا فهو مبني على الكسر عند جميع العرب، وعلة بنائه: تضمنه معنى الحرف، وهو لام التعريف[1].

وإن استعمل (أمس) غير ظرف، فهو ما ذكر سيبويه عن الحجازيين بناؤه على الكسر، رفعًا ونصبًا وجرًا، كما كان حال استعماله ظرفًا، تقول: ذهب أمسِ بما فيه، وأحببت أمسِ، وما رأيتك مذ أمسِ، وأن من بني تميم من يعربه إعراب ما لا ينصرف في حالتي النصب والجر أيضًا، وعلته ما ذكر في (سَحَرَ) من العدل والتعريف، ومنهم من يعربه إعراب المتصرف فينونه في الأحوال الثلاثة، حكاه الكسائي[2].

وورد المثل أيضًا عند أبي العباس المبرد، قال: "واعلم أن القياس وأكثر كلام العرب أن تقول: هذه أربعةَ عشرَك، وخمسةَ عشرَك فتدعه مفتوحاً على قولك: هذه أربعةَ عشرَ، وخمسةَ عشرَ. وقوم من العرب يقولون: هذه أربعةَ عشرُك، ومررت بأربعةَ عشرِك. وهم قليل، وله وجيهٌ من القياس: وهو أن ترده بالإضافة إلى الإعراب، كما أنك تقول: ذهب أمسِ بما فيه، وذهب أمسُك بما فيه، وتقول: جئت من قبلُ يا فتىً، فإذا أضفت قلت: من قبلِك فهذا مذهبهم. وإنما كان القياس المذهب الأول؛ لأن (خمسة عشر) نكرة. وما لم ترده النكرة إلى أصله لم ترده الإضافة. أما (أمسِ) و(قبلُ) ونحوهما فمعارف. ولو جعلتهن نكرات لرجعن إلى الإعراب؛ كما رجعن إليه في الإضافة والألف واللام"[3].

---

[1] ينظر: السيوطي: **همع الهوامع**، 187/3.

[2] ينظر: السابق، 188/3-189.

[3] المبرد، أبو العباس: **المقتضب**. تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، 179/2-180.

وورد هذا المثل عند الزمخشري عند حديثه عن (لمّا) و(أمس)، فقال: "لمّا في قولك: لمّا جئت بمعنى حين وأمس، وهي متضمنة معنى لام التعريف، مبنية على الكسر عند الحجازيين، وبنو تميم يعربونها ويمنعونها الصرف، فيقولون: ذهب أمسُ بما فيه، وما رأيته مذ أمسَ"[1].

التاسع: باب الحال

تقدم الحال على العامل فيها

ذهب البصريون إلى أنه يجوز تقديم الحال على العامل فيها مع الاسم الظاهر والمضمر، واحتجوا في تقديم الحال إذا كان العامل فعلا، نحو: (راكبا جاء زيد) للنقل والقياس[2].

ومن أدلة النقل التي احتج بها البصريون قولهم في المثل: "شتى تؤوب الحلبة"، . ويضرب في اختلاف الناس وتفرقهم في الأخلاق[3]. فشتى حال مقدمة على الفعل العامل فيها مع الاسم الظاهر فدل على جوازه[4].

كما احتج البصريون أيضا بالمثل "في بيته يؤتى الحكم"، . وهذا المثل مما زعمت العرب على ألسن البهائم[5] . فالضمير "في بيته" يعود إلى "الحكم" وقد تقدم عليه[6].

وهناك أمثال أخرى في مجمع الأمثال قد وقع فيها تقدم في الحال على صاحبها، وهذه الأمثال تعد شواهد تقوي صحة ما ذهب إليه البصريون في جواز تقدم الحال على عاملها، منها على سبيل الذكر لا الحصر:

---

(1) ينظر: الزمخشري، أبو القاسم: **المفصل في صناعة الإعراب**. تحقيق: علي بو ملحم، دار مكتبة الهلال، بيروت، ط1، 1993، ص200.

(2) ينظر: الأنباري، أبو البركات: **الإنصاف في مسائل الخلاف، ومعه كتاب الانتصاف في الإنصاف**. تأليف: محمد محيي الدين عبد الحميد. دار الطلائع للنشر والتوزيع، القاهرة، 2009، 217/1.

(3) الميداني: **مجمع الأمثال**، 453/1.

(4) ينظر: الأنباري، أبو البركات : **الإنصاف في مسائل الخلاف، ومعه كتاب الانتصاف في الإنصاف**، 217/1.

(5) الميداني: **مجمع الأمثال**، 88/2.

(6) ينظر: الأنباري، أبو البركات : **الإنصاف في مسائل الخلاف، ومعه كتاب الانتصاف في الإنصاف**، 218/1.

- ***كارِهًا حَجَّ بَيْطَر***

يضرب للرجل يصنع المعروف كارهًا لا رغبةَ له فيه[1].

- ***كُرْهاً تَرْكَبُ الإبل السَّفَرَ***

يضرب للرجل يركب من الأمر ما يكرهه ونصب " كرهاً " على الحال أي كارهةً فهو مصدر قام مقام الحال[2].

- ***كارهاً يَطْحَنُ كَيْسَانُ***

يضرب لمن كلف أمرًا وهو فيه مكره وكيسان: اسم رجل [3].

- ***لأِمْرٍ مَا يَسُودُ مَنْ يَسُودُ*** [4]

- ***لأَمْرٍ مَا جَدَعَ قَصِيرٌ أَنْفَهُ***

قَالته الزبَّاء لما رأت قصيراً مَجْدُوعاً[5].

1. مجيء الحال مضافة

جاء في المثل العربي قولهم: ***ذَهَبُوا أَيْدِي سَبا وَتَفَرَّقُوا أَيْدِي سَبا***

أي تفرقوا تفرقًا لا اجتماع معه [6].

ورد هذا المثل عند سيبويه في (باب الشيئين اللَّذين ضمّ أحدهما إلى الآخر فجعلا بمنزلة اسم واحد كعيضموزٍ وعنتريس)، وقد ذكر سيبويه أن للعرب فيها لغتين: الأولى: أياديَ سَبَا، وهي بمنزلة خمسة عشر؛ إذ تبنى على فتح الجزءين، والثانية: أيادي سبًا؛ بالتنوين[7].

---

(1) الميداني: **مجمع الأمثال**، 190/2.
(2) السابق، 194/2.
(3) السابق، 195/2.
(4) السابق، 233/2.
(5) السابق، 233/2.
(6) السابق، 351/1–352.
(7) ينظر: سيبويه: **الكتاب**، 304/3.

واستشهد سيبويه على اللغة الثانية بقول ذي الرمة:

فَيَـا لَـكَ مِـنْ دَارٍ تَحَمَّـلَ أَهْلُهـا أَيَـادِي سَبَا بَعْدِي وطَـالَ احْتِيالُهـا[1]

فقد وردت كلمة (سبًا) منونةً، وجعل سيبويه هذا التركيب مضافًا كما هو الحال في (معد يكربٍ) [2].

وقد ذكر سيبويه أنه سأل الخليل عن الياء لمَ لم تنصب في موضع النصب لأنها مضافة، وكان جواب الخليل له: أنهم شبَّهوا هذه الياءات بألف (مثنىً) حيث عرَّوها من الرفع والجر، فكما عرّوا الألف منهما عرَّوها من النصب أيضًا[3].

العاشر: باب الترخيم:

جاء في كلام العرب الاستدلال على هذا الباب بالأمثال الآتية:

- ***أَطْرِقْ كَرَا إِنَّ النَّعَامةَ فِي الْقُرَى***

يضرب للذي ليس عنده غَنَاء ويتكلم فيقال له: اسكت وتَوَقّ انتشار ما تلفظ به كراهة ما يتعقبه؟[4]

- ***أَطْرِقْ كَرَا يُحْلَبْ لَكَ***

يضرب للأحمق تمنِّيه الباطلَ فيصدّق[5].

- ***لجْ مَالِ وَلَجتَ الرَّجَمَ***

قَاله سعدُ بن زيد لأخيه مالك بن زيد[6].

---

[1] ذو الرمة: **ديوانه**، ص523.

[2] ينظر: سيبويه: **الكتاب**، 304/3.

[3] ينظر: السابق، 305/3-306.

[4] الميداني: **مجمع الأمثال**، 541/1.

[5] السابق، 541/1.

[6] السابق، 224/1.

- مَازِ رَأْسَكَ والسَّيْفَ[1]

تمثل هذه الأمثال صورة من صور الترخيم الذي يصيب آخر المنادى، وقد تم الاستشهاد بها عند النحاة على باب الترخيم، سواء استشهد بالمثل بكامل تركيبه، أم بجزء منه، أم بالعلم الذي أصابه الترخيم، وسيقوم الباحث بتقديم الأمثال وكيفية الاستشهاد بها في هذا الباب.

استشهد ابن جني في باب (في فك الصيغ) بالمثل (أطرِق كرا) على حذف آخر المنادى أو ترخيمه، وذكر أن ذلك ممّا حذفت ألفه ونونه فبقي على (كَرَوَ)، ثم قلبت واوه ألفا لتحرّكها وانفتاح ما قبلها طَرَفا، فصارت (كرا)، و(كرا) إنما هي ترخيم لـ (كَرَوان) على قولهم : يا حارُ[2].

واستشهد السيوطي بالمثل (أطرِق كرا) على جواز ترخيم النكرة المقصودة عند بعض النحاة، وأنهم أجازوا ذلك؛ لأنها في معنى المعرفة، ولذلك نعت بها، فأجاز في غضنفر، يا غضنف، واستدل بما ورد من قولهم بالمثل (أطرق كرا)؛ أي كروان، ويا صاحِ؛ أي يا صاحب[3].

أما المثلان (لِجْ مَالِ وَلَجتَ الرَّجَمَ)، (مَازِ رَأْسَكَ والسَّيْفَ)، فإنهما وإن لم يُستشهد بها على وجه الخصوص فقد وقع الاستشهاد بجزء منهما؛ وذلك أنهما وقع فيهما الترخيم بحرف واحد، وهو الغالب فـ (مَالِ) هي ترخيمٌ لـ (مالك)، و(مازِ) هي ترخيم لـ (مازن)[4]، ومنه قراءة بعضهم: ﴿وَنَادَوْا يا مَالِ﴾[5].

يبدو مما تقدم أن هذه الأمثال لم يغب أثرها في الدلالة على باب الترخيم، وقد تركت أثرًا في جواز القاعدة التي استشهد بها عليها؛ فالمثل (أطرق كرا) قوّى من صحة ما ذهب إليه أصحابه

(1) الميداني: **مجمع الأمثال**، 330/1.

(2) ينظر: ابن جني: **الخصائص**، 245/2.

(3) ينظر: السيوطي: **همع الهوامع**، 80/3.

(4) ينظر: الأنصاري، ابن هشام : **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك**، 62/4.

(5) الزخرف: 77.

من جواز ترخيم المنادى بشكل عام، وكذلك التمثيل به على صحة من ذهب إلى جواز ترخيم النكرة المقصودة.

وكذلك الحال في الأمثال التالية له، إذ لو أُتي بها كما أتت في تركيبها، لوقفت شاهدًا لا بأس به في الاستشهاد على الترخيم على لغة من ينتظر، في حذف آخر المنادى، عندما يصيب الحذف ويقتصر على حذف حرف واحد.

الحادي عشر: باب اسم الفعل

جاء في كلام العرب قولهم: ***دُهْ دُرَّيْنِ سَعْدُ القَيْنُ***

إذا أرادوا أن يعبروا عن الباطل تكلموا بهذا، وقد تصرفوا بالكلمة فقالوا : دهدرّ، ودهدنّ، ودهدار، وجعلوا كلها أسماء للباطل والكذب [1].

وجاء في كلام العرب أيضا: ***سَرْعَانُ ذَا إِهَالَةً***

يضرب لمن يخبر بكينونة الشيء قبل وقته [2].

استشهد ابن جني بهذين المثلين في (باب في تسمية الفعل)، فقد ذكر أنّ (دُهْدُرَّينِ) اسم فعل بمعنى بَطَلَ . وأن معنى المثل عنده: هلك سعد القين. كما ذكر أن (سَرْعان) اسم سَرُع، وأن معنى المثل عنده: سَرُعتْ هذه من إهالة، لأنه أورد المثل بـ (سَرْعان ذي إهالةً)[3].

---

[1] الميداني: **مجمع الأمثال**، 1/339-340.

[2] السابق، 1/427.

[3] ينظر: ابن جني: **الخصائص**، 2/279-280.

الثاني عشر: باب اسم التفضيل:

استشهد ابن هشام في هذا الباب على مجيء اسم التفضيل من وصف لا فعل له. وإن عدّ من باب الشذوذ[1]. بالمثل العربي "***أَلَصُّ مِنْ شِظَاظٍ***"[2] وشِظاظ اسم رجل من بني ضبة، ويضرب به المثل في اللصوصية، ومما ورد على هذا النحو أيضًا الأمثال الآتية[3]:

- ***أَلَصُّ من سرحان***[4]
- ***أَلَصُّ مِنْ فَأْرَةٍ***[5]
- ***أَلَصُّ مِنْ عَقعِقٍ***[6]

واستشهد ابن هشام على مجيء اسم التفضيل من فعل المفعول (الفعل المبني للمجهول) بالمثلين[7]: "***أزهى من ديك***"[8]، و"***أشغل من ذات النحيين***"[9]، ومما جاء على هذا النحو من أمثال أيضا[10]:

- ***أَزْهَى مِنْ غُرَابٍ***

لأنه إذا مشى لا يزال يَخْتال وينظر إلى نفسه.

- ***أَزْهَى مِنْ وَعِلٍ***

قيل: هو الشاء الجبليّ، وزعموا أن اسمه مشتق من الوعلة، وهي البقعة المُنِيفَة من الجبل.

---

[1] ينظر: الأنصاري، ابن هشام: **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك**، 286/3-287.

[2] الميداني: **مجمع الأمثال**، 302/2.

[3] ينظر: الأنصاري، ابن هشام: **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك**، 287/3 (الهامش).

[4] الميداني: **مجمع الأمثال**، 302/2.

[5] السابق، 302/2.

[6] السابق، 302/2.

[7] ينظر: الأنصاري، ابن هشام: **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك**، 287/3.

[8] الميداني: **مجمع الأمثال**، 414/1.

[9] السابق، 475/1.

[10] السابق، 414/1.

- ***أَزْهَى مِنْ طَاوُسٍ***

- ***أَزْهَى مِنْ ضَيْوَنٍ***

يشير اسم التفضيل في الأمثال المذكورة آنفًا إلى أنه يمكن صياغته من غير استيفائه للشروط التي وضعها أهل النحو، فهي تدل على استخدام أهل العرب لها.

الثالث عشر: باب عطف النسق:

جاء في كلام العرب: " ***إنَّما يَجْزِي الفَتى لَيْسَ الجَملُ***". يريد "لا الجمل"، يضرب في المكافأة أي إنما يَجْزِيك مَنْ فيه إنسانية لا من فيه بهيمية[1].

وقد أورد ابن هشام هذا المثل ولكن قدّمه شاهدًا شعريًا أثناء حديثه عن عطف النسق، وذكر أن "ليس" عند البغداديين، حرف عطف يقتضي التشريك في اللفظ دون المعنى[2]، مستشهدا في الشطر الثاني من قول لبيد بن ربيعة العامري في قوله:

وإذا أُقرِضْتَ قَرْضاً فاجْزِه   إنّما يَجْزِي الفَتَى غَيرُ الجَمَلْ[3]

فالشاهد فيه قوله "ليسَ الجمل"، حيث أتى بـ (ليس) حرف عطف لينفي عما بعده صنع الجزاء الذي ثبت لما قبله وهو الفتى[4].

وجاء في المثل العربي قولهم: ***مَا كُلُّ بَيْضَاءَ شَحْمَةً ولاَ كُلُّ سَوْدَاءَ تَمْرَةً***

يضرب في موضع التهمة[5].

---

[1] الميداني: **مجمع الأمثال**، 55/1.

[2] ينظر: الأنصاري، ابن هشام : **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك**، 354/3.

[3] لبيد بن ربيعة العمري: **الديوان**، ص179.

[4] ينظر: الأنصاري، ابن هشام: **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك**، 355/3.

[5] الميداني: **مجمع الأمثال**، 332/2.

استشهد ابن هشام بهذا المثل في أثناء حديثه عن (حرف الواو)، وذكر أن (الواو) تختص بجواز عطفها عاملا قد حذف وبقي معموله، وقد يكون مرفوعا؛ نحو: ﴿ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾[1]؛ أي: وليسكن زوجك، أو منصوبا، نحو: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ﴾[2]؛ أي: وألفوا الإيمان، أو مجرورا، نحو: "ما كل سوداءَ تمرة ولا بيضاءَ شحمة"؛ أي، ولا كل بيضاء[3].

وقد ذكر ابن هشام العلة في عدم العطف فيهن على الموجود في الكلام وذلك لئلا يلزم في الأول: الرفع فعل الأمر للاسم الظاهر، وفي الثاني: كون الإيمان متبوأً، وإنما يتبوأ المنزل، وفي الثالث: العطف على معمولي عاملين؛ ولا يجوز في الثاني أن يكون الإيمان مفعولا معه؛ لعدم الفائدة في تقييد الأنصار بمصاحبة الإيمان؛ إذ هو أمر معلوم[4].

ففي هذا المثل إحدى حالات العطف التي قدّمها ابن هشام على جواز العطف بالواو لعاملٍ قد حذف معموله، ولا يخفى أثر المثل في ترسيخ القاعدة وصحة ما ذهب إليه ابن هشام؛ لأنّ المثل أحد الأقوال المأثورة التي يستدل بها على صحة القواعد.

الرابع عشر: باب الحرف:

مجيء "إلى" بمعنى "الواو"

ذهب الكوفيون وجماعة من البصريين إلى أنّ (إلى) حرف جر، وأن من معانيه (المعية)، وذلك إذا ضممت شيئا إلى آخر في الحكم به أو عليه، أو التعلق[5]، وقد استدلوا بعدة آيات على

---

(1) البقرة: 35.

(2) الحشر: 9.

(3) ينظر: الأنصاري، ابن هشام: **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك**، 397/3.

(4) ينظر: السابق، 397/3.

(5) ينظر: الأنباري، أبو البركات: **الإنصاف في مسائل الخلاف، ومعه كتاب الانتصاف في الإنصاف**، 230/1، ابن هشام: **مغني اللبيب**، 88/1، السيوطي: **همع الهوامع**، 154/4.

ذلك منها: قوله تعلى:﴿ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾[1]؛ أي مع الله، وقوله تعالى: ﴿فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ﴾[2]؛ أي مع المرافق ومع الكعبين، وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ﴾[3]؛ أي مع أموالكم.

ولم يكتفِ النحاة في الدلالة على ما ذهبوا إليه بالاستشهاد بالآيات القرآنية، وإنما استشهدوا أيضا بالمثل العربي ""**الذَّوْدُ إلىَ الذَّوْدِ إِبِل**"؛ أي مع الذود، والذَّوْد هو ما بين الثلاث إلى العشر إلى العشرين إلى الثلاثين ولا يجاوز ذلك، ويضرب في اجتماع القليل إلى القليل حتى يؤدي إلى الكثير[4].

وهناك مثل آخر لم يستشهد به النحاة في مجيء (إلى) بمعنى (مع)، وهو: (التمرة إلى التمرة تمر)؛ لأن معنى المثل: ضم الآحاد يؤدي إلى الجمع، وذلك أن التمر جنس يدل على الكثرة[5].

حذف (أن) الناصبة للفعل المضارع وإبقاء عملها

ذهب الكوفيون إلى أنّ (أن) الخفيفة تعمل في الفعل المضارع النصب مع الحذف من غير بدل. وذهب البصريون إلى أنها لا تعمل مع الحذف من غير بدل[6].

---

(1) آل عمران: 52.

(2) المائدة: 6.

(3) النساء: 2.

(4) الميداني: **مجمع الأمثال**، 353/1.

(5) السابق، 186/1.

(6) ينظر: الأنباري، أبو البركات: **الإنصاف في مسائل الخلاف، ومعه كتاب الانتصاف في الإنصاف**، 111/2.

واحتج الكوفيون بأن قالوا: الدليل على أنه يجوز إعمالها مع الحذف قراءة عبد الله بن مسعود﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾[1]، فحذف أن وأعملها مع الحذف فدل على أنها تعمل النصب مع الحذف[2]، وقال طرفة :

أَلاَ أَيُّهذا الزاجري أَحضرَ الوغى وأَنْ أَشْهَدَ اللذاتِ هَلْ أَنْتَ مُخْلِدِي[3]

فنصب (أحضر) لأن التقدير فيه: أن أحضر فحذفها وأعملها، مع الحذف والدليل على صحة هذا التقدير أنه عطف عليه قوله: "وأن أشهد اللذات" فدل على أنها تنصب مع الحذف[4]، وقال عامر بن الطفيل:

فَلَمْ أَرَ مِنْهَا خُباسَةَ وَاحِدٍ وَنَهْنَهْتُ نَفْسِي بَعْدَ ما كِدْتُ أَفْعَلَهْ[5]

فنصب (أفعله) لأن التقدير فيه: أن أفعله؛ فدل على أنها تعمل مع الحذف[6].

وذهب ابن هشام إلى إضمار (أن) في رواية النصب للمثل "***تَسْمَعُ بالمُعَيديّ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَرَاهُ***"، ويضرب لمن خَبَرُه خَيْرٌ من مَرْآه[7]. وعدّ هذا الإضمار من غير المواضع العشرة

---

[1] البقرة: 83.

[2] ينظر: الأنباري، أبو البركات: **الإنصاف في مسائل الخلاف، ومعه كتاب الانتصاف في الإنصاف**، 111/2.

[3] طرفة بن العبد في: **ديوان طرفة بن العبد شرح الأعلم الشنتمري**. تحقيق: دريّة الخطيب ولطفي الصقّال، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ودار الثقافة والفنون، البحرين، ط2، 2000، ص 45.

[4] ينظر: الأنباري، أبو البركات: **الإنصاف في مسائل الخلاف، ومعه كتاب الانتصاف في الإنصاف**، 111/2.

[5] الشاهد لعامر بن جوين الطائي في: **معجم شواهد النحو الشعرية**: رقم (2168).

[6] ينظر: الأنباري، أبو البركات : **الإنصاف في مسائل الخلاف، ومعه كتاب الانتصاف في الإنصاف**، 112/2.

[7] الميداني: **مجمع الأمثال**، 178/1.

التي تظهر فيها وجوبًا وجوازًا[1]، ومثل هذا الموضع قوله تعالى: ﴿ بَلۡ نَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَى ٱلۡبَٰطِلِ فَيَدۡمَغُهُۥ ﴾[2].

يروى هذا المثل برفع (تسمع) وبنصبه، وأتى المؤلف به هنا على رواية النصب، وإن هذا النصب بـ (أن) المصدرية محذوفة في غير موضع من المواضع العشرة التي ذكرها المؤلف في وجوب إضمارها وجوازه، والذي سهل حذفها وجود (أن) أخرى في قولهم: (أن تراه)[3].

الواو الداخلة على المضارع المنصوب

جاء في كلام العرب: ***لَا تَنْهَ عَنْ خُلُقٍ وتَأتي مِثْلَهُ*** [4]

ذكر سيبويه في باب الواو: "اعلم أنّ الواو ينتصب ما بعدها في غير الواجب من حيث انتصب ما بعد الفاء، وأنها قد تشرك بين الأوّل والآخر كما تشرك الفاء، وأنّها يستقبح فيها أن تشرك بين الأوّل والآخر كما استقبح ذلك في الفاء، وأنّها يجئ ما بعدها مرتفعاً منقطعاً من الأوّل كما جاء ما بعد الفاء. واعلم أنّ الواو وإن جرت هذا المجرى فإنّ معناها ومعنى الفاء مختلفان"[5].

ثم استشهد سيبويه بقول الأخطل:

لا تَنْهَ عَنْ خُلُقٍ وَتَأْتِي مِثْلَهُ   عَارٌ عَليكَ إذاً فَعَلْتَ عَظيمُ[6]

وقد رأى سيبويه أن الفاء لو دخلت هنا لأفسدت المعنى، وإنّما أراد لا يجتمعنّ النهي والإتيان، فصار تأتي على إضمار أن. ومثل ذلك أن تقول: لا تأكلِ السمكَ وتشربَ اللبنَ[7].

---

[1] ينظر: الأنصاري، ابن هشام : **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك**، 197/4.

[2] الأنبياء: 18.

[3] ينظر: الأنصاري، ابن هشام : **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك**، 197/4 (الهامش).

[4] الميداني: **مجمع الأمثال**، 281/2.

[5] سيبويه: **الكتاب**، 41/3.

[6] كذا وردت النسبة هنا للأخطل، والمشهور أنه لأبي الأسود الدؤلي: **ملحقات ديوانه**، ص130.

[7] ينظر: سيبويه: **الكتاب**، 41/3.

فالشاهد في هذا المثل هو دخول الواو على الفعل المضارع، ونصب الفعل المضارع بعدها بأن مضمرة؛ إذ إن العطف بالجزم فيه فساد في المعنى عند سيبويه.

وقد استشهد سيبويه على وقوع الفعل المضارع منصوبًا بأن مضمرة بشواهد عدة، منها:

- أَلَـمْ أكُ جَـارَكُمْ وتكـونَ بينـي وبيـــنكُم المَـــوَدَّةُ والإخــــاءُ[1]

- قَتَلْـتُ بِعَبْـدِ اللَّـهِ خَيْـرَ لِدَاتِـهِ ذُؤابـاً فَلَـمْ أَفْخَـرَ بِـذاك وأَجْزَعَــا[2]

2. ﴿ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[3].

3. ﴿ وَلَا تَلْبِسُواْ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُواْ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[4].

وذكر ابن هشام أن شرط الواو الداخلة على الفعل المضارع المنصوب بأن مضمرة أن يتقدم الواو نفي أو طلب، وسمى الكوفيون هذه الواو (واو الصرف)، وليس النصب بها خلافا لهم[5].

الحرف (أو)

جاء في المثل العربي قولهم: ***زَاحِمْ بِعُودٍ أَوْ دعْ***

أي لا تَسْتَعِنْ إلا بأهل السنّ والتجربة في الأمور، وأراد زاحم بكذا أو دَعِ المزاحَمَةَ، فحذف للعلم به [6].

---

[1] الحطيئة: **ديون الحطيئة برواية وشرح ابن السكيت.** تحقيق: نعمان محمد أمين طه، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط1، 1987، ص84؛ ورواية البيت في الديوان:

أَلَـمْ أكُ مـسلمًا فيكـونَ بينـي وبيـــنكُم المَـــوَدَّةُ والإخــــاءُ

[2] الشاهد لدريد بن الصمة في: **معجم شواهد النحو الشعرية:** رقم (1607).

[3] آل عمران: 142.

[4] البقرة: 42.

[5] ينظر: الأنصاري، ابن هشام : **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب،** 416/2.

[6] الميداني: **مجمع الأمثال،** 406/1.

ذكر ابن جني هذا المثل في باب (توجّه اللفظ الواحد إلى معنيين مختلفين)، إذ قال: "ومنه المَثَل السائر: زاحم بَعوْد أو دَعْ أي زاحم بقوّة أو فاترك ذلك حتى توهَّمه بعضهم : بِعَوْد أودعَ فذهب إلى أن (أو دع) صفة لعَود كقوله : بعَود أوقص أو أوطف أو نحو ذلك مما جاء على أفعل وفاؤه واو "[1].

ثم استشهد ابن جني بما ورد عن سيبويه من هذا القبيل؛ إذ سأل سيبويه الخليل – رحمه الله تعالى– عن قوله تعالى:﴿ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[2]، وعن قوله تعالى جدّه:﴿وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ ﴾[3] فزعم الخليل أنها ويْ مفصولةٌ من كأن، والمعنى وقع على أن القوم انتبهوا فتكلموا على قدر علمهم، أو نُبّهوا فقيل لهم: أما يشبه أن يكون هذا عندكم هكذا[4].

وقد ذكر سيبويه أن المفسرين قالوا فيها: ألم تر أن الله[5].

وأنشد سيبويه ذلك قول القرشي، زيد بن عمرو بن نفيل:

سَـــأَلَتَانِي الطَّـــلاَقَ أَنْ رَأَتَــانِي قَـلَّ مَــالي قـد جِئْتُمَــانِي بنُكــرِ
وَيْ كَأَنْ مَنْ يَكُنْ لـه نَشَبٌ يُحَبَّبْ وَمَـنْ يَفْتَقِـرْ يَعِـشْ عَيْشَ ضُرِّ[6]

والشاهد فيه (ويكأن) فهي عند الخليل وسيبويه مركب من (وي) للتنبيه و(كأنّ) للتشبيه، ومعناها ألم تر، كما ذكرها المفسرون[7].

وقد أتى ابن جني بعدة شواهد في هذا الباب للاستشهاد على الحالات السابقة، ومهما يكن من أمر في (ويكأن) أو في غيرها من الشواهد التي ضربها ابن جني، فإن هذا المثل يقف شاهدًا

---

(1) ابن جني: **الخصائص**، 289/2.
(2) القصص: 82.
(3) القصص: 82.
(4) ينظر: سيبويه: **الكتاب**، 154/2.
(5) ينظر: السابق، 154/2.
(6) الشاهد في: **معجم شواهد النحو الشعرية**: رقم (1352).
(7) الشاهد في: **معجم شواهد النحو الشعرية**، 155/2 (الحاشية).

في التمثيل على الباب الذي ناقشه ابن جني؛ فقد ترك المثل أثرًا تركيبيًا بوجود (أو) التخيرية، ومن ثم بما جاء بعدها، ولا ينكر هذا الدور للمثل كأحد شواهد الخصائص لابن جني.

لو الشرطية:

جاء في المثل العربي قولهم: ***لَوْ ذاتُ سِوَارٍ لَطَمَتْنِي***

أي لو لَطَمَتْنِى ذاتُ سِوَارٍ؛ لأن (لو) طالبة للفعل داخلة عليه، والمعنى لو ظلمني مَنْ كان كفؤا لي لهان عليّ، ولكن ظلمني مِنْ هو دوني، وقيل: أراد لو لَطَمَتْنِى حُرَّة، فجعل السوار علامة للحرية؛ لأن العرب قلما تُلْبِسُ الإماء السِّوَار، فهو يقول: لو كانت اللاطمة حرة لكان أخف علي [1].

استشهد ابن هشام بهذا المثل في أثناء عرضه لمعاني الحرف "لو"، وذكر في عرضه عدة مسائل منها، أن "لو" خاصة بالفعل، فقد يليها اسمُ مرفوع معمول لمحذوف يفسره ما بعده، واستشهد على ذلك بشواهد[2]، منها المثل السالف، كما استشهد بقول عمر – رضي الله عنه– "لو غيرك قالها يا أبا عبيدة"[3]، وكذلك قوله:

لَـوْ غَيْـرُكُمْ عَلِـقَ الزُّبيـرُ بِحَبْلِـهِ أَدَى الجِـوَارَ إلـى بَنِـي الْعَـوَّامِ[4]

وبالنظر إلى الشواهد السابقة، يكون هذا المثل قد ترك أثرًا كبيرًا في الاستشهاد على ما ذهب إليه ابن هشام بالدلالة على مسألة دخول الواو على الفعل، إلا أنه قد يليها اسم معمول لفعل

---

[1] الميداني: **مجمع الأمثال**، 207/2.

[2] ينظر: الأنصاري، ابن هشام: **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، 296/1–297.

[3] ينظر: السابق، 297/1.

[4] الشاهد لجرير في: **معجم شواهد النحو الشعرية**: رقم (2755).

محذوف يفسره ما بعده، ومما يزيد من دور المثل في ترسيخ القاعدة السابقة أنه ورد أول الشواهد التي استشهد بها ابن هشام في تأكيد صحة القاعدة.

النون الثقيلة والخفيفة:

ذكر سيبويه في هذا الباب أن ثمة مواضع تدخل فيها نون التوكيد على الفعل المضارع، ومن هذه المواضع أفعال غير الواجب[1] كما في قول: بجهدٍ ما تبلغنَّ، وأشباهه. وبرر دخولها في هذا الموضع لوجود (ما) قبل الفعل[2].

واستشهد سيبويه على دخول نون التوكيد على الفعل المضارع بوجود (ما) الزائدة بثلاثة أمثال[3]:

- ***بِعَيْنٍ ما أَرَيَنَّكَ***

أي اعمل كأني أنظر إليك.

ويضرب في الحث على ترك البُطْء [4].

- ***بِأَلَمٍ مَّا تُخْتَنَنَّ***

أي لا يكون الخِتان إلا بألم، ومعناه أنه لا يُدْرَك الخيرُ ولا يُفْعل المعروف إلا باحتمال مشقة، ويروى " بألم ما تُخْتَنِنَّهْ"، وهذه على خطاب المرأة والهاء للسكت [5].

- ***في عضَةٍ ما يَنْبُتَنَّ شَكيرُهَا***

يُقَال: شَكَرَتِ الشجرةُ تشكر شَكْرًا؛ أي خرج منها الشَّكِير، وهو ما ينت حَوْلَ الشجرة من أصولها.

---

[1] ينظر: سيبويه: **الكتاب**، 513/3، (الهامش).

[2] ينظر: السابق، 517/3.

[3] ينظر: السابق، 517/3.

[4] الميداني: **مجمع الأمثال**، 143/1.

[5] السابق، 151/1.

ويضرب في تشبه الولد بأبيه [1].

ويروى صدرًا لبيت، هو بتمامه كما في الخزانة[2]:

وَمن عِضَةٍ ما يَنْبُتَنَّ شَكِيرُهَا   ديما، ويقتط الزناد من الزند

وكذا عجزًا لبيت برواية: (ومن عضة) صدره:

إذا مات منهم ميت سرق ابنه

أي أشبه أباه في خلقه، فمن رأى هذا ظنه هذا، والعضة: واحدة العضاة، وهو شجر عظام، والشكير: صغار الورق، والشوك: أي أن الصغار إنما تنبت من الكبار. والشكر لم يورقه. وهو شاهد على أن زيادة (ما) للتوكيد بمنزلة اللام، ولذا جاز توكيده بالنون[3].

---

[1] السابق، 90/2.

[2] البغدادي، عبد القادر بن عمر: **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب**. تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط4، 1997.

[3] ينظر: سيبويه: **الكتاب**، 517/3، (الهامش).

الفصل الثالث

تداولية الأمثال العربية

اعتنى العرب بالأمثال، واستعملوها كثيرًا، وضربوها في شتى المقامات والمناسبات، ثم أقبل من بعدهم على تلك الأمثال جمعًا وتصنيفًا وروايةً لقصصها؛ حتى كثرت كتب الأمثال العربية، ولهذا أصبحت الأمثال مادة أساسية يجد فيها الباحث ضالته من ناحية دلالة اللفظ على المعنى، أو من الناحية التركيبية للجملة، أو من ناحية دلالتها الاجتماعية وغير ذلك. فأصبح المثل شاهدًا لغويًا ونحويًا وأسلوبيًا عند العلماء[1].

ولما كانت الأمثال، تحمل في طياتها مقامات قيلت فيها، كان من الأوفى في دراسة الأمثال، إلقاء الضوء على البعد التداولي الذي ينطوي في مقاماتها، وبذلك تكتمل دائرة الاستشهاد في بلاغة المثل، لغويًا وتركيبيًا وأسلوبيًا وتداوليًا، فالأمثال ما هي إلا صورة من صور الحياة، وشاهدٌ حيٌّ على ربط الحياة الحاضرة المشرقة بأصالة الماضي؛ "فهي الأنغام اللغوية، الصغيرة للشعوب، ينعكس فيها الشعور والتفكير وعادات الأفراد وتقاليدهم على وجه العموم، كما يظهر فيها بصورة حية، الطبقات الاجتماعية عند الشعوب على وجه الخصوص"[2]، فالألفاظ قيلت في أزمان غابرة بمعانٍ جليلة زخرتها تلك الألفاظ، ولكن بقي الفكر التداولي غائبًا عن نظرة العرب في الدراسة، إلا في حدود ضيقة، شكلت بصيصًا لمن أراد أن يكمل الصورة المشرقة لذلك التراث العربي الأصيل.

فالحاجة ماسة لدراسة الأمثال دراسة تداولية؛ لأن الأمثال من طيف الحياة، ولأن جمالية الأمثال وإبلاغيتها لا تكمن في طرافة بنائها فقط، وإنما هي قائمة على بعدها المقامي التداولي، فلا يكون المقال إلا على قدر المقام، ولأن الأمثال لا تناقش مناقشة تاريخية، أو أفقية فحسب، فهي لم

---

[1] ينظر: نجار، منال: **نظرية المقام عند العرب في ضوء البراجماتية**. عالم الكتب الحديث، إربد . الأردن، ط1، 2011، ص164.

[2] زلهايم، رودلف: **الأمثال العربية القديمة مع اعتناء خاص بكتاب الأمثال لأبي عبيد**. ترجمة: رمضان عبد التواب، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1982، ص13.

توضع على أساس التاريخ أو على أساس النقد المنطقي، وكذلك لأن ألفاظ الأمثال قد لا تتغير تذكيرًا وتأنيثًا وإفرادًا وتثنيةً وجمعًا بالضرورة[1].

فالتراكيب اللغوية تُكتسب في اللغات الإنسانية، إما عن طريق السياق، وإما عن طريق المواقف التي يجري فيها تداول هذه التراكيب، وينجم عن كل طريق معنى خاص بها، فيقال: هذا معنى سياقي، أي أن السياق هو الذي يقتضيه، ويقال هذا معنى تداولي، أي أن التداول هو الذي يقتضي هذا المعنى[2]، وهذا يتطلب دراسة الأمثال دراسة جديدة، تتمثل بتسليط الضوء على المقامات التي قيلت فيها الأمثال؛ حتى تفهم على الشكل الصحيح الذي قيلت من أجله، وهذا ما أكده أبو هلال العسكري بقوله: "وإنما يحتاج في معرفتها... إلى الوقوف على أصولها والإحاطة بحديثها"[3].

وبناء على ما سبق، سيعمل هذا الفصل على الكشف عن الدلالات التداولية في الأمثال العربية، ويوضح دور التداول في فهم الأمثال فهمًا ينسجم مع الاستعمالات المختلفة لها، منطلقًا من السياق غير اللغوي (المقام) وهو النوع الثاني من السياق الذي أشار إليه أولمان ، وكان يعني به مجموع الظروف الاجتماعية أو العلاقات الاجتماعية التي يمكن أن تؤخذ بعين الاعتبار لدراسة العلاقات الموجودة بين السلوك الاجتماعي والسلوك اللغوي[4].

وبمفهوم آخر، سيتم دراسة الأمثال في ضوء السياق العام الذي تم فيه الحدث الكلامي؛ إذ يشمل الزمان والمكان، والمتكلم والسامع، والأفعال التي يقومون بها، ومختلف الأشياء والحوادث

---

[1] ينظر: نجار، منال: **نظرية المقام عند العرب في ضوء البراجماتية**، ص165.

[2] ينظر: استيتية: **اللسانيات، المجال والوظيفة والمنهج**، ص288.

[3] العسكري، أبو هلال: **جمهرة الأمثال**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش، دار الجيل، بيروت، 1988، 5/1.

[4] ينظر: بالمر: **علم الدلالة إطار جديد.** ترجمة: صبري السيد، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1992، ص60-61.

التي كان لها صلة بالحدث الكلامي، كما يشمل المعرفة المشتركة بين المتكلم والمستمع لكل ما له علاقة بفهم العبارة المنطوقة (عبارة المثل)، كما يتسع ليشمل القبول الضمني من المتكلم والمستمع لكل الأعراف التي لها علاقة بالموضوع والاعتقادات، والمسلمات السابقة المعتد بها في الجماعة اللغوية التي ينتمي إليها المتكلم والمستمع[1].

وبيان ذلك في الأمثال الآتية:

جاء في المثل العربي قول العرب:

- **أَشْبَهُ بِهِ مِنَ التَّمْرَةِ بالتَّمْرَةِ**[2]

إن هذا المثل يُضرب في الشبه الكامل بين شيئين لا اختلاف فيهما، إلا أن قصة المثل لا علاقة لها لا بالتمرة ولا بالبيض ولا بالماء، كما ورد فيها بعد ذلك، ولكن قائلها جاء بهذه الصورة التمثيلية؛ حتى يقرب صورة الشبة بينه وبين أبيه لأقرب مثال على الواقع، إلا أن هذه الصورة تنطوي على معنى تداولي عميق عند ضارب المثل ولا يتسنى فهم ذلك إلا بسرد قصة المثل.

وقصة المثل هي أن عُبَيد الله بن زياد بن ظبيان أَحَدَ بني تَيْم اللات بن ثَعْلبة دخل على عبد الملك بن مروان، وكان أحدَ فُتَّاك العرب في الإسلام، وهو الذي احْتَزَّ رأسَ مُصْعَب بن الزبير، فدخل به على عبد الملك بن مروان، وألقاه بين يديه، فسَجَد عبدُ الملك، وكان عبيد الله هذا يقول بعد ذلك: ما رأيت أعْجَزَ مني أن لا أكون قتلتُ عبدَ الملك فأكونَ قد جمعتُ بين قتلي ملك العراق وملك الشام في يوم واحد، وكان يجلس مع عبد الملك على سريره بعد قتله مُصْعَبَ ابن الزبير، فَبَرِمَ به. فجعل له كرسياً يجلس عليه، فدخل يوماً وسُوَيْدُ بن مَنْجُوف السَّدُوسي جالسٌ على السرير مع عبد الملك، فجلس على الكرسي مُغْضَبا، فقال له عبد الملك: يا عبيدَ الله بلَغني أنك لا تشبه أباك،

---

[1] ينظر: نجار، منال: **مفهوم البراجماتية ونظرية المقام في المقولات المعرفية لدى علماء العربية**. بحث منشور في كتاب: علوي، حافظ: **التداوليات علم استعمال اللغة**، ص71-72.

[2] الميداني: **مجمع الأمثال**، 485/1.

فقال: لأَنَا أشبه بأبي من التمرة بالتمرة، والبيضة بالبيضة، والماء بالماء، ولكني أخبرك يا أمير المؤمنين عَمَّنْ لم تنضجه الأرحام، ولا وُلِدَ لتَمَام، ولا أشبه الأخوال والأعمام، قال: ومن ذلك؟ قال: سُوَيْد بن مَنْجُوف، فقال عبد الملك: سُوَيْدُ أكذلك أنت؟ فقال: إنه ليقال ذلك، وإنما عَرَّضَ بعبد الملك لأنه وُلد لسبعة أشهر، فلما خرجا قال له عبيد الله: والله يا ابن عمي ما يَسُرُّني بِحِلْمِكَ عليَّ حمر النعم، فقال له سويد: وأنا والله ما يسرني بجَوَابك إياه سُودُ النَّعَم[1].

إن عبيد الله بضربه لهذا المثل يريد أن يوصل لعبد الملك بن مروان رسالة مفادها أنه ولد كامل الخلقة بعد تمامه في رحم أمه تسعة أشهر، فجاء كغيره من البشر، بل إنه قرَّب الصورة أكثر عندما استخدم الأسلوب التمثيلي؛ ليقرب الشبه بينه وبين أبيه، فضرب صورة للتمرة بين أخواتها من حبات التمر التي لا تميز مجتمعة، وكذلك البيضة إذا ما وضعت في إناء البيض، وكذلك حبات الماء المتلاحمة التي لا يمكن الفصل بينها بسهولة.

وهذه الصورة الكاملة التي ولد عليها عبيد الله والتي استعمل فيها صورة التشبيه، ليست إلا صورة تداولية تنعكس على عبد الملك بن مروان بصورة متناقضة، فهو يريد أن يقول له: وأنت لست كذلك؛ لأنك جئت إلى الدنيا لا تشبه غيرك في تمام خلقه من البشر الذين جاءوا بعد تسعة أشهر، وكأنه يقول له أيضا: لم يكن عليك أن تسألني هذا السؤال وأنت أحق به مني.

وقد يصل المعنى التداولي إلى أبعد من ذلك في رد عبيد الله على عبد الملك بن مروان، ويتضح ذلك بالعبارة الكاملة للمثل "لأنا أشبه بأبي من التمرة بالتمرة، والبيضة بالبيضة، والماء بالماء"، فلقد أتى عبيد الله صورًا مختلفة من الشبه مقتبسًا إياها من صور التكاثر المختلفة، وهي الماء الذي يمثله البشر، والبيض الذي يمثله الحيوان، والتمر الذي يمثله النبات، وكأنه يريد أن يقول له: أنت لا تشبه شيئًا من ذلك في تمام الخلقة؛ لأنك لم تنضج كغيرك، ومما يزيد هذا المعنى

---

[1] الميداني: **مجمع الأمثال**، 485/1-486.

قوةً عبارته الثانية عندما قال له: "ولكني أخبرك يا أمير المؤمنين عمّن لم تنضجه الأرحام، ولا وُلد لتمام، ولا أشبه الأخوال والأعمام".

ويقوم هذا المثل على آلية المخالفة في إنتاج الخطاب؛ فقد استغنى المرسل عن إنتاج خطابين في آن واحد؛ لأن المرسل إليه يفهم من الخطاب الأول ما يدل على خلافه. وتعد آلية المخالفة إحدى آليات الإستراتيجية التلميحية في الخطاب، وقد استدعى المرسل هذه الإستراتيجية في خطابه؛ حتى تكون مسوغًا له عند الإشارة إلى المرسل إليه، إذ كانت استجابة لداعي الخوف، فاستعمل المرسل هذه الإستراتيجية لئلا يتخذ المرسل إليه خطابه دليلاً عليه[1].

وكل ذلك لا يمكن فهمه من المثل لو أخذ على حقيقته بعبارته المجتزأة، وإن السياق الذي ورد فيه المثل يضفي دلالات أبعد من المثل نفسه في التعبير عن المعنى المراد منه.

وجاء في المثل العربي قول العرب:

- **أبِي يَغْزو، وأُمِّي تُحَدِّثُ**

قال ابن الأعرابي: ذكروا أن رجلا قدِم من غَزَاة، فأتاه جيرانُه يسألونه عن الخبر، فجعلت امرأته تقول: قَتَل من القوم كذا، وهَزَم كذا، وجُرِح فلان، فقال ابنها متعجبا: أبي يغزو وأُمي تحدث[2].

إن الناظر في المقام الذي قيل فيه هذا المثل يرى أن الابن قال المثل بعد عودة أبيه من الغزاة، ثم حديث أمه عن غزوة زوجها والمباهاة ببطولاته أمام الآخرين، الذين جاءوا يسألونه عن الغزاة التي رجع منها.

---

[1] ينظر: الشهري، عبد الهادي: **إستراتيجيات الخطاب**، ص373، 426.

[2] الميداني: **مجمع الأمثال**، 84/1.

ولكن هذا المثل ينطوي على أبعاد تداولية أعمق بكثير مما يبدو من المناسبة التي قيل فيها؛ وأول هذه الأبعاد هو: حب الظهور للنساء والمفاخرة بأزواجهن أمام بعضهنّ.

وثاني هذه الأبعاد التداولية: التهكم من عادة موجودة عند النساء، وهي كثرة الكلام بقصد وبغير قصد، لمنفعة أو لغير منفعة، فشغل النساء الشاغل في المجتمع هو الحديث الذي يوقع النساء غالبًا في الأمور المحظورة، وقد يؤدي في بعض الأحيان إلى بعض المشاكل التي تؤدي إلى الفتنة والبغضاء وتآكل أواصر المجتمع.

وثالث هذه الأبعاد: الإشارة إلى أن الأفعال تقع من الرجال، فالأفعال العظيمة لا تكون إلا من الرجال، بينما يقتصر شغل النساء الذي لا يتوقف عن الحديث الذي لا طائل منه كما أسلفت.

وجاء في المثل العربي قول العرب:

- **تَجُوعُ الحُرَّةُ وَلاَ تَأْكُلُ بِثَدْيَيْهَا.**

ويضرب في صيانة الرجل نفسه عن خسيس مكاسب الأموال[1].

توحي العبارات التي يتكون منها هذا المثل أن مقام ضرب المثل وجود امرأة شريفة تعيش عزة النفس الممزوجة بالشرف العظيم وأصالة الأخلاق؛ فهي تصبر على الجوع الذي قد يؤدي بها إلى الهلاك، دون أن تفكر لحظة في بيع شرفها.

فالتصور الذهني الذي يخامر سامع هذا المثل أن مضربه قد وقع في مقام المرأة التي تصون عرضها وشرفها وإن آذاها الجوع، وكأن هذه المرأة تصرخ بهذا القول بكل ما لديها من قوة، إثر حادث تعرضت له، معلنة رفضها بيع جسدها[2].

---

[1] الميداني: **مجمع الأمثال**، 170/1-171.

[2] نجار، منال: **نظرية المقام عند العرب في ضوء البراجماتية**، ص173.

وقصة المثل تعين على فهم الغرض الذي أراده صاحب المثل منه؛ فأول من قال ذلك الحارث بن سليل الأسَدِي، وكان حليفا لعَلْقَمَة بن خَصَفة الطائي، فزارَه فنظر إلى ابنته الزَّبَّاء – وكانت من أجمل أهل دهرها – فأعْجِبَ بها، فقال له: أتيتُكَ خاطبا، وقد ينكح الخاطب، ويدرك الطالب، ويمنح الراغب، فقال له علقمة: أنت كُفْءٌ كريم، يقبل منك الصَّفْو، ويؤخذ منك العَفْو، فأقِمْ ننظر في أمرك، ثم انكفأ إلى أمها فقال: إن الحارث بن سليل سيدُ قومه حَسَبا ومَنْصِباً وبيتا، وقد خطب إلينا الزبَّاء فلا ينصرفَنَّ إلا بحاجته، فقالت امرأته لابنتها: أيُّ الرجالِ أحبُّ إليك: الكَهْلُ الجَحْجَاح، الواصِلُ المَنَّاح، أم الفتى الوَضَّاح؟ قالت: لا، بل الفتى الوضاح، قالت: إن الفتى يُغِيرُك، وإن الشيخ يَمِيرُك، وليس الكَهْل الفاضل، الكثيرُ النائِل، كالحديث السنِّ، الكثير المَنِّ، قالت: يا أمتاه إن الفَتَاة تحبُّ الفتى كحبِّ الرعاء أنِيقَ الكَلاَ، قالت: أي بُنَية إن الفتى شديد الحِجاب، كثير العِتاب، قالت: إن الشيخ يُبْلِي شبابي، ويدنس ثيابي، ويُشْمت بي أترابي، فلم تزل أمها بها حتى غلبتها على رأيها، فتزوجها الحارث على مائة وخمسين من الإبل وخادم وألف درهم، فابْتَنَى بها ثم رَحَل بها إلى قومه[1].

فبينا هو ذاتَ يوم جالسٌ بفِناء قومه وهي إلى جانبه إذ أقبَلَ إليه شَبَابٌ من بني أسد يعتلجون فتنفَّست صُعَداء، ثم أرْخَتْ عينيها بالبكاء، فقال لها: ما يُبْكِيكِ؟ قالت: مالي وللشيوخ، الناهضين كالفُرُوخ، فقال لها: ثَكِلَتْكِ أمُّكِ تَجُوع الحرة ولا تأكل بثدييها. ثم قال لها: أما وأبيك لرُبَّ غارةٍ شهدتها، وسَبِيَّة أردفتها، وخَمْرة شربتها، فالحقي بأهلك فلا حاجة لي فيك[2].

قيل هذا المثل في مقام صيانة الرجل نفسه عن خسيس المكاسب وعزة النفس؛ إذ أحس الحارث أنه أخطأ في الزواج من فتاة جميلة، صغيرة السن، بل هي أجمل أهل دهرها، فكانت نيته

---

(1) الميداني: **مجمع الأمثال**، 1/170-171.

(2) السابق، 1/171.

أن يرجعها إلى أبويها، فقال عبارته الشهيرة التي ذهبت فيما بعد مثلا في مقام شرف المرأة الحصينة وعفافها[1].

فالموقف التداولي لا يفهم من هذا المثل على حقيقته إلا إذا رجع إلى المقام الذي ضرب فيه المثل؛ إذ لو ترك فهم المثل على ضوء العبارة التي ورد فيها لكان بعيدًا كل البعد عما ضرب لأجله، وإن كان ذهب فيما بعد إلى مقام آخر نظرًا لتداول الناس له دون النظر إلى المقام الذي ضرب لأجله.

وفي المثل العربي قول من قال:

- **عِشْ رَجَباً تَرَ عَجَبًا**[2]

قُدّم المثل بعبارة تكاد تتضمن معنى الشرط؛ إذ ربط المتكلم رؤية العجب بعيش الدهر الطويل، فكلما عاش الإنسان دهرًا أطول رأى عجائب أكثر. وهذا هو المفهوم العام للعبارة التي قدّمها المتكلم للمخاطب.

إن هذا المثل جاء على لسان الحارث بن عُبَاد بن قيس بن ثَعْلَبة، وكان ذلك في مقام بعد أن طلَّق بَعض نسائه بعدَ ما أسنَّ وخَرِف، فخَلَفَ عليها بعده رجلٌ كانت تُظْهر له من الوَجْدِ به ما لم تكن تظهر للحارث، فلقي زوجُها الحارثَ فأخبره بمنزلته منها، فَقَال الحارث: عِشْ رَجَبًا تَرَ عَجَبًا، فأرسلها مَثَلاً[3].

يبدو للوهلة الأولى من الحوار الذي دار بين الحارث وزوج مطلقته، أن الحارث قد استغرب من حديث الرجل عن مطلقته، بعد ما حدّثه عن التغير في الحال الذي أصبحت به للزوج الجديد من الوجد الذي تكنه له؛ حتى حظيت عنده بمنزلة كبيرة، جعلته يباهي بها الحارث؛ ولذلك كان هذا

---

[1] نجار، منال: **نظرية المقام عند العرب في ضوء البراجماتية**، ص174.

[2] الميداني: **مجمع الأمثال**، 20/2.

[3] السابق، 20/2.

المثل مدعاة لقول الحارث؛ استحضره حتى يدل به على تغير الحال بتعاقب الأيام، وكأن الحارث يطمئن الرجل أن الأيام تغير الإنسان من حال إلى حال؛ إذ غيرت مطلقته إلى حال أفضل مع الزوج الجديد.

ولكن إذا ما نظر في المثل من وجهة تداولية انقلب المعنى رأسًا على عقب؛ فالحارث لا يريد هذا المعنى مطلقًا، وإنما ضرب المثل قاصدا التهكم بالرجل، وكأنه يريد أن يوصل له رسالة مفادها أنه لم يرَ منها بعدُ شيئًا؛ إذ إن الأيام القادمة سوف تثبت له من سوء العشرة ما كان قد وجده الحارث منها، فهو لم يعش معها إلا أيامًا قلائل، ولم يعرف بعدُ خيرها من شرها، فالحارث عاش معها حينًا من الدهر ولاقى منها ما جعله يطلقها، فالدهر بأيامه قادر على إثبات ذلك للزوج الجديد.

فظروف المقام الذي قيل فيه المثل تثبت قصد الحارث في التهكم والسخرية من الزوج الجديد؛ فالحارث عاش مع الزوجة رجبًا بعد رجب، ورأى منها من سوء العشرة ما جعله يحكم عليها بأنها باقية على هذه الحال؛ ولذلك طلقها، وكأنه أيضا يقول للزوج الجديد: إن رجبًا واحدًا لن يكفيك في الحكم عليها، في ما رأيته منها من الوجد وحب المودة، فلا بد أن تعيش عدة سنوات من رجب لترى ما رأيته أنا منها.

قيل المثل بلهجة تهكمية؛ فالمرسل يدرك عند إنتاج خطابه أنه لن يكون مفهومًا لأول وهلة، مما يستلزم عددًا من العمليات الذهنية السريعة، وهو موقن بأن المرسل إليه سوف يفهم المعنى التهكمي بعد أن يفكر في المعنى الحرفي، ثم يستبعده على أن يكون المعنى المقصود، ولهذا فإن تأويل الملفوظ في هذا السياق التهكمي يكون أطول من تأويله في السياق الذي يستدعي المعنى الحرفي[1].

---

[1] ينظر: الشهري، عبد الهادي: **إستراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية.** دار الكتب الوطنية، بنغازي ـ ليبيا، ط1، 2004، ص417.

وهذا المعنى لم يكن ليفهم بهذه الصورة من القصدية التي أرادها ضاربه، لولا الاستعانة بالظروف الخارجية التي صاحبت المقام الذي قيل فيه، وكذلك الاستعانة بالظروف الداخلية التي أثرت في تشكيل عبارة المثل، فأسهم كلٌّ منها في تحقيق التهكم والسخرية بالمخاطب.

وجاء في المثل العربي:

- **أشأَمُ مِن مَنْشِمَ.**
- **ويقال "أشأم من عِطْرِ مَنْشَمَ"**[1]

إن النظرة الأولى في هذا المثل تشير إلى أن هذا المثل يُتمثل به في الشؤم عند رؤية شخص معين، لا يطمئن له الإنسان إذا ما أراد قضاء أمر معين، وما مَنْشِم هذه إلا امرأة سار ذكرها في الشؤم، فيحاول الآخرون تحاشيها إذا ما استهموا أمرا.

ولكن عند الرجوع إلى المقام الذي ضرب به المثل تبينت أمورٌ على غير ما كان في ذهن قارئ المثل أو سامعه؛ فقد تنوعت القصص التي ذكر فيها المثل؛ مما استدعى تغير السياق الذي استعمل فيه، علاوةً على اختلاف الرواة في لفظ هذا الاسم وفي معناه، وفي اشتقاقه، وفي سبب المثل؛ وهذا من شأنه أن يضفي على القارئ المتعمق أمورًا تداولية لم تكن لتعرف لولا الرجوع إلى الظروف الداخلية والخارجية للمثل.

لقد زُعم أن مَنْشِم امرأة، كانت عطارةً تبيع الطيب، فكان بعض العرب إذا قَصَدُوا الحربَ غَمَسُوا أيديَهم في طيبها وتحالفوا عليه؛ بأن يستميتوا في تلك الحرب ولا يُوَلُّوا أو يُقْتَلُوا، فيقول الناس عنهم: قد دَقُّوا بينهم عِطْرَ مَنْشِمَ، فلما كثر منهم هذا القول سار مثلا[2]، ومن تمثل به زهير بن أبي سلمى في قوله:

---

[1] الميداني: **مجمع الأمثال**، 480/1.
[2] ينظر: السابق، 480/1.

تَدَارِكْتُما عَبْساً وذُبْيَانَ بَعْدَمَا تَفَانَوا ودَقُّوا بَيْنَهُمْ عِطْرَ مَنْشِمِ[1]

فلو نظر إلى المقام الذي قيل فيه المثل لكان المعنى بعيدًا كل البعد عن التشاؤم المفهوم من العبارة؛ فاجتماع القوم على هذا النحو من الحماس للدخول في المعركة بعد دق طيب مَنْشِمِ بينهم هو موضع فخر وحافزٌ لهم للنصر والنيل من عدوهم، فالمغايرة في المعنى تبدو واضحة؛ لأن عطر مَنْشِمِ هو رمز للتفاؤل لا للتشاؤم كما يفهم من العبارة.

والذي يؤيد هذا الكلام ما ورد أيضا في سبب مضرب المثل من أن بعضهم زعم أن مَنْشِمِ كانت امرأة تبيع الْحَنُوطَ، وإنما سموا حنوطها عطراً في قولهم " قد دقوا بينهم عطر منشم" لأنهم أرادوا طيبَ الموتى[2].

وما طيب الموتى الذي كان يتعطر به الداخلون في الحرب إلا طيبٌ للنصر المحقق، وما الموت الذي أخذوا طيبه من منشم إلا موتٌ لأعدائهم، وما الحنوط التي تبيعها منشِم إلا راياتُ عزٍّ وشرف يسطرونها في وجه أعدائهم، ويلبسونها ذلاً وأكفانًا لأعدائهم، وإذا كانت منشِم رمزًا للشؤم فقد تكون كذلك لمن لا يتطيب بطيبها.

وكانت القبائل لا تقوم على الحرب عن هونٍ وضعفٍ، ولا من باب رد الأذى الذي قد يصيبهم إذا ما أغار عليهم غيرهم، وإنما كانت القبائل تجهز لذلك وتعد العدة، وتتغنى بالحرب الداخلة إليها، حتى جعلت بعض هذه القبائل دق طيب منشِم رمزًا للنصر المؤزر على غيرها من القبائل.

وقد ورد سبب آخر في المقام الذي قيل فيه المثل، ويشم منه تفاؤل بعض القبائل بالنصر إذا ما اشتمَ فيه عطر منشم بعد دقه بينهم؛ إذ زعم آخرون أنه سار هذا المثلُ في حَلِيمة أعني

---

[1] زهير بن أبي سلمى: **ديوان زهير**، دار صادر، بيروت، 79.

[2] الميداني: **مجمع الأمثال**، 481/1.

قولهم: "قد دَقُّوا بينهم عطر منشم" قالوا: ويومُ حليمة هو اليوم الذي سار به المثل فقيل: (ما يَوْمُ حَليمة بِسِرٍ)؛ لأن فيه كانت الحرب بين الحارث بن أبي شمر ملك الشام، وبين المنذر بن المنذر ابن امرىء القيس ملك العراق، وإنما أضيف هذا اليوم إلى حليمة؛ لأنها أخرجت إلى المعركة مَرَاكِنَ من الطيب، فكانت تُطَيِّبُ به الداخلين في الحربِ، فقاتلوا من أجل ذلك حتى تفانوا [1].

فكل الروايات السابقة التي جاءت في مضرب المثل تشير إشارات صريحة إلى أن منشم كانت رمزًا للتفاؤل بالنصر على العدو، وما عطرها إلا طيبٌ يفوح منه رائحة الفخر ولذة الانتصار.

وقد ظهر أثر السياق جليًا في تغير المعنى في مضرب المثل ، ولولا وجود القصص لهذا المثل لما فهم منه المعاني التداولية السابقة، فقد أسمهت الظروف الداخلية والخارجية التي ضرب فيها المثل في تغير النظرة الأولى (لمنشم) التي كان يلفها طابع الشؤم والسواد، إلى صورة مشرقة تجلت في حفز همم الداخلين على الحرب وتحقيق النصر على عدوهم.

وجاء في المثل العربي قول العرب:

- **إنْ يَبْغِ عَلَيْكَ قَوْمُكَ لاَ يَبْغِ عَلَيْكَ القَمَرُ**

ويضرب للأمر المشهور [2].

يقدم هذا المثل لسامعه بعبارته التي يتكون منها معنى مفاده: أن قائل المثل يقول: إن ظلمك قومُك لا يظلمك القمر، فانظر يتبين لك الأمر والحق [3].

لكن إذا ما نُوقش المثل بدراسة السبب الذي قيل من أجله، فإنه يعطي معاني أخرى؛ فقد جاء في قصة المثل: "قال المفضل بن محمد: بلغنا أن بني ثعلبة بن سعد بن ضبة في الجاهلية

---

[1] الميداني: **مجمع الأمثال**، 481/1.

[2] السابق، 60/1.

[3] السابق، 60/1.

تَرَاهنوا على الشمس والقمر ليلة أربع عشرة، فقالت طائفة: تطلع الشمس والقمر يُرَى، وقالت طائفة: بل يغيب القمر قبل أن تطلع الشمس فتراضَوْا برجل جَعَلوه بينهم، فقال رجل منهم: إن قومي يبغون علي، فقال العَدْل: إنْ يَبْغ عليك قومُك لا يبغ عليك القمر، فذهب مثلاً"[1].

فلو نُظر إلى المقام الذي قيل فيه المثل لتبين أن قائل المثل ضرب المثل مباشرة قبل أن يسمع حجة الرجل، فهو لم يقدم له إلا عبارة واحدة أن قومه يبغون عليه، فجاء الرد مباشرة من العدل (ضارب المثل) بهذا المثل، وكأن العدل يريد أن يقدم صورة من صور الظلم والبغي التي كانت سائدة في الجاهلية، وهي ظلم القوم (الأقرباء) بعضهم لبعض، وكان هذا الظلم يقع من الكبير صاحب الجاه على غيره مما لا حول له ولا قوة، ثم بعد ذلك يقدم له نصيحةً بأن هذا الظلم والبغي لا يدومان، فالحق واضحٌ وضوح القمر.

ومن المعاني التداولية في هذا المثل أيضا أن الرجل حصل على الإجابة التي كان يطمح هو وقومه إلى معرفتها، من الرجل العدل الذي جعلوه بينهم، عندما احتكموا إليه في المراهنة على الشمس والقمر ليلة أربع عشرة، إذ إن العدل قطع على الرجل وقومه السؤال بإجابته الرجل بأن القمر لا يبغِ على أحد، فضوءه واضح للعيان، ولا حاجة للجدل في هذا الموضوع؛ ولذلك انتهت قصة المثل بعد أن رد العدل على الرجل، فقد حكم العدل بين الرجل وقومه في هذه المسألة من غير حاجة لسماع حجج الطائفتين.

وجاء في المثل العربي قول العرب:

- **منْ اسْتَرْعَى الذِّئْبَ ظَلَمَ**

يضرب لمن يولي غير الأمين[2].

---

[1] الميداني: **مجمع الأمثال**، 60/1.

[2] السابق، 356/2.

تشير عبارة هذا المثل أنّ من الظلم أن يقوم الراعي بجعل الذئب حارسًا على الغنم؛ لأن ذلك ليس من طبعه، فالذئب ذئب في طبعه الذي لا يكون منه إلا الغدر؛ لذلك فإن الراعي دائمًا ما يصاحبه في رعيه الكلب الذي يكون بالنسبة له رمزًا للوفاء وتحمل المسؤولية.

ولكن إذا ما دُرس المثل في ضوء الظروف والأسباب التي قيل من أجلها، عُلِم أن ثمةَ موقفًا عظيمًا قيل من أجله، بل إن الذئب في هذه المرة ذئب بشري؛ ولذلك سيتم سرد القصة أو المقام الذي قيل فيه المثل ليتم مناقشته بالشكل الذي يليق به.

لقد ورد في قصة المثل أن أول من قَالَ ذلك أكْثَم بن صَيْفي، وذلك أن عامر بن عبيد بن وهيب تزوج صَعْبة بنت صيفي أُخْتَ أكثم، فولدت له بنين: ذئبًا، وكلبًا، وسبعًا، فتزوج كلبٌ امرأة من بني أسد ثم من بني حبيب، وأغار على الأقياس – وهم قيس بن نوفل، وقيس بن وهبان، وقيس بن جابر – فأخذ أموالهم وأغار بنو أسد على بني كلب – وهم بنو أختهم – فأخذوهم بالأقياس، فوفد كلب بن عامر على خاله أكثم، فقال: ادفع إلى الأقياس أموالَهم حتى أفتدي بها بَنِيَّ من بني أسد، فأراد أكثم أن يفعل ذلك، فَقَالَ أبوه صيفي: يا بني لاَ تفعل؛ فإن الكلب إنسان زهيد، إن دفعت إليه أموالهم أمسكها وإن دفعت إليه الأقياسَ أخذ منهم الفداء، ولكن تجعل الأموال على يد الذئب فإنه أمْثَلُ إخوته وأنْبَلُهم، وتدفع الأقياس إلى الكلب، فإذا أطلقهم فمُرِ الذئب أن يدفع إليهم أموالهم[1].

فما كان من أكثم إلا أن جعل الأموال على يد الذئب والأَقياس على يد الكلب، فخدع الكلب أخاه الذئب فأخذ منه أموالهم، ثم قَالَ لهم: إن شئتم جززت نَوَاصيكم وخليت سبيلكم، وذهبت بأموالكم، وخليتم سبيل أولاَدي، وذهبتم بأموالكم وبلغ ذلك أكثم فَقَالَ: من استرعى الذئب ظلم،

[1] الميداني: **مجمع الأمثال**، 2/356-357.

وأطمع الكلب في الفِداء فطوَّلَ على الأَقياس فأتاه أكثم فَقَالَ: إنك لفى أموال بني أسد وأهْلُكَ في الهوان، ثم قَالَ: نَعِيمُ كلبٍ في هَوَان أهله، فأرسلها مثلاً[1].

فالمثل في مقامه الذي ضرب فيه ينطوي على معانٍ تداولية عظيمة، وأولاها: إن أكثم قدّم هذا المثل في مقام التأكيد على حقيقة هو كان يعرفها، وهي أن الذئب لا يصلح أن يكون حارسًا للأغنام، وما الذئب الذي استرعاه أكثم على الأموال إلا الذئب بن عامر الذي لم يكن على قدر المسؤولية، وأكثم كان على يقين بذلك، وإنما نزل على هذا الأمر، استجابة لأمر والده صيفي، الذي أشار عليه بذلك.

وثاني المعاني التداولية في هذا المثل: هو تأنيب الضمير، فأكثم رجل حكيم، وكان يعي أن الذئب غير قادر على تحمل المسؤولية، ورغم ذلك، استرعاه على أموال الأقياس، فضيع الذئب الأمانة بحيلة من أخيه الكلب.

وثالث هذه المعاني: إن الظلم الذي عرّض به أكثم في هذا المثل هو صاحبه أولاً قبل الذئب، فأكثم كلف الذئب بتولي المسؤولية، والذئب ليس من طبعه تحمل المسؤولية، فهو غير أمين على الرعية، وقد تركت اللغة أثرًا عظيمًا في تداولية المثل؛ لأن فاعل الفعل ظلم ضمير مستتر، ويصح أن يعود على فاعل الفعل استرعى، وقد وقع في أسلوب شرط، وأسلوب الشرط قائم على التعليق بين فعل الشرط وجوابه، وهذا يدل على أنّ أكثم قصد نفسه بالظلم؛ إذ ظلم الذئب بإعطائه زمام المسؤولية، وظلم الأقياس عندما جعل أموالهم بيد أكثم، فالظلم ظلمات، وهذا ما أراده أكثم من هذا المثل .

وجاء في المثل العربي قول العرب:

- **أنَا دُونَ هَذَا، وَفَوْقَ ما فِي نَفْسِكَ.**

---

[1] الميداني: **مجمع الأمثال**، 357/3.

قاله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – لرجل مَدَحه نِفَاقا[1].

إن هذا المثل بعبارته التي ورد فيها يوحي بالغرور والكبرياء من الممدوح؛ لأجل المدح الذي تلقاه من المادح، ولكن هذا المثل أريد به عكس ذلك، بل أريد منه معنى أعظم؛ لأن قائله رجل عظيم، رجل عظمت أقواله وأفعاله؛ فهو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب –رضي الله عنه وكرم وجهه –.

فبالنظر إلى المقام الذي قيل فيه المثل يتضح أن عليًا –رضي الله عنه – قال ذلك المثل لرجل مدحه نفاقًا، وبالرغم أن النفس جبلت عل حب المدح وتعظيم الآخرين لها، إلا أن عليًا ليس كذلك، فعليّ أراد أن يعلم المسلمين درسًا للرجل في نفاقه، ودرسًا للمسلمين في عدم الشعور بالعظمة والغرور لمجرد سماع كلمات من الآخرين وإن كانت حقيقةً، علاوةً على التواضع الذي يتصف به عليٌّ .

وتتضح تلك المعاني من عبارات المثل نفسه، فبالرغم من أن شخصية علي العظيمة في التاريخ الإسلامي والتي لا يجهلها أيضا من حوله، إلا أنه قال للرجل: أن دون هذا، فهو يثبط الرجل عن مدحه، حتى يوقف الرجل مدحه الذي اتخذه تصنعًا، وكذلك حتى لا يعطي للنفس هواها في حب العظمة والتغني بها، وكأن عليًا يخاطب الرجل إنني لا أستحق هذا المدح، فأنا أقل من ذلك. فعليٌّ شخصية متواضعة، تأبى الكبر والمباهاة اللذين لا طائل منهما.

أما الجملة الثانية من المثل، فتوحي بأمرين أعظم من ذلك بكثير؛ **فالأول:** إن عليًا فهم أن النفاق من صفات ذلك الرجل، وعليّ شخصية لا تقبل النفاق حتى لو كانت في مدحه، وكأنه يريد أن يوصل رسالة إلى الرجل مفادها: إنك إن كنت منافقًا فأنا لست كذلك، فعليّ أراد أن يجتث بذرة النفاق من نفوس المسلمين قبل أن تنمو. **والأمر الآخر:** إن عليًا أراد أن يقضي على عادة شاعت

[1] الميداني: **مجمع الأمثال**، 87/1.

في بلاط الملوك والأمراء والخلفاء، وهي عادة توجه الشعراء والمادحين إلى بلاط الحاكم بغية التكسب، والتي أصبحت حرفة لبائعي الكلمات، فعلي قطع على الرجل وعلى من كان يفكر بذلك هذه العادة السيئة، والتي أصبحت ظاهرة تشيع ببلاطات الحكام.

وجاء في المثل العربي قول العرب:

- **إِذَا صَاحَتِ الدَّجاجَةُ صِياحَ الدِّيكِ فَلْتُذْبَحْ**[1]

إن الناظر في هذا المثل يفهم من عبارته أنه قيل في مقام رؤية مجموعة من الدجاج، وأن هناك دجاجةً خرجت عن المألوف في هذه المجموعة؛ فهي تقوم بأفعال ليس من طبعها، بل إن هذه الأفعال من طبع الديكة التي ترافق في كثير من الأحيان مجموعة الدجاج عند مربيها. وللحفاظ على التوافق والانسجام بين مجموعة الدجاج والديك، فإنه ينبغي ذبح أي دجاجة غيرّت في طبعها.

لكن الموقف الذي قيل فيه هذا المثل لا يوجد فيه أيّ من عناصر الطيور السابقة؛ لأن المثل قاله الفرزدق في موقف قالت فيه المرأة شعرًا، وقد قصد فيه الفرزدق التهكم في النساء التي تقول شعرًا؛ فالفرزدق من شعراء النقائض الثلاثة الكبار الذين ذاع صيتهم وعُرِف بهم شعر النقائض إلى جانب جرير والأخطل، وقد وقعت بينهم معارك شعرية عظيمة في العصر الأموي، شكلت طابعًا وحضورًا لهذا العصر.

فالفرزدق يتهكم من النساء اللواتي يردن أن يظهرن شاعرات في عصر اشتدت فيه معارك الشعر، هذه المعارك التي كان أبطالها رجالاً، تلاحمت فيها الألسن، وتسابقت فيها الأفراس في ميادين الذم والقدح في أساليب، لا ينبغي للشاعر أن يكبح نفسه فيها، فكيف للمرأة أن تقول شعرًا في هذا العصر؟! بل وكيف للمرأة أن تقول أصلا شعرًا؟!، فالشعر في نظر الفرزدق مقصورٌ على الرجال، بل إنه صراع الديكة... .

---

[1] الميداني: **مجمع الأمثال**، 96/1.

وجاء في المثل العربي قول العرب:

- **إذا شَبِعَتِ الدَّقِيقَةُ لَحِسَت الجَلِيلَة.**

الدقيقة: الغنم، والجليلة: الإبل، وهي لا يمكنها أن تشبع، والغنم يُشْبعها القليل من الكلأ فهي تفعل ذلك.

ويضرب للفقير يخدُمُ الغنيَّ(1).

بالرغم أن هذا المثل يضرب في مقام الفقير الذي يخدم الغني، إلا أنه يقدم معنى تداوليًا عظيمًا؛ إذ إن المثل قدّم بطريقة معاكسة للمألوف؛ فقد استخدم ضارب المثل أسلوب التشبيه والمماثلة لتقديم صورة للفقير الذي يخدم الغني؛ إذ شبه الفقير بالشاة التي يدق جسمها، فيكفيها القليل من الكلأ والمرعى، بينما شبه الغني بالناقة التي عظم جسمها وكبر سنامها، والتي لا يمكن أن تشبع مما تأكل من المرعى.

فمعنى المثل أن الفقير الذي يخدم الغني يشبع مما يأكله من بقايا طعام الغني أو مما يجود عليه به الغني، في الوقت الذي لا يشبع فيه الغني بالرغم أن الطعام كله بحوزته، وهو لا يقدم الطعام للفقير إلا بعد أن يكون قد فرغ من تناوله، فكان الأولى به أن يشبع هو – الغني–، لا أن يكون الفقير هو الشبع، ويبقى الغني على بقايا الطعام.

ولكن سريان المثل على هذه الطريقة من التشبيه تشكل لعبة لغزية من ضاربه ليؤدي المعنى الذي يريده، وهو الحديث عن القناعة عند الإنسان؛ فالإنسان الفقير يرضى بأقل القليل من الدنيا؛ لأنه في نظره نعمة كثيرة ينبغي المحافظة عليها، بينما صاحب المال الكثير يكون منهومًا في طلب المال، لا يرضيه الكثير؛ لأنه في نظره قليل، فهو يسعى جاهدًا ليحوز على أكثر من ذلك، فالفقير دائمًا شَبِعٌ في الوقت الذي يبقى فيه الغني لاهثًا جائعًا، فالقناعة كنز لا يفنى.

---

(1) الميداني: **مجمع الأمثال**، 102/1.

وجاء في المثل العربي قول العرب:

- **الحَرْبُ سِجَالٌ**[1]

جاء في قصة هذا المثل أن أبا سفيان تلفظ بذلك يوم أحد، بعد ما وقعت الهزيمة على المسلمين؛ إذ قال: اعْلُ هُبَلُ اعْلُ هُبَلُ، فقال عمر: يا رسول الله ألا أجيبه؟ قال: بلى يا عمر، قال عمر: الله أعْلى وأجَلّ، فقال أبو سفيان: يا ابن الخطاب إنه يومُ الصَّمْت يوما بيوم بدر، وإن الأيام دُوَل، وإن الحرب سِجَال، فقال عمر: ولا سَوَاء، قَتْلاَنا في الجنة وقَتْلاَكم في النار، فقال أبو سفيان: إنكم لتزعمون ذلك، لقد خِبْنَا إذَنْ وخَسِرْنا[2].

إن المعنى الذي يفهم من هذا المثل أن الأيام لا تدوم على حالها، وإنما هي متقلبة، فالنصر لا يدوم، ولا الهزيمة أيضا، فالحرب سجال بين الطرفين، وهكذا شأنها.

لكن فيه معنى آخر، ويتضح بالنظر في السياق اللغوي الذي ورد فيه المثل، وكذلك إلى المقام الذي ضرب من أجله؛ فالمعنى الذي يريده أبو سفيان هو أن النصر من شأن قومه، وأن الهزيمة لا تلحق بهم أبدًا على الرغم مما حصل في واقعة بدر، فـ "المُسَاجلة: أن تَصْنَع مثلَ صنيع صاحبك من جري أو سقي، وأصله من السَّجْل وهو الدَّلْو فيها ماء قل أو كثر، ولا يقال لها وهي فارغة سَجْل"[3].

كما أن النبرة الصوتية التي رافقت إرسال المثل قد أسهمت في إبراز لهجة التهكم والسخرية. وتُعد النبرة الصوتية من العوامل المساعدة للكشف عن المعنى التداولي من السياق[4].

---

[1] الميداني: **مجمع الأمثال**، 277/1.

[2] ينظر: السابق، 277/1.

[3] ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (سَجَل).

[4] ينظر: Louise Cummings: **Pragmatics**, Edinburgh University, press Ltd, 2005, 2

وإذا ما التحم السياق اللغوي مع المقام الذي قيل فيه المثل نشأ المعنى التداولي الذي يريده أبو سفيان؛ فقوله: (لقد خبنا إذن وخسرنا)، هو موقف تهكم وخسرية، فهو يقول: إننا لا نخسر أبدًا، فالنصر حليفنا، وهذا ما أراده أبو سفيان من قوله: الحرب سجال.

وجاء في المثل العربي قول من قال:

– **مَقْتَلُ الرَّجُلِ بَيْنَ فَكَّيْهِ**[1]

تقدم عبارة المثل معنى يقوم على أن اللسان قد يؤدي بالإنسان إلى طريق الهلاك؛ بسبب كلمة سوء قالها عن غيره؛ ولذلك فإن على الإنسان أن يكون صائنًا لسانه، ولا يتكلم به إلا خيرًا حتى لا يكون لسانه سببًا في هلاكه.

هذا هو المعنى العام للعبارة التي ضُرب فيها المثل، إلا أن المثل يحتوي على معنى تداولي أبلغ من هذا المعنى؛ وذلك بالرجوع إلى المناسبة التي قيل فيها، وكذلك السياق الذي ورد فيه المثل.

إن أول من قَالَ ذلك أَكْثَمُ بن صَيْفي في وصية لبنيه، وكان جَمَعَهم فَقَالَ: تَبَارُّوا فإن البرّ يبقى عليه العدد، وكُفُّوا ألسِنَتَكم فإن مَقْتَلَ الرجل بين فَكَّيه، إن قول الحق لم يَدَعْ لي صديقاً، الصدقُ مَنْجَاة، لاَ يَنْفَعُ التَّوَقِّي مما هو واقع[2].

كان هذا المثل واحدًا من جملة نصائح وأمثالٍ قدّمها أكثم لبنيه المجتمعين حوله، وأكثم رجلٌ حكيم قد جرب الحياة وعرك نوائبها، فهو لم يرد من أبنائه الكفَّ باللسان عن الكلام المشين الذي يؤدي إلى الهلاك فقط ، وإنما أراد منهم أن يكفوا ألسنتهم عن قول الحق الذي يؤدي أحيانا

---

[1] الميداني: **مجمع الأمثال**، 313/2.

[2] السابق، 313/2.

إلى الهلاك أيضًا؛ إذ كثيرًا ما يباعد قول الحقيقة بين الأصدقاء، فكأن الفراق الذي حصل بين أكثم وأصدقائه بسبب اللسان أصبح هلاكًا له؛ ففراق الموت والبعد عنده واحد .

والذي يؤكد المعنى الذي يريده أكثم بمثله، قوله اللاحق لعبارة المثل: إن قول الحق لم يدع لي صديقًا، فأكثم يعترف لأبنائه أن اللسان قد باعد بينه وبين أصحابه، وإن لم يؤدِ به إلى الهلاك.

وجاء في المثل العربي قول العرب:

- **ماتَ وَهُوَ عَرِيضُ البِطَانِ**

البِطَان للبعير: بمنزلة الحِزام للفرس، وعرضه كناية عن انتفاخ بطنه وسَعَته.

ويضرب لمن مات ومالُه جَمٌّ لم يذهب منه شيء[1].

إن هذا المثل يقوم على علاقة المشابهة بين الإنسان الذي يكون جلّ همه وتفكيره في جمع المال، وبين البعير الذي يكون بطانه عريضًا لانتفاخ بطنه وسعته، فكلاهما سواء في انتفاخ البطن وسعته.

ولكن المعنى التداولي الذي ينطوي عليه المثل يذهب إلى أكثر من ذلك مقاربة؛ فالمثل تعريضٌ واضح بالإنسان الحريص على حُبّ المال وجمعه، ثم يموت ويبقى المال على حاله من التضخم، فهذا الرجل يموت كالبعير الذي كان جلّ وقته منشغلاً في طلب الكلأ، حتى انتفخ بطنه واتسع، لكل ما هو حوله من الكلأ والطعام، وإذا مات هذا البعير مات على هيئته من الانتفاخ والسعة، فالرجل والبعير سواء في موتهما، فكلاهما مات على حاله من سعة البطن والانتفاخ.

ولا يعني ذلك أن لا يكون الإنسان حريصًا على المال وعلى جمعه، ولكن المعنى الذي أود توجيهه من هذا المثل، هو أن يكون المال وسيلة الإنسان للحياة، لا غاية عنده، فلكل شيء في الحياة حقه في الطلب والمقصد.

---

[1] الميداني: **مجمع الأمثال**، 316/2.

وبذلك يكون المثل قائمًا على التعريض بالإنسان الحريص على جمع المال، وكذلك عدم المغالاة في طلب موضوع على حساب موضوع آخر، فعلى الإنسان أن يعطي كل شيء حقه من العناية والاهتمام.

فالبعير على عظمته واتساع بطنه لم يسعفه ذلك عند موته في شيء، وكذلك الإنسان لا ينفعه المال الذي جمعه . إذا كان هدفًا وغاية عنده . بعد موته، فكلاهما سواء.

وجاء في المثل العربي قول العرب:

- **ما يُعْوَى ولاَ يُنْبَحُ**[1].

ليس في هذا المثل أي إخبار عن ذئب ولا عن كلب، بالرغم أن نباح الكلب يبشر بمجيء الضيف وعواء الذئب يؤذن بهجوم شره على الغنم وغيرها، ولكنه إخبار عن رجل، هذا الرجل الذي ضرب المثل من أجله.

ولكن ما تكتنزه هذه العبارة من معانٍ أكثر من ذلك، فهي في الحقيقة تتحدث عن رجل **أولا** باعتباره صاحب الموقف الذي ورد المثل من أجله، وهي تتحدث **ثانيًا** عن قوم يوجد بينهم ذلك الرجل، كما تتحدث عن أن هذا الرجل ضعيف لا يعتد به في خير ولا في شر، فهو لا يبشر ولاَ يُنْذِر، فوجوده وعدمه سواء في القوم.

فالذي يفهم من هذه العبارة إذن ليس من المدلالولات المباشرة للألفاظ، ولا هو من الإيحاء، وإنما هو من الدلالات التي يتداولها الناس فيما بينهم، فالذي منح العبارة هذا المعنى هو المقام، فالدلالة المقامية إذن نشأت من المقام الذي منح العبارة دلالة خاصة، ولم تكن تدل ألفاظها ولا تراكيبها على ذلك المعنى[2].

وجاء في المثل العربي قول من قال:

---

[1] الميداني: **مجمع الأمثال**، 388/2.

[2] ينظر: استيتة، سمير: **اللسانيات**، ص290.

- **ما قَلَّ سُفَهاءُ قَوْمٍ إلاَ ذَلُّوا**[1]

هذا مثل يبدو فيه من العجب ما لا يبدو في غيره من الأمثال؛ إذ إنه يعطي دلالة إيجابية لمعنى السفيه أولاً، وكذلك لأنه يربط مصير أقوام بعينها لغياب بعض سفهائها ثانيًا.

فالمثل في عبارته يقدم دلالة مؤداها أن قلة السفهاء في بعض الأقوام تؤدي إلى الذل، بل إن المثل قدّم بطريقة الحصر، مما يدل على حتمية دلالة هذا المثل، وهذه الدلالة جاءت على غير المعتاد؛ إذ جعل وجودهم عزًا ونصرًا لأقوامهم، بل إن قلة وجودهم توقع القوم في ذلٍّ محتمٍ.

ولا يفهم المثل بدلالته السابقة على هذا النحو، بل لا بد من الاستعانة بظروف أخرى تساعد على فهم المعنى التداولي الذي ينطوي عليه.

ثمة مثلٌ آخر يُفهم منه معنى المثل الذي أنا بصدده وهو: "**لاَ بُدَّ للفقيه من سَفِيه يُنَاضِلُ عنه**"[2]، فالفقيه، لا بد أن يكون له سفيه يدفع عنه السفهاء الآخرين.

وهذا المثل أيضاً له مثل آخر يؤازره في إيضاح معنى المثل الأول وهو: "**سفيهٌ لم يجد مُسافهًا**"[3]، والمثل يروى عن الحسن بن علي – رضي الله عنهما – قاله لعمرو بن الزبير حين شتمه.

وجاء في المثل العربي قول من قال:

- **مَتَى كانَ حُكْمُ الله فِي كَرَبِ النَّخْلِ.**

ويضرب في من يَضَعُ نفسه حيث لاَ يستأهل[4].

إن هذا المثل قاله جرير لرجل من عبد قيس وكان شاعرًا، اسمه الصَّلَتَان العَبْدي، عندما قَالَ لجرير:

---

[1] الميداني: **مجمع الأمثال**، 343/2.
[2] السابق، 343/2.
[3] السابق، 1/ 430.
[4] السابق، 334/2.

أرى شاعِرًا لاَ شَاعِرَ اليَوْمَ مِثْله		جَرِيرٌ، ولَكِنْ فِي كُلَيْبٍ تَوَاضُعُ

فرد عليه جرير:

أَقُولُ وَلَمْ أَمْلِكْ بوَادرَ دَمْعَتِي		مَتَى كَانَ حُكْمُ الله فِي كَرَبِ النَّخْلِ؟[1]

وذلك أن بلاد عبد القَيْس بلاد النخل، فلهذا قَالَه[2].

يوحي هذا المثل بلهجة تهكم من جرير لهذا الشاعر، ولكن لا بد من الرجوع إلى المقام الذي قيل فيه المثل ليفهم المعنى الذي أراده جرير عندما ردّ الشاعر إلى أهله وسكناهم، بالرغم أن البيت الذي قاله شاعر عبد القيس يوحي بمدح جرير لا بذمه، لذلك كان من المناسب الرجوع إلى مصدر آخر للوقوف على ملابسات قصة هذا المثل.

قيل هذا المثل في حادثة التحكيم بين الفرزدق وجرير، حين أتى الفرزدق بالصلتان العبدي، وقد كان من كبار الشعراء سنًا وشعرًا، فلم تأت نتيجة التحكيم مرضية لا لجرير ولا للفرزدق الذي طلبه للتحكيم، فكان صريحًا في حكمه، فقال[3]:

أَلا إِنَّمَا تحظى كُلَيْب بشعرها		وبالمجد تحظى دارمٌ والأقارع

أَنا الصلتان وَالَّذِي قد علمْتُم		متى مَا يحكم فَهُوَ بالحكم صادع

أَتَتْنِي تميمٌ حِين هابت قضاتها		وَإِنِّي لبالفصل الْمُبين لقَاطع

قَضَاء امرئٍ لَا يَتَّقِي الشتم مِنْهُم		وَلَيْسَ لَهُ فِي الْحَمد مِنْهُم مَنَافِع

وَلم يرجع الْأَعْشَى قَضِيَّة جَعْفَر		وَلَيْسَ لحكمي آخر الدَّهْر رَاجع

فَإِن يَك بَحر الحنظليين وَاحِدًا		فَمَا يَسْتَوِي حيتانه والضفادع

---

[1] جرير: **ديوان جرير**. شرح: محمد بن حبيب، تحقيق: نعمان محمد أمين طه، دار المعارف، القاهرة، ط3، 1037/2.

[2] السابق، 334/2.

[3] ينظر: الجمحي، محمد بن سلام: **طبقات فحول الشعراء**. **شرح:** محمود محمد شاكر، دار المدني بجدة، 403/2-404.

وَمَا يَسْتَوِي صدر الْقَنَاة وزجها ... وَمَا يَسْتَوِي شم الذرا والأجارع

فيا شَاعِرًا لَا شَاعِر الْيَوْم مثله ... جريرٌ وَلَكِن فِي كُلَيْب تواضع

وَيرْفَع من شعر الفرزدق أَنه ... لَهُ باذخ لذِي الخسيسة رَافع

يناشدني النَّصْر الفرزدق بَعْدَمَا ... ألحت عَلَيْهِ من جريرٍ صواقع

نزلت هذه الأبيات كالصاعقة على الطرفين؛ إذ إنه أطرى على رفعة نسب الفرزدق في تميم، وتواضع نسب جرير فيهم، فأغضب بذلك جريرًا، وفي الوقت نفسه امتدح جريرًا شاعرًا ليس كمثله شاعرٌ، وأن الفرزدق ما دعاه إلا لينصره من صواعق ذلك الشاعر، فأغضب بذلك الفرزدق، وحينها لم يجد الفرزدق ما ينبز به الصلتان العبدي إلا كونه بحرانيًا، فقال: "أما الشرف فقد عرفه، وأما الشعر فما للبحراني والشعر"[1].

أما جرير فقد نبزه بهذ البيت:

أَقُولُ وَلَمْ أَمْلِكْ بوَادرَ دَمْعَتِى ... مَتَى كَانَ حُكْمُ الله فِي كَرَبِ النَّخْلِ؟

يتضح بعد النظر في قصة هذا المثل أن جريرًا قال بذلك متهكمًا بشاعر عبد القيس، بعد أن حطّ الشاعر من نسب جرير بين القبائل؛ إذ ثار جرير غضبًا على الشاعر، فقال فيه هذا المثل متهكمًا منه ومن قبيلته، فكأنه يقول: أنت لا تستحق أن تكون قاضيًا بيننا، بل يصل جرير في تهكمه إلى أبعد من ذلك إذ يعيره بأهله، الذين لا يعرفون إلا زراعة النخيل، والعمل فيها، وزراعة النخيل ليست عيبًا، ولكن جريرًا اتخذها فرصة للنيل منه، فهو يعيره على أنه من أبناء الحراثين،

---

[1] ينظر: الجمحي، محمد بن سلام: **طبقات فحول الشعراء. شرح:** محمود محمد شاكر، دار المدني بجدة، 403/2-404.

وما دام على هذا النحو من منزلة القبائل، فهو لا يصلح أن يكون قاضيًا، حتى قيل في أهله مثل آخر **(عرفَ النخلُ أهلَهُ)**[1].

وهذا المعنى التداولي يقود إلى معانٍ تداولية أخرى، فهو يعيره أنه من طبقة العبيد التي لا شأن لها في المجتمع إلا الخدمة عند الطبقة الحاكمة وأصحاب الأموال الطائلة، وكأنه يقول له: وكيف تتحدث عن نسبي وتحط من قيمة قبيلتي بين القبائل، وأنت على هذا النحو من دنو المنزلة؟!

ومن المعاني التداولية التي تفهم من القصة التي ضرب فيها المثل أيضًا، أن القضاء منصب خطير، ويجب أن يسند إلى شخص صاحب نفوذ وسلطة، أي يسند إلى رجل ذي قبيلة عظيمة، لها وجودها بين القبائل، حتى تسمع كلمتها، ويؤدى حكمها على أتم وجه، وهذا لا يتأتى في رجل كالصلتان العبدي الذي لا شأن لقبيلته إلا حراثة الأرض وزراعة النخيل.

ومن المعاني التداولية أيضًا في هذا المثل التعريض بالفرزدق؛ لأنه لجأ إلى الصلتان العبدي شاعر عبد القيس في التحكيم، وكذلك تعريض جرير بنفسه؛ لأنه أيضًا وافق على أن يكون الصلتان العبدي قاضيًا وحكمًا بينهما، فهما من أوصلاه إلى هذه المرتبة التي لا يستحقها من الشرف.

وكل هذه المعاني التداولية لم تكن لتفهم من المعاني اللغوية المباشرة في المثل لو أخذ المثل كما هو، دون الرجوع إلى المقام الذي قيل فيه، وكذلك دون دراسة الظروف والملابسات التي كانت سببًا في قول جرير للمثل.

وجاء في المثل العربي قول العرب:

- **عَرَفَ النَّخْلُ أَهْلَهُ**

---

[1] الميداني: **مجمع الأمثال**، 27/2.

ويضرب عند وكول الأمر إلى أهله[1].

يأتي هذا المثل امتدادًا لما تم مناقشته في المثل : **(متى كان حكم الله في كرب النخل)**، وبالرغم أن المثل (عرف النخلُ أهله) يضرب عند وكول الأمر إلى أهله، إلا أن المعنى التداولي الذي يفهم منه خلاف ذلك؛ وذلك بعد أن تم مناقشة القصة التي دارت بين جرير والصلتان العبدي، وكيف اتخذها جرير للنيل من الصلتان العبدي، فضلا على أن المقام الذي ضرب فيه هذا المثل أيضًا تغير عما ضرب من المثل من أجله؛ ولذلك لا بد من ذكر قصة هذا المثل أيضًا.

فقد ورد في قصته أن عبد القيس وشَنَّ بن أَفْصَى لما ساروا يطلبون المتَّسَع والريف وبعثوا بالرُّوَّاد والعيون، فبلغوا هَجَر وأرض البحرين، ومياها ظاهرة وقرى عامرة ونخلاً وريفًا ودارًا أفضل وأريَفَ من البلاد التي هم بها؛ ساروا إلى البحرين وضاموا مَنْ بها من إياد وأزد وشَدَّوا خيولهم بكرانيف النخل، فَقَالت إياد: عَرَفَ النخلُ أهْلَه، فذهبت مثلاً[2].

كانت المنافسة موجودة بين القبائل في الأشياء التي تشكل مجدًا وعزًا لها، كالشرف الرفيع، أو الوصول إلى سدة الحكم، أو كثرة الأدباء والشعراء فيها، أو الحروب الطاحنة وتحقيق النصر على غيرها من القبائل؛ وغير ذلك من أمور العز والمجد، ولم تصل عبد القيس إلى شيء من ذلك في هذا المقام، وإنما هي قبيلة بحثت عن ريف أفضل مما كانت فيه، فوصلت إلى هجر وأرض البحرين، المعروفة أصلا بزراعة النخيل، وهذا يؤيده أيضًا ما جاء في المثل العربي: **(كَمُسْتَبْضِعِ التَّمْر إلى هَجَرَ)**[3].

فأي شرف وحكم وصلت إليه عبد القيس حتى يقال فيها المثل، والذي يضرب عند وكول الأمر إلى أهله، فكل ما في الموضوع أنها لجأت إلى سعاف النخيل لربط الخيول، وهذا مبتغاها

---

[1] الميداني: **مجمع الأمثال**، 27/2.

[2] السابق، 27/2.

[3] السابق، 182/2.

ومجدها؛ زراعة النخيل والعمل فيها، ولذلك ليس غريبٌ أن تكون قبيلة إياد أيضًا اتخذت من هذا المثل أسلوبًا لمعايرة قبيلة عبد القيس، وبالذات عندما قلبت الصورة في عبارة المثل؛ إذ إن النخل هو الذي عرف أهله وزارعيه، وهذا يشير إلى أن قبيلة عبد القيس لا تعرف إلا هذه المهنة التي أصبحت معايرة لها عند القبائل الأخرى.

فالمثل قائم على آلية النقد، ومفادها أن يقول المرسل شيئًا إيجابيًا ليبلغ به حكمه أو قصده السلبي، وبشكل أقل تعميمًا، فإن المرسل يقول شيئًا سلبيًا ليبلغ به حكمه أو قصده الإيجابي[1].

وجاء في المثل العري قول العرب:

- **مَا كُلُّ بَيْضَاءَ شَحْمَةً، ولاَ كُلُّ سَوْدَاءَ تَمْرَةً** [2].

يقدم هذا المثل معنى يقوم على أنه يجب على الإنسان أن يمايز بين الأشياء المتشابهة في الصورة أو الشكل، فليس كل ما هو أبيض ناصع يشبه الشحمة في بياضه يكون شحمة، وليس كل ما هو أسود حالك يشبه التمرة يكون تمرة، فالأشياء وإن تشابهت في الصورة قد تختلف في تكوينها الداخلي أو كنهها.

ولتوضيح هذا المثل على حقيقته التي أرادها ضارب المثل منه، كان لا بد من الاستعانة بالمقام الذي ضرب فيه المثل للخروج بالمعنى التداولي العميق الذي ينطوي بداخله، فقد جاء في قصة المثل أن هندًا بنت عَوْف بن عامر بن نِزار بن بجيلة كانت تحت ذُهل بن ثعلبة ابن عُكابة، فولدت له عامراً وشيبان، ثم هَلَكَ عنها ذهل، فتزوجها بعده مالكُ بن بكر بن سعد بن ضبة، فولدت له ذُهْلَ بن مالك، فكان عامر وشيبان مع أمها في بني ضَبَّة، فلما هلك مالك بن بكر انصرفا إلى قومهما، وكان لهما مال عند عمهما قيس بن ثعلبة، فوجَدَاه قد احتْوَاه، فوثب عامر

---

[1] ينظر: الشهري، عبد الهادي: **إستراتيجيات الخطاب**، ص417.

[2] الميداني: **مجمع الأمثال**، 2/333-334.

ابن ذُهْل فجعل يخنقه، فَقَالَ قيس: يا ابن أخي دَعْنِي، فإن الشيخ متأوه، فذهب قوله مثلاً، ثم قَالَ: ما كل بيضاء شَحْمَة، ولاَ كل سوداء تمرة، يعنى أنه وإن أشْبَهَ أباه خَلْقَاً فلم يشبهه خُلْقاً، فذهب قوله مثلاً[1].

فالمثل بعد النظر في المقام الذي قيل فيه، يقوم على التنبيه على أمر خطير، وهو عدم اغترار الإنسان بالمظاهر الخارجية، والصور الزائفة، وإنما على الإنسان أن ينظر بعمق في جوهر الأشياء، ثم يحكم عليها بعد ذلك، وكذلك الناس معادن، لا تُعرف إلا بعد حكها، للخروج بصحيحها أو زائفها.

ولذلك على الإنسان أن يتنبه في الحكم على الأمور المتشابهة في الصورة؛ لأنها في الحقيقة مختلفة تمامًا؛ فالشحمة بيضاء، وهي ذات فائدة للإنسان، ولكن ليس كل شيء لونه أبيض هو مثل الشحمة في منفعتها، وكذلك الحال بالنسبة للتمرة، فالتمرة سوداء طعمها حلو، ومنافعها عظيمة للإنسان، وقد توجد ثمرة تشبهها في السواد، ولكن طعمها غير مستساغ، بل هي مؤذية وضارة لآكلها.

والإنسان الذي تستهويه الصور، يظن أن كل ما اشترك في صورة من الصور، فإنه يشترك في منافعه أو مضاره، فيقدم على ما يظنه نافعًا له فيجده ضارًا، فيقع في الضرر من حيث ظنه نفعًا، ويتجنب ما يظنه ضارًا له، بالرغم أنه نافع، فيحرم من نفعه، فيخرج في الحالتين نادمًا، فقد اغترّ في الصورة في الحالة الأولى فوقع في الضرر، كما اغترّ في الصورة في الحالة الثانية فحرم من نفعها.

وهذا المعنى التداولي هو الذي أراده قيس بن ثعلبة من المثل الذي ضربه في ابن أخيه عامر، فالابن أشبه أباه في الصورة الشكلية الخارجية أو الخلقة، ولكنه في الجوهر لم يشبه أباه في

---

[1] الميداني: **مجمع الأمثال**، 333/2.

شيء، فقد كان بعيدًا كل البعد عن أخلاق والده، بالرغم من التشابه في الشكل الذي استهوى عمه بدايةً.

ولذلك على الإنسان أن يتروى في الحكم على الأشياء التي قد تبدو متشابهة في صورتها؛ لأنها في الحقيقة قد تكون متناقضة تمامًا، فالمظاهر البراقة قد تخدع كثيرًا من الأشخاص، ولا تعرف حقيقتها إلا بعد الفحص الدقيق لجوهرها.

وعلاوة على ما سبق، فقد قدم المثل باستخدام أسلوب النفي، إذ نفى علاقة المشابهة، بين الولد وأبيه، والنفي نفسه صورة من صور التداول؛ إذ ذهب غازدر إلى أن النفي له وجه براجماتي، من حيث إنه يعطي الجملة المنفية طابعًا مختلفًا عن طابع الجملة المثبتة[1].

وجاء في المثل العربي قول من قال:

- **النَّبْعُ يَقْرَعُ بَعْضُهُ بَعْضًا**[2]

النَّبْع: من شجر الجبل، وهو من أكرم العِيدان[3].

يتحدث هذا المثل عن نوع من الأشجار، هي أشجار النبع التي تنبت في الجبال، وهذه الأشجار تحتوي على عيدان من أجود أنواع العيدان، حتى إنه يُتخذ منها القسي والسهام، يضرب بعضها بعضًا دون أن تتأثر لتماسكها، فالذي يفهم من المثل الدلالة على القوة والتماسك في هذا النوع من عيدان الأشجار.

ولكن إذا ما رُجع إلى المقام الذي قيل فيه المثل، وجد أن هذا المثل يحمل معنى تداوليًّا عميقًا؛ فقائله رجل من دهاة العرب؛ و قد قاله في نفسه وفي رجل آخر أيضًا من دهاة العرب؛ ولذلك فالمقام فيه أبلغ من المقال كما يتضح من قصته؛ إذ إن هذا المثل يروى لزياد بن أبيه، قَالَه

(1) Gerald Gazdar. Pragmatics. N. Y, Academic Pres, 1979, p. 67.

(2) الميداني: **مجمع الأمثال**، 398/2.

(3) السابق، 398/2.

في نفسه وفي معاوية، وذلك أن زياداً كان واليًا على البصرة وكان المغيرة بن شعبة واليًا على الكوفة، فتُوفي فيها، فخاف زياد أن يولي مكانه عبد الله بن عامر، وكان زياد لذلك كارهاً، فكتب إلى معاوية يخبره بوفاة المغيرة، ويشير عليه بتولية الضحاك بن قيس مكانه، ففطن له معاوية، فكتب إليه: قد فهمتُ كتابَكَ، فليُفْرِخْ رَوْعُك أبا المغيرة، لَسْنَا نستعمل ابن عامر على الكوفة، وقد ضمناها إليك مع البصرة، فلما ورد على زياد كتابه قَالَ: النبع يَقْرَعُ بعضُه بعضا[1].

يفهم من هذا المثل أنه يضرب للمتكافئين في الدهاء والمكر، ولا غرابة في قوة المشابهة بين عيدان النبع في التماسك والشدة، واستعمالها في أمور البأس والقوة، وبين القوة والشدة والدهاء التي جمعت بين زياد ومعاوية، فكلاهما مثل في هذه الأمور.

وليس المثل ببعيد عن إستراتيجية التضامن في الخطاب، هذه الإستراتيجية التي يحاول المرسل أن يجسد بها درجة علاقته بالمرسل إليه ونوعها، وأن يعبر عن مدى احترامه لها، ورغبته في المحافظة عليها، أو تطويرها بإزالة معالم الفروق بينهما، وإجمالاً هي محاولة التقرب من المرسل إليه وتقريبه[2].

فزياد استخدم هذه الإستراتيجية بعد أن تم له ما أراد من معاوية، ولذلك هو يحاول التقرب من معاوية بصورة أعظم، ويسعى لتطوير العلاقة برسم صورة المشابهة بينه وبين معاوية، حرصًا منه على إزالة أية معالم للفروق بينهما، وإن كان هناك من فرق بينهما يكون فقط في العلاقة العامودية (الحكم) التي يعلو بها معاوية على زياد.

وجاء في المثل العربي قول من قال:

- **آكلُ لحمي ولا أدَعُهُ لآكل**[3].

---

[1] الميداني: **مجمع الأمثال**، 398/2.

[2] ينظر: الشهري، عبد الهادي: **إستراتيجيات الخطاب**، ص257.

[3] الميداني: **مجمع الأمثال**، 76/1.

تشير عبارة هذا المثل إلى أن المتكلم حريصٌ على أكل اللحم الذي يكون بحوزته؛ لأنه أولى به، فهو لا يدعه لغيره، حتى يظفر بأكله.

ولكن هذا المثل ينطوي على معنى تداولي عميق، لا يفهم إلا بالرجوع إلى المقام الذي قيل فيه؛ فأول من قال ذلك العيّار بن عبد الله الضبّي، وكان العيّار رجلاً بَطالاً، يقول الشعر، ويضحك الملوك، وكان قد قال:

لا أذبحُ النازيَ الشبوبَ ولا أسلخُ يومَ المُقامةِ العُنُقا

فكان يومًا أن زار النعمان البادية، فوفد عليها العيّار وحُبيش بن دُلف وضرار بن الظبيان، فأكرمهم وأجرى عليهم نزلاً، وأرسل إليهم بجزُر فيهن تيس، فأكلوهن غير التيس، فقال ضرار للعيَار، وهو أحدثهم سنًّا: إنه ليس عندنا من يسلخ هذا التيس، فلو ذبحته وسلخته وكفيتنا ذلك، فقام العيّار بذبح التيس وسلخه، فانطلق ضرار إلى النعمان، فقال له: أبيت اللعن، إن العيّار يسلخ تيسًا، فقال النعمان: أبعد ما قال (يقصد بيت الشعر السالف)؟ قال ضرار: نعم، فأرسل إليه النعمان رسولاً، فوجده الرسول يسلخ تيسًا، فأتى به، قال له النعمان: أين قولك: لا أذبح النازي الشبوب؟ وأنشده البيت، فخجل العيّار، وضحك النعمان منه ساعة، وعرف العيّار أن ضرارًا هو الذي أخبر النعمان بما صنع[1].

وسكت العيّار حتى كانت ساعة النعمان التي يجلس فيها في ظل سُرادِقه ويؤتى بطعامه، فعمد العيّار إلى حُلّة ضرار التي أهداها له النعمان بالأمس، فلبسها وجعل رائحتها نتنةً، ومرّ أمام النعمان، فقال النعمان: ما لضرار قاتله الله لا يهابني عند طعامي ؟ فغضب على ضرار، فحلف ضرار ما فعل، وقال: ولكني أرى أن العيّار فعل هذا من أجل أني ذكرتُ سلخه التيس، فوقع بينهما كلام حتى تشاتما عند النعمان. فلما كان بعد ذلك، جاء إلى النعمان شخص اسمه أبو مُرحب،

---

[1] ينظر: الميداني: **مجمع الأمثال**، 1/ 76.

فتناول ضرارًا عند النعمان، والعيّار شاهد، فشتم العيّارأبا مُرحب وزجره، فقال النعمان: أتشتم أبا مرحب في ضرار، وقد سمعتك تقول له شرًّا مما قال له أبو مرحب ؟ فقال العيّار: أبيت اللعن وأسعدك إلهك، آكل لحمي ولا أدعه لآكل، فأرسلها مثلاً، فقال النعمان: لا يملك مولى لمولى نصرًا[1].

إن الذي يُفهم من هذا المثل، في المقام الذي قيل فيه، هو أن الإنسان ينبغي أن يدافع عن غيره ممّن تربطه به علاقة قوية، كأخيه أو صديقه، أو ما شابه ذلك، إذا ما هُوجم بغيبته، وإن كان بينهما سوء تفاهم لأمر ما؛ فالعلاقة التي تربطهما أقوى مما يُثار حولهما من كلام.

وجاء في المثل العربي قول العرب:

- **أتبعْ الفرسَ لجامَها والناقةَ زمامَها**[2].

يقدم هذا المثل معنى مؤداه أن الإنسان إذا باع الفرس والناقة أو جاد بهما على شخص آخر، فعليه أن يُتم لوازمهما؛ حتى يكونا أيسر في قضاء الحاجة؛ لأن الفرس لا غنى لها عن اللجام، وكذلك الحال للناقة، لا غنى لها عن الزمام؛ إذ لا يمكن القيادة بدونهما.

ولكن المثل ينطوي على معنى تداولي، لا علاقة له بالفرس وبلجامها، ولا بالناقة وبزمامها، ولذلك ينبغي سرد المقام الذي قيل فيه المثل؛ للكشف عن المعنى الذي يريده ضاربه؛ فقائل المثل هو عمرو بن ثعلبة الكلبي، وكان ضراربن عمرو الضبي أغار على قوم عمرو بن ثعلبة، فسبى يومئذٍ سلمى بنت وائل الصائغ، وكانت أمةً لعمرو، وهي أم النعمان بن المنذر، فمضى بها ضرار مع ما غَنِم، فأدركه عمرو، وكان صديقًا له، فقال: أنشدك الإخاء والمودة إلا رددت عليّ أهلي،

---

[1] ينظر: الميداني: **مجمع الأمثال**، 1/ 76.

[2] الميداني: **مجمع الأمثال**، 1/ 183.

فجعل يردّ شيئًا شيئًا، حتى بقيت سلمى، وكانت قد أُعجب بها ضرار، فأبى أن يردها، فقال عمرو: يا ضرار، أتبع الفرس لجامها، فأرسلها مثلاً[1].

إن قائل المثل ضرب مثله في باب النصيحة للإنسان الذي يعمل خيرًا؛ بأن يستكمل معروفه، ولا يدع فيه نقصًا، يقلل من شأنه؛ فالذي يجود بالكثير، لا ينبغي له أن يبقي الشيء القليل بحوزته، وخصوصًا إذا كان موضع أهمية للشيء الكثير الذي قدّمه، فالخير يكمل بعضه بعضًا في صنع الكريم، ولذلك على الكريم أن لا يتردد في إكمال معروفه.

وقد قدم المتكلم هذا المثل باستعمال إستراتيجية التوجيه؛ إذ قدّم وجهة المنفعة للمخاطب، مستخدمًا فعل الأمر، للإرشاد في خطاب التعليمات التي تعود بالنفع على المخاطب؛ ولذلك فعل المخاطب الالتزام بما تدل عليه؛ لأن في الخروج عن ذلك ضررًا به[2].

وجاء في المثل العربي قول العرب:

- **إنّما أكلتُ يومَ أُكلَ الثورُ الأبيضُ**[3].

توحي عبارة هذا المثل أنه قيل على لسان الحيوانات؛ إذ يُتصور أنه نطق به ثورٌ آخر لونه أسود، قاله عندما أحس بقرب نهايته، كما كانت نهاية أخيه الثور الأبيض من قبلُ.

ولكن المقام الذي قيل فيه المثل أبلغ من المثل نفسه في التعبير عن الموقف الذي ضُرب المثل من أجله؛ إذ يروى أن أمير المؤمنين عليًا – رضي الله عنه– قال: إنما مثلي ومثل عثمان كمثل أثوار ثلاثة، كنّ في أجمة، أبيض وأسود وأحمر، ومعهن فيها أسد، فكان لا يقدر منهن على شيء لاجتماعهن عليه، فقال للثور الأسود والثور الأحمر: لا يدلُّ علينا في أجمتنا إلا الثور الأبيض؛ فإن لونه مشهور، ولوني على لونكما، فلو تركتماني آكله صفتْ لنا الأجمة، فقالا: دونكَ

---

[1] ينظر: الميداني: **مجمع الأمثال**، 1/ 183.

[2] ينظر: الشهري، عبد الهادي: **إستراتيجيات الخطاب**، 343.

[3] الميداني: **مجمع الأمثال**، 1/ 56.

فكله، فأكله، ثم قال للأحمر: لوني على لونك، فدعني آكل الأسود لتصفو لنا الأجمة، فقال: دونك فكله، فأكله، ثم قال للأحمر: إني آكلك لا محالة، فقال: دعني أنادي ثلاثًا، فقال: افعل، فنادى ألا إني أكلتُ يوم أُكل الثور الأبيض، ثم قال علي – رضي الله عنه– ألا إني هُنتُ _ وهنتُ_ يوم قُتل عثمان، يرفع بها صوته[1].

يتضح من المقام الذي قيل فيه المثل أن عليًا – رضي الله عنه– استخدم الصورة التمثيلية في هذا المثل؛ للتعبير عن ضعفه الذي آلَ إليه بعد مقتل عثمان، فهو مفجوع بهذا الحدث العظيم، ومصيبته شديدة؛ ولذلك هو يتحسر على عثمان، ويصور ضعفه بعده.

كما استخدم علي –رضي الله عنه– فعلًا كلاميًا تأكيديًا؛ ليصور عظم الحدث الذي ألم به بموت عثمان، وليؤكد للسامعِ حتمية الضعف الذي وصل إليه، بعد هذه الفاجعة.

وبهذا المنظور يكون التأكيد، من وجهة نظر تداولية، معنى أسلوبيًا يتميز بإفادة خاصة متعلقة بمراعاة حال السامع التي استدعت استعمال هذا الأسلوب[2].

وجاء في المثل العربي قول العرب:

- **لا ناقتي في هذا ولا جملي**[3]

تشير عباة المثل إلى أن المتكلم ينفي عن نفسه تهمة رعيه في مكان ما، وكان قد شُك فيه أو تعرض للاتهام من غيره؛ فهو ينفي رعي إبله في هذا المكان، سواء أكان جملاً أم ناقةً.

ولكن المقام الذي قيل فيه المثل لا علاقة له بالمعنى السابق، وإنما ينطوي على معنى أبعد من ذلك؛ فمناسبة المثل أن محمد بن عمير بن عُطارد بن حاجب، لما خرج الناس على الحجاج؛ قال: لا ناقتي في هذا ولا جملي، فلما دخل بعد ذلك على الحجاج، قال له الحجاج: أنت القائل، لا

---

[1] ينظر: الميداني: **مجمع الأمثال**، 1/ 56.

[2] ينظر: صحراوي، مسعود: **التداولية عند العلماء العرب**، 207.

[3] الميداني: **مجمع الأمثال**، 2/ 260.

ناقتي في هذا ولا جملي ؟ لا جعل الله لك فيه ناقةً ولا جملاً ولا رحلاً، فشمت به حجار بن أبجر العجلي، وهو عند الحجاج، فلما دعا بغدائه، جاءوا بفُرنية، فقال الحجاج: ضعوها بين يدي أبي عبد الله، فإنه لبنيٌّ يحبّ اللبن. أراد أن يدفع عنه شماتة حجار[1].

ويتضح من المقام الذي قيل فيه المثل أن المتكلم قصد من عبارته في المثل نفي علاقته بموضوع الخروج على الحجاج، إذ لا علاقة له به من قريب أو بعيد؛ لأن هذا الموضوع لا يعود عليه بفائدة، ولذلك هو أراد أن يجعل نفسه بعيدًا عن الثورة على الحجاج وعن الوقوف ضدها أيضًا.

وجاء في المثل العربي قول العرب:

- **رجعَ بخُفيّ حُنين**[2]

يقوم هذا المثل على معنى مفاده أن ثمة شخصًا كان مسافرًا، وعاد بعد مدةٍ من السفر، وكان كلُّ ما في حوزته بعد هذا الغياب خُفيّ شخص اسمه حُنين.

ولكن هذا المثل يحمل معنى تداوليًّا أبعد من ذلك، ويتضح هذا المعنى بسرد المقام الذي ضُرب فيه المثل؛ فمناسبة المثل أن حُنينًا كان إسكافيًّا من أهل الحيرة، فساومه أعرابيٌّ بخفين، فاختلفا حتى أغضبه، فأراد غيظ الأعرابي، فلما ارتحل الأعرابي أخذ حنين أحد خفيه، وطرحه في الطريق، ثم ألقى الآخر في موضع آخر، فلما مرّ الأعرابي بأحدهما قال: ما أشبه هذا الخف بخفّ حنين، ولو كان معه الآخر لأخذته، ومضى، فلما انتهى إلى الآخر ندم على تركه الأول، وقد كَمِنَ له حنين، فلما مضى الأعرابي في طلب الأول عَمِدَ حنين إلى راحلته وما عليها، فذهب بها، وأقبل

---

[1] ينظر: الميداني: **مجمع الأمثال** ، 2/ 260.

[2] السابق، 1/ 378.

الأعرابي وليس معه إلا الخفّان، فقال له قومه: ماذا جئت به من سفرك؟ فقال: جئتكم بخفيّ حنين، فذهبت مثلاً[1].

إن الناظر في المقام الذي ضُرب فيه المثل يرى أن هذا المثل قد أصبح رمزًا لكل من لا يصيب حاجته، فيرجع خائبًا. وهذا المعنى لم يكن ليفهم على هذا النحو من التداول لو تُرك المثل مجزوءًا بعبارته التي قُدّم فيها دون الرجوع إلى المقام الذي قيل فيه.

وجاء في المثل العربي قول من قال:

– **جوّعْ كلبك يتبعْك**[2]

ويروى **أجعْ كلبك يتبعْك**

يقدم هذا المثل معنى مفاده أن تجويع الكلب يؤدي إلى تبعية صاحبه؛ فكلما مُنع الأكل عن الكلب كان انقياده وراء صاحبه بشكل أفضل من السابق.

ولكن إذا ما دُرس هذا المثل في ضوء المقام الذي قيل فيه؛ فإنه يعطي معنىً تداوليًّا عميقًا؛ فمناسبة المثل أن أول من قال ذلك ملكٌ من ملوك حمير، كان عنيفًا على أهل مملكته، يُغصبهم أموالهم، ويسلبهم ما في أيديهم، وكانت الكَهَنة تخبره أنهم سيقتلونه؛ فلا يحفل بذلك، وإن امرأته سمعت أصوات السؤال؛ فقالت: إني لأرحم هؤلاء لما يلقون من الجهد، ونحن في العيش الرّغد، وإني لأخاف عليك أن يصيروا سباعًا، وقد كانوا لنا أتباعًا، فردّ عليها:" جوّع كلبك يتبعك " وأرسلها مثلاً[3].

وكان بعد ذلك أن لبث فيهم زمانًا، ثُمّ أغزاهم فغنموا، ولم يقسم فيهم شيئًا، فلما خرجوا من عنده قالوا لأخيه وهو أميرهم: قد ترى ما نحن فيه من الجَهد، ونحن نكره خروج الملك منكم إلى

---

(1) ينظر: الميداني: **مجمع الأمثال**، 1/ 378.

(2) السابق، 1/ 219.

(3) ينظر: السابق، 1/ 219– 220.

غيركم، فساعدنا على قتل أخيك، واجلس مكانه، وكان قد عرف بَغيه واعتداءه عليهم، فأجابهم إلى ذلك، فوثبوا عليه وقتلوه، فمرّ به عامر بن جذيمة وهو مقتولٌ وقد سمع بقوله:" جوّع كلبك يتبعك "؛ فقال: ربّما أكل الكلب مُؤدبه إذا لم ينل شبعه. فأرسلها مثلاً.

يتضح من المقام الذي قيل فيه المثل أن المتكلم ضرب هذا المثل في باب إرغام الآخرين على طاعته والانصياع لأوامره.

ويتضح بعد النظر في العلاقة التي تجمع بين المتكلم والمخاطب أن المتكلم أقام خطابه معتمدًا على الأسلوب الطلبي؛ إذ يمثل المتكلم السلطة الآمرة، ويمثل المخاطب الجهة المنفذة. وقد جعل سيرل الفعل الطلبي أحد خمسة أقسام للأعمال اللاقولية التي أقام عليها تصنيفيته التداولية[1].

وجاء في المثل العربي قول من قال:

- **يَا عَمَّاهُ هل كُنْتَ أعْوَرَ قَطُّ**

ويضرب لمن يستدل على بعض أخلاَقه بهيئته وشَارَتِه[2].

يشير هذا المثل إلى وجود طلب من شخص معين يسأل عمه عن حقيقة هو يجهلها أو معلومة يريد التأكد منها، إذ يسأل ذلك الشخص عمه عن عيب خَلّقي كان عنده في الماضي، وهذا المعنى هو الذي يُفهم من جملة الإنشاء الوارد فيها المثل.

لكن هذا المثل يفهم منه أمر آخر إذا ما درس في ضوء سياق الكلام الذي ورد فيه، وقرائن الأحوال التي صاحبته، وللوقوف على ذلك الأمر، ينبغي الاستعانة بقصة المثل التي ورد فيها، فقد ذكر أن هذا المثل قاله صبي، كان لأمه خليل، وكان يختلف إليها، بين الحين والآخر، فكان إذا أتاها غمض إحدى عينيه؛ لئلا يعرفه الصبي، إذا رآه بغير ذلك المكان، فرفع الصبي ذلك إلى

---

[1] ينظر: بلانشيه، فيلب: **التداولية من أوستن إلى غوفمان**، تعريب صابر الحباشة وعبد الرزاق الجمايعي، عالم الكتب الحديث، إربد– الأردن، ط1، 2012، 46.

[2] الميداني: **مجمع الأمثال**، 498/1.

أبيه، فَقَالَ أبوه: هل تعرفه يا بني إذا رأيته؟ قَالَ: نعم، فانطلق به إلى مجلس الحي، فَقَالَ: انظر أي من تراه، فتصفَّح وجوه القوم حتى وقع بصره عليه فعرفه بشمائله، وأنكره لعينيه، فدنا منه فَقَالَ: يا عمَّاه، هل كنت أعور قط؟[1].

إن الناظر في قصة هذا المثل، يجد أن الطفل عرف ذلك الرجل، ولذلك هو لم يرد الاستفهام الحقيقي بسؤاله للرجل، وإنما أراد النفي المطلق، وهو أن ذلك الرجل لم يكن أعور مطلقًا، وإنما كان يستعمل صفة العور تصنعًا وتمويهًا، لئلا يكشف أمره فيما بعد.

والاستفهام هنا خرج إلى معنى مجازي هو النفي، والذي يؤكد معنى النفي في هذا المثل أيضًا، أن هناك قرينة لفظية في المثل لا تستخدم إلا مع النفي، وهي ظرف الزمان "قطُّ"، الذي يقع لاستغراق الزمن الماضي، وشرطه أن يختص بالنفي[2].

فظرف الزمن (قطُّ) هو أحد الإشارات التي يستعان بها في تحديد المعنى في إطار المقام الذي قيل فيه؛ لأن هذه الإشارة من أهم العناصر اللغوية في الدلالة على الزمن الذي قيلت فيه العبارة[3].

وبناءً على ما سبق ذكره، يكون المثل منطويًا في تركيبه على أسلوب النفي، أي بتركيب آخر: "يا عماه، ما كنتَ أعور قطُّ"، فالصبي لم يكتفِ بمعرفة الرجل الذي كان يختلف إلى أمه في غياب والده، وإنما تولى فضح حقيقته، وكشف أمره في التمويه، فكأنه يقوم مقام والده في هذا العمل.

وهذا المعنى لم يكن ليتمّ الوصول إليه بسهولة، لو لم ينظر في سياق الكلام الذي ورد فيه المثل، ولولا الاستعانة بقرائن الأحوال التي رافقت جملة المثل.

---

[1] الميداني: **مجمع الأمثال**، 498/1.

[2] ينظر: الأنصاري، ابن هشام: **مغني اللبيب**، 198/1.

[3] ينظر: الحسن، شاهر: **علم الدلالة السيمانتيكية والبراجماتية في اللغة العربية**، ص164.

وجاء في المثل العربي قول من قال:

- **إِيَّاكُمْ وَخَضْرَاءَ الدِّمَنِ**

قاله رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فقيل له: وما ذاك يا رسول الله؟ فقال: المرأةُ الحسناء في مَنْبِتِ السوء[1].

تشير عبارة هذا المثل إلى تحذير المخاطب من استحسانه الصورة الخارجية لبعض النباتات دون التأكد من مكان نشأتها؛ فقد يكون منظرها جميلاً ولكن منبتها فاسد.

ولكن المثل ينطوي على بعد تداولي عميق؛ إذ يقوم على التحذير من أمر عظيم، قد يراه البعض أمرًا بسيطًا، لكنهم لا يشعرون به إلا بعد فوات الأوان، فالرسول – صلى الله عليه وسلم- يحذر أصحابه من الزواج من خضراء الدّمن، وقد قدم هذا التحذير بضرب صورة بلاغية من واقع الحياة البدوية التي يعيشها الصحابة، فخضراء الدمن ما هي إلا النباتات الخضراء الجميلة ولكن لو بحث عن أصلها، كان منبتها فاسدًا؛ إذ نبتت على مخلفات الإبل والغنم، فالمنظر جميل، ولكن المنبت فاسد.

ولذلك يحذر الرسول الصحابة ومن جاء بعدهم، من الزواج بهذا النوع من النساء، التي تظهر فيه المرأة بصفات عظيمة نبيلة، ولكن إذا ما بحث عن أصلها، كان منبت سوء وفساد، وما ذلك إلا لأمر جلل، فهو يشير إلى أن الأخلاق سجية وطبع في الناس، وما خضراء الدمن بأخلاقها إلا تطبعٌ، ومهما ظهرت هذه المرأة بصفات عظيمة، فإن أصلها السيء سوف يردها؛ لأن العرق دساس، ولأن الطبع غلب التطبع.

وإن الرسول – صلى الله عليه وسلم- استطاع أن يجعل من كلماته المنتقاه بدقة متناهية ذات تأثير إبلاغي، قل أن تتوافر لشخص غيره، فهو الذي بعثه الله في قوم يقادون من ألسنتهم،

---

[1] الميداني: **مجمع الأمثال**، 64/1.

ولهم في المقامات المشهورة في البيان والفصاحة، ولا بد لهم من لسان أفصح من ألسنتهم لينقادوا له ويخضعوا له[1]. فعبارة المثل انطوت على بعدٍ نفسيٍّ عميقٍ ترك أثرًا نفسيًا عميقًا في نفوس الناس، بما تحتويه من بلاغة فكرية في استشراف المستقبل، وبما تكتمنه من غاية نبيلة.

وجاء في المثل العربي قول العرب:

- **كلُّ شَاةٍ بِرِجْلِهَا مُعَلَّقَةٌ**[2]

تشير عبارة هذا المثل إلى الهيئة التي تكون عليها الشاة بعد أن يتم ذبحها؛ إذ تعلق برجلها، ليتم بعد ذلك سلخها، والحصول على اللحم المرجو منها، وهذه هيئة كل شاة بعد الذبح، هذا هو المعنى العام للعبارة.

لكن هذا المثل ينطوي على بعد تداولي عميق، لا علاقة له بأي شاة عند الذبح، وهذا المعنى لا يفهم كما أريد منه إلا بعد الرجوع إلى المقام الذي قيل فيه، والأسباب التي قيلت من أجله؛ فمناسبة المثل: إن أول مَنْ قَال ذلك وَكِيعُ بن سلمة بن زهير بن إياد، وكان وَلِيَ أمْرَ البيت بعد جُرْهُم، فبنى صَرْحاً بأسفل مكة، وجعل فيه أمةً يُقَال لها حَزْوة، وبها سميت حَزْوَة مكة، وجعل في الصَّرح سُلَّما، فكان يَرْقَاهُ ويزعم أنه يناجي الله تعالى، وكان ينطقَ بكثير من الخبر، وكان علماء العرب يزعمون أنه صِدِّيقَ من الصِّديقين[3].

وكان مما جاء في قوله: إن رَبكم ليجزين بالخير ثوابًا، وبالشر عقابًا، إن مَنْ في الأرض عَبيدٌ لمن في السماء، وكذلك الصلاح والفساد، فلما حضرته الوفاة جمع إيادًا فَقَال لهم: اسمعوا

[1] ينظر: نجار، منال: **نظرية المقام عند العرب في ضوء البراجماتية**، ص203.

[2] الميداني: **مجمع الأمثال**، 171/2.

[3] ينظر: السابق، 171/2.

وصيتي، الكلم كلمتان، والأمر بعد البَيَان، من رَشَدَ فاتَبِعُوه، ومن غوَى فارفُضُوه، وكل شاة برجلها مُعَلَّقة، فأرسلها مَثَلاً[1].

فالمثل الذي أرسله وكيع بن إياد يقوم على جانب الوعظ والإرشاد لقبيلة إياد، وكانت هذه العبارة إحدى العبارات التي أسداها وكيع لأهله، والتي حملت طابع النصح، وكلها نصائح تؤدي بمن يأخذ بها إلى الخير والثواب وتجنب الشر والعقاب.

ومعنى المثل الذي يفهم من المقام الذي ورد فيه هو أن وكيعًا يعظ أهله ويخبرهم أن كل إنسان مسؤول عن عمله وقوله، فلا يحاسب إنسان عن أعمال غيره، ولا يجر بجريرة غيره، وإنما يحاسب كل إنسان على ما قدمه هو، وهذا الكلام مرادف في المعنى لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾[2]، وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ﴾[3].

وقد اعتمد وكيع في إسداء النصح لقبيلته في خطابه على التمثيل، وللتمثيل سلطان عظيم وتأثير قوي في نفوس سامعيه، وقد خصص الجرجاني في كتابه (أسرار البلاغة) فصلاً كاملاً في مواقع التمثيل وتأثيره، فقال: "واعلم أنّ مما اتفق العقلاءُ عليه، أن التمثيل إذا جاءَ في أعقاب المعاني، وبَرَزَتْ هي باختصار في مَعرِضه، ونُقِلت عن صُوَرها الأصلية إلى صورته، كساها أُبَّهةً، وكَسَبها مَنْقَبةً، ورفع من أقدارها، وشَبَّ من نارها، وضاعف قُواها في تحريك النُّفوس لها، ودعا القُلوب إليها، واستثار لها من أقاصي الأفئدة صبابةً وكلَفًا، وقَسَر الطِّباع على أن تُعطيها محبّة وشَغَفًا ... وإن كان حِجاجًا، كان بُرهانه أنور، وسلطانه أقهر، وبَيَانه أبْهر"[4].

---

[1] الميداني: **مجمع الأمثال**، 171/2.

[2] الأنعام: 164.

[3] الإسراء: 13.

[4] الجرجاني، عبد القاهر: **أسرار البلاغة**. تحقيق: محمد الفاضلي، المكتبة العصرية، صيدا – لبنان، ط3، 2001، ص88.

وجاء في المثل العربي قوله من قال:

- **أَكَلْتُمْ تَمْرِي وَعَصَيْتُمْ أَمْرِي**[1].

يحمل هذا المثل عدة معانٍ تداولية، وهذه المعاني لا يمكن أن تؤديها عبارته المجزوءة، دون الرجوع إلى المقام الذي ضرب فيه المثل، بالرغم من بلاغة المثل المنسوجة بقالب بلاغي، قوامه الجناس، الذي يشكل أحد فنون البلاغة المعروفة.

وقائل المثل هو عبدُ الله بن الزُّبَير، ومناسبته أنه عندما قُتل أخوه مصعب في العراق، توجهت الجيوش الأموية إلى الحجاز، للقضاء على عبد الله بن الزبير في مكة المكرمة، التي جعل منها معقله، وقد حاصره الحجاج بن يوسف فيها، وجعل هذا يستميل رجال ابن الزبير، وينوجهون إليه تحت تأثير الترغيب والترهيب، حتى انفضّ معظمهم، ولم يبقَ معه إلا القليل من المخلصين، فقال يخاطبهم، وهو يراهم يعصون من أمره بالبقاء للدفاع عن الكعبة المشرفة، ويذهبون للحجاج **(أَكَلْتُمْ تَمْرِي وَعَصَيْتُمْ أَمْرِي)**[2].

إنّ عبد الله بن الزبير، قدّم العبارة في صورة خطابية إخبارية مباشرة، وكأنه يستجدي أعوانه وجنوده في التماسك والبقاء معه للدفاع عن مكة الكرمة، وكأنه يستغرب منهم هذا الموقف، ولذلك هو يذكرهم بأنه لا ينبغي لهم أن يفعلوا ذلك، من عصيان الأمر، والوقوف ضده، وهو من وليهم وآواهم، وكفاهم مؤونة العيش، ولذلك كان حريًا بهم أن يرجعوا عن فعلتهم. هذا هو المعنى العام الذي توحي به عبارة هذا المثل بعد النظرة الأولى للقصة أو المقام الذي ضرب فيه هذا المثل.

---

[1] الميداني: **مجمع الأمثال**، 114/1.

[2] السابق، 114/1.

لكن ما ينطوي عليه المثل من معانٍ أبلغ من ذلك، وتُفهم هذه المعاني من ظروف القصة نفسها، التي جعلت عبد الله بن الزبير يضرب تلك العبارة، المحملة بمعانٍ نفسية، ضاق بها صدره، حتى سطرّها لسانه بهذه العبارة الموجزة.

وأول المعاني التي تفهم من هذا المثل أن عبد الله بن الزبير، يتهكم من جيشه بعد أن انفض عدد كبير منهم عنه، ومالوا إلى الحجاج للوقوف إلى جانبه، فهو يؤكد لهم أنهم غير مخلصين له، ولا يقدرون حق الحاكم على الرغبة في الوفاء، فهم أصبحوا رمزًا للخيانة والغدر، بالرغم أنه قام على حفظ تلك الرعية، وقدّم لهم كل ما يستطيع تقديمه من أمر الرعاية.

وثاني هذه المعاني، أن عبد الله بن الزبير، يؤنب جيشه على فعلتهم في خذلانه، والوقوف إلى جانب الحجاج، وهم لا يعرفون الحجاج كما يعرفه هو، وكانوا قد انقادوا إليه، قبل أن يخرطوا في رعايته، ويذوقوا مرارة حكمه، التي لا تخفى على أحد، وكأن تمر عبد الله ما هو إلا إشارة إلى حلو العيش الذي تتمتع به رعيته، وهو أيضًا صورة مقابلة لمرارة العيش التي يشير إليها عبد الله لجيشه، والتي سوف يذوقونها عند الحجاج.

وثالث هذه المعاني، أن عبد الله بن الزبير نادم على جهله لحقيقة رجاله، التي بانت وقت الشدة، ولم يقف معه منهم إلا القلة المخلصون، فكأنه يرد هذا الأمر إلى نفسه؛ إذ كان به أن يكون واعيًا لأي أمر يداهمه، وكان به أن يقدر أنّ هناك من رجاله، من لا يستحق العيش معه، لأنهم بانوا أنهم أهل رخاء ورغد، لا أهل شدة وبأس، لأنه ما أطلق هذه العبارة إلا بعد أن عصى رجاله أمره، وانصاعوا لأمر غيره؛ ولذلك هو لو لم يكن قادرًا على الحكم على الأشياء، فكأنه يحمل اللوم والعتب لنفسه.

فهذه المعاني، تكاد أن تكون معاني نفسية، أراد أن ينطق بها عبد الله بن الزبير، بعد أن ضيق الحجاج الخناق عليه، وانفض قسم كبير من رجاله، ولم يبق معه إلا المخلصون في التصدي

للحجاج، فثارت تلك المعاني في نفسه، ولكن العبارة ضاقت بتكوينها أن تنطق بذلك، فنطق المقام بلسان حاله.

وما العوامل النفسية التي أنتجت هذا المثل إلا صورة من صور التداولية، فالعلاقة بين لغة العبارة، وسياقها، وقائلها، علاقة لا يمكن إغفالها في فهم البعد التداولي لهذا المثل، بل هي مركب معقد من الثوابت والمتغيرات التي تتدخل فيها عوامل نفسية، واجتماعية، ومنطقية، ومن هنا كان تلازم البراجماتية اللغوية، وعلم النفس، والمجتمع، وعلم الاجتماع، وعلم المنطق، أمرًا ملحوظًا في كل الدراسات التداولية[1].

---

[1] ينظر: استيتية، سمير: **منازل الرؤية (منهج تكاملي في قراءة النص)**، ص113.

الخاتمة

تمثل الأمثال العربية صورة حية وواقعية للبيئات التي ضربت فيها؛ إذ تجسد تلك الأمثال الحياة التي صاحبت مضاربها، كما تعكس بتركيبها التاريخ الزمني للسان من نطق بها، دالة على أثر ذلك الزمن في تكوين عبارة المثل، وتعكس كذلك الحياة الفكرية لتلك البيئات، بكشفها عن المخزون الثقافي الذي كان يكتنزه عقل كل من أسهم في إخراج تلك الأمثال بعباراتها الموجودة، وما تنطوي عليه من أبعاد تداولية، جعلت من الأمثال معينًا لا ينضب، لمن أراد لذة الألفاظ في قلتها، وروعة المعاني في كثرتها، عن طريق الرجوع إلى هذا الفن من فنون القول.

فلسان حال الأمثال بمنطوقها تمثل المراحل التاريخية التي قيلت فيها الأمثال، فتصور بتراكيبها لسان المتكلمين بها؛ لما تركته من أثر بقي شاهدًا على اللهجات العربية التي نطقت هذه التراكيب، وبقيت هذه التراكيب نماذج لغوية تمثل تلك المراحل الزمنية للهجات القبائل المختلفة.

وكانت هذه التراكيب من روافد النحاة، في الاستشهاد على تراكيب اللغة العربية؛ إذ تركت أثرًا في صحة قاعدة ما، فكثيرًا ما لجأ النحاة إلى مثل معين، متخذين عبارته شاهدًا مهمًا شأنه شأن غيره من الشواهد، التي تمسك فيها النحاة، لإثبات صحة قاعدة من قواعد النحو المختلفة.

ولم يقف أثر التراكيب في الأمثال على الاستشهاد بها على أبواب النحو المختلفة، وإنما هي تشكل بمقاماتها المختلفة معينًا لا ينضب؛ لما تحمله من معانٍ تداولية، أسهمت في إنتاجها تلك المقامات، بما تشير إليه من ظروف المتكلم والمخاطب وعناصر الزمان والمكان واللغة التي أخرجت الأمثال بقوالبها الموجزة بألفاظها المكتنزة بمعانيها النبيلة.

وبناء على ذلك فقد توصل الباحث إلى النتائج الآتية:

1-تشكل الرسوبيات اللغوية مراحل مختلفة من اللسان العربي؛ إذ شاعت فيها ظواهر نحوية معينة، وبقيت الأمثال العربية شاهدًا على تلك المراحل من اللسان العربي.

2-تمثل الأمثال العربية في بعض صورها الموجودة، بالرغم من قلتها، شاهدًا على اللهجات العربية التي كانت سائدة في الجزيرة العربية.

3-تشكل الأمثال معينًا لا ينضب للاستشهاد على تراكيب اللغة العربية؛ إذ تقف جنبًا إلى جنب مع غيرها من شواهد القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والشعر العربي.

4-تنطوي الأمثال العربية على قدر كبير من التداولية؛ وذلك بالرجوع إلى المقام الذي ضربت فيه الأمثال، وتفسير الظروف والملابسات التي أسهمت في إنتاج المثل.

5-تعكس الأمثال العربية البيئات التي نشأت فيها، فهي تصور الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والحضارية وغيرها، مما تسهم في رسم صورة حية لتلك الحياة التي كانت سائدة في تلك البيئات.

6- هناك بعض الأمثال في العربية، لم يستشهد بها في مجال التركيب، وكان الأولى أن يلجأ إليها، على الرغم من الحاجة الماسة إليها في مجال الاستشهاد على بعض الظواهر التي كان النحاة ينثرون شواهد التراث العربي لإثبات صحة قاعدة معينة، ومن ذلك المثل العربي "أتى عليم ذو أتى" الذي يقف شاهدًا على لغة طيئ في "ذو" الموصولة، ولم يستشهد به في أي كتاب من كتب النحو.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المراجع العربية

- الأزهري، خالد: **شرح التصريح على التوضيح**، وتنقيح وإعداد وتأليف فيصل علي عبد الخالق، دار اليراع، عمان، ط1، 2004.
- استيتية، سمير: **اللسانيات، المجال والوظيفة والمنهج**، إربد: عالم الكتب للنشر والتوزيع، 2005.
- استيتية، سمير: **علم الأصوات النحوي ومقولات التكامل بين الأصوات والنحو والدلالة**، دار وائل، الأردن، ط1، 2012.
- استيتية، سمير: **منازل الرؤية (منهج تكاملي في قراءة النص)**، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، ط1،2003.
- الأصفهاني، أبو الفرج: **الأغاني**، تحقيق: سمير جابر، دار الفكر للنشر والتوزيع، بيروت.
- الأعشى، ميمون بن قيس: **ديوان الأعشى الكبير**، شرح وتعليق: محمد حسين، مكتبة الآداب بالجماميز، المطبعة النموذجية.
- الأنباري، أبو البركات: **الإنصاف في مسائل الخلاف، ومعه كتاب الانتصاف في الإنصاف**، تأليف: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الطلائع للنشر والتوزيع، القاهرة، 2009.
- الأنصاري، ابن هشام: **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك**، تأليف: محمد محيي عبد الحميد. المكتبة العصرية، صيدا – لبنان، ط1، 1999.
- الأنصاري، ابن هشام: **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، تحقيق: محمد محيي عبد الحميد. المكتبة العصرية، صيدا – لبنان، ط1، 1999.

- بالمر: **علم الدلالة إطار جديد**، ترجمة: صبري السيد، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1992.

- البغدادي، عبد القادر بن عمر: **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب**، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط4، 1997.

- بلانشيه، فيلب: **التداولية من أوستن إلى غوفمان**، تعريب صابر الحباشة وعبد الرزاق الجمايعي، عالم الكتب الحديث، إربد– الأردن، ط1، 2012.

- تأبط شرًا: **ديوان تأبط شرا وأخباره**، تحقيق: علي ذو الفقار شاكر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1999.

- الجرجاني، عبد القاهر: **أسرار البلاغة**، تحقيق: محمد الفاضلي، المكتبة العصرية، صيدا – لبنان، ط3، 2001.

- الجرجاني، عبد القاهر: **دلائل الإعجاز في علم المعاني**، تصحيح وتعليق: محمد رشيد رضا، وتصحيح: محمد عبده، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1988.

- جرير: **ديوان جرير**، شرح: محمد بن حبيب، تحقيق: نعمان محمد أمين طه، دار المعارف، القاهرة، ط3.

- الجمحي، محمد بن سلام: **طبقات فحول الشعراء، شرح:** محمود محمد شاكر، دار المدني بجدة.

- ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني: **الخصائص**، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2003.

- ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني: **سر صناعة الإعراب**، تحقيق: حسن هنداوي. دار القلم، دمشق، 1985.

- حداد، حنا جميل: **معجم شواهد النحو الشعرية**.، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، 1984.
- الحسن، شاهر: **علم الدلالة السيمانتكية والبراجماتية في اللغة العربية**، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2001.
- الحطيئة: **ديون الحطيئة برواية وشرح ابن السكيت**، تحقيق: نعمان محمد أمين طه، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط1، 1987.
- الدؤلي، أبو الأسود: **ديوان أبي الأسود**، تحقيق محمد حسن آل ياسين، مكتبة النهضة، بغداد، ط2، 1964.
- ذو الرمة: في **ديوان ذي الرمة**، اعتنى وشرح غريبه: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، 2006.
- رؤبة بن العجاج، **ديوان رؤبة، مجموع أشعار العرب**، اعتنى بتصحيحه وترتيبه: وليم بن الورد، الكويت، دار ابن قتيبة.
- زلهايم، رودلف: **الأمثال العربية القديمة مع اعتناء خاص بكتاب الأمثال لأبي عبيد**. ترجمة: رمضان عبد التواب، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1982.
- الزمخشري، أبو القاسم: **المفصل في صناعة الإعراب**، تحقيق: علي بو ملحم، دار مكتبة الهلال، بيروت، ط1، 1993.
- زهير بن أبي سلمى: **ديوان زهير**، دار صادر، بيروت.
- سيبويه: **الكتاب**، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي القاهرة، ط4، 2004.
- السيوطي، جلال الدين: **همع الهوامع في شرح الجوامع**، شرح وتعليق: عبد العال سالم مكرم. عالم الكتب، القاهرة، 2001.

- **شرح أشعار الهذليين**، صنعة أبي سعيد الحسن بن الحسين السكري، رواية أبي الحسن علي بن عيسى بن علي النحوي عن أبي بكر أحمد بن محمد الحلواني عن السكري، حققه: عبد الستار أحمد فراج، راجعه محمود محمد شاكر، مكتبة دار العروبة، مطبعة المدني.
- الشماخ: **ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني**، تحقيق وشرح: صلاح الدين الهادي، دار المعارف، مصر.
- الشهري، عبد الهادي: **إستراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية**، دار الكتب الوطنية، بنغازي – ليبيا، ط1، 2004.
- صحراوي، مسعود: **التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني**، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 2005.
- الصيمري: **التبصرة والتذكرة**، تحقيق: علي الدين، نشر مركز البحث العلمي، أم القرى، ط1، 1402هـ.
- طرفة بن العبد في: **ديوان طرفة بن العبد شرح الأعلم الشنتمري**، تحقيق: دريّة الخطيب ولطفي الصقّال، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ودار الثقافة والفنون، البحرين، ط2، 2000.
- عبد الباقي، ضاحي: **لغة تميم، دراسة تاريخية وصفية**، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1985 .
- العجاج: **ديوان العجاج**، رواية الأصمعي، تحقيق عزت حسن، بيروت، 1995.
- العسكري، أبو هلال: **جمهرة الأمثال**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش، دار الجيل، بيروت، 1988.

- ابن عقيل: **شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك**، ومعه كتاب منحة الجليل، بتحقيق شرح ابن عقيل، تأليف محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1996.
- علوي، حافظ: **التداوليات علم استعمال اللغة**، عالم الكتب الحديث، إربد – الأردن، ط1.
- قطامش، عبد المجيد: **الأمثال العربية دراسة تاريخية تحليلية**، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق، ط1، 1988.
- لبيد بن ربيعة: **ديوان لبيد بن ربيعة، شرحه** وضبط نصوصه وقدم له: عمر فاروق، دار الأرقم بن الأرقم، بيروت، ط1، 1997.
- ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني: **سنن ابن ماجة**، كتب حواشيه : محمود خليل، مكتبة أبي المعاطي.
- ابن مالك: **شرح الكافية الشافية**، تحقيق عبد المنعم هريدي، مركز البحث العلمي، جامعة أم القرى، ط1، 1982.
- المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد: **الكامل في اللغة والأدب**: تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط3، 1997.
- المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد: **المقتضب**، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، دار التحرير، 1388هـ.
- مقبول، إدريس: **الأسس الإبستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه**، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، ط1، 2006.

- ابن منظور، محمد بن مكرم: **لسان العرب**، اعتنى بتصحيحه: أمين محمد عبد الوهاب ومحمد صادق العبيدي، دار إحيـــــــــاء التراث الإسلامي، ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت، 1997.
- الميداني: أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري: **مجمع الأمثال**، قدم له وعلق عليه: نعيم زرزور، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط2، 2004.
- نجار، منال: **نظرية المقام عند العرب في ضوء البراجماتية**، عالم الكتب الحديث، الأردن، إربد، ط1.
- نحلة، محمود: **آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2006.
- النيسابوري، مسلم بن الحجاج القشيري: **صحيح مسلم**، دار الجيل، بيروت، ودار الأفاق الجديدة، بيروت.
- هنادي، محمد بن عبد القادر: **ما خالف القياس في باب النداء**، مركز النشر العلمي، جامعة الملك عبد العزيز، جدة، العدد 17.
- ابن يعيش: **شرح المفصل**، تحقيق إميل يعقوب، دار الكتب العملية، بيروت، ط2، 2001.

ثانياً: الكتب الأجنبية

Cummings, L. (2005). **Pragmatics**, Edinburgh Iniversity, press Ltd.

Gazdar, G. (1979). **Pragmatics**, N. Y, Academic Pres.

Levinson, S. (1985). **Pragmatics**, Cambridge – university press.

ملحق (أ)

فهرس الآيات

الرقم	الآية	رقم الصفحة
1.	﴿إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾	21
2.	﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا﴾	29
3.	﴿ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ﴾	35
4.	﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ﴾	59
5.	﴿فَطَفِقَ مَسْحًۢا﴾	64
6.	﴿لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾	71
7.	﴿وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ النهارِ﴾	79
8.	﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟﴾	85
9.	﴿وَنَادَوْا۟ يا مَالِ﴾	93
10.	﴿ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾	97
11.	﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ﴾	97
12.	:﴿مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾	98
13.	﴿فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾	98
14.	﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ﴾	98
15.	﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾	99
16.	﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ﴾	100
17.	﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾	101
18.	﴿وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾	101
19.	﴿وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ﴾	102
20.	﴿وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾	102
21.	﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾	148
22.	﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾	148

ملحق (ب)

فهرس الأمثال

رقم الصفحة	المثل	الرقم
10	مُكْرَهٌ أخاكَ لا بَطَلٌ	.1
13	أخُوكَ مَنْ صَدَقَكَ النَّصِيحَة	.2
13	مَنْ يَكُنْ أَبُوهُ حَذَّاءً تُجَدُّ نَعْلاه	.3
13	إِنَّ أخَا الْهَيْجَاءِ مَنْ يَسْعى مَعَكْ وَمَنْ يَضُرُّ نَفْسَهُ لِيَنْفَعَكْ	.4
13	مَنْ لَكَ بأَخِيكَ كُلِّهِ	.5
15	سَفِيهٌ لَمْ يَجِدْ مُسَافِهَا	.6
15	شَجَرٌ يَرِفُّ	.7
15	شُخْبٌ طَمَحَ	.8
16	شبعَانُ فِي يَدِهِ كِسْرَة	.9
16	شَيْخٌ يُعَلِّلُ نَفْسَهُ بالبَاطِلِ	.10
16	عَوْدٌ يُقَلَّحُ	.11
16	عيْرٌ بِعَيْرٍ وَزِيادَةُ عَشَرَةٍ	.12
16	عيْرٌ عَارَهُ وَتِدُهُ	.13
17	عنْزٌ بِهَا كلُ داءٍ	.14
19	لَيْتَ القِسِيَّ كُلَّهَا أرجُلاً	.15
20	كأنَّ عَلَى رُؤُوسِهِمُ الطَّيْرُ	.16
21	إنَّ الشَّقِيَّ وَافِدُ البَرَاجِمِ	.17
21	إنَّ اللَّيْلَ طَوِيلٌ وَأنْتَ مُقْمِر	.18
21	إنَّ الغَنِيَّ طَوِيلُ الذَّيْلِ مَيَّاسُ	.19
21	كأنَّهَا نَارُ الحُبَاحِبِ	.20
21	لَيْتَ حَظِّي منَ العُشْبِ خُوصُهُ	.21
24	عَسَى الْغُوَيْرُ أَبْؤُسًا	.22
27	ما عَلَى الأرْضِ شيء أَحَقُّ بِطُولِ سِجْن مِنْ لسَانٍ	.23

رقم الصفحة	المثل	الرقم
27	ما أنتِ نَجِيَّةٌ ولاَ سَبيَّة	.24
28	مَا كُلُّ بَيْضَاء شَحْمَةَ ولاَ كُلُّ سَوْدَاءَ تَمْرَةً	.25
30	لا عِلَّةَ لا عِلَّةَ هذه أَوْتَاد وَأَخِلَّةٌ	.26
30	لاَعَبَابَ وَلاَ أَبابَ	.27
31	لا عِتَاب بَعْدَ المَوْتِ	.28
31	لاَ رَأْيَ لِمَنْ لاَ يُطَاعُ	.29
31	لاَ مَالَ لِمَنْ لاَ رِفْقَ لَهُ	.30
31	لاَ أُمَّ لَكَ	.31
32	لا عِلَّةَ لا عِلَّةَ، هذه أَوْتَاد وَأَخِلَّةٌ	.32
33	لاَعَبَابَ وَلاَ أَبابَ	.33
34	كِلاَهُمَا وَتَمْرَاً	.34
34	كِلَيهِمَا وَتَمْرَاً	.35
34	الكِلاَبَ عَلَى البَقَرِ	.36
34	الجَارَ ثُم الدَّار	.37
37	الظِّبَاءَ عَلَى البَقَرِ	.38
37	أمْرَ مُبْكِيَاتِكِ لا أمْرَ مُضحِكَاتِكِ	.39
42	صَبْراً عَلَى مَجامِرِ الكِرَامِ	.40
42	صَبْراً وَإِنْ كانَ قَتْراً	.41
42	مَهْلاً فُواقَ نَاقَةٍ	.42
45	مَرَرْتُ بهِم الجَمّاءَ الغَفِير	.43
45	جاء القوم قَضُّهم بقضيضِهم	.44
45	ذهبوا أيدِيْ سَبأ، وتفرقوا أيدي سبأ	.45
48	ذَهَبُوا شَغَرَ بَغَرَ، وَشَذَرَ مَذَرَ، وَشِذَرَ مِذَرَ، وَخِذَعَ مِذَعَ	.46
49	أَصْبِحْ لَيْلُ	.47
49	أَطْرِقْ كَرَا إِنَّ النَّعَامةَ فِي الْقُرَى	.48
50	أَطْرِقْ كَرَا يُحْلَبْ لَكَ	.49

الرقم	المثل	رقم الصفحة
.50	افْتَدِ مَخْنُوقُ	50
.51	مَنْ يَكُنْ أبُوهُ حَذَّاءً تُجَدُّ نَعْلاَهُ	56
.52	مَنْ يَبْغ في الدِّين يَصْلَفُ	56
.53	مَنْ يَسْمَعْ يَخَلْ	56
.54	مَنْ يُرِ يَوْمَاً يُرَ بِهِ	56
.55	مَنْ يَرَ الزُّبْدَ يَخَلْهُ مِنْ لبَنٍ	57
.56	مَنْ يَجْتَمِعْ يَتَقَعْقَعْ عَمَدُهُ	57
.57	منْ يَمشِ يَرْضىَ بماَ رَكِبَ	57
.58	عَسَى الْغُوَيْرُ أَبْؤُسًا	61
.59	لَيْتَ القِسِيَّ كُلَّهَا أرجُلاً	64
.60	اليَوْمَ خَمرٌ وغَداً أمْرٌ	65
.61	جاء القوم قَضُّهم بقضيضِهم	67
.62	ذهبوا أيدِيْ سَبأ، وتفرقوا أيدي سبأ	67
.63	مَرَرْتُ بهِم الجَمّاءَ الغَفِيرَ	67
.64	أَصْبِحْ لَيْلُ	70
.65	أَطْرِقْ كَرَا إِنَّ النَّعامةَ فِي الْقُرَى	70
.66	أَطْرِقْ كَرَا يُحْلَبْ لَكَ	71
.67	شَرٌّ أَهَرَّ ذَا نَابٍ	75
.68	إن لا حَظِيَّةً فَلا أَلِيَّةً	75
.69	(قَدْ قِيلَ ذَلِكَ إنْ حَقَا وإنْ كَذِبًا)	75
.70	فِي الصَّيفِ ضَيَّعْتِ اللَّبَنَ	76
.71	اسْتَأصَلَ اللّهُ عَرْقاتَهُ	77
.72	باءَتْ عَرَارِ بِكَحْلَ	79
.73	اسْقِ رَقَاشِ إنَّها سَقَّايَة	79
.74	القَوْلُ مَا قَالتْ حَذامِ	79
.75	مَنْ دَخَلَ ظَفَارِ حَمَّرَ	80

رقم الصفحة	المثل	الرقم
82	أخاك أخاك إنّ مَن لا أخا له كساع إلى الهَيْجا بغير سلاح	.76
82	أهْلَكَ وَاللَّيْلَ	.77
83	مَازِ رَأْسَكَ والسَّيْفَ	.78
83	مَنْ يَسْمَعْ يَخَلْ	.79
84	"غُدَّةٌ كَغُدَّةِ البَعِيرِ وَمَوْتٌ في بيْتِ سَلُولِيَّةٍ"	.80
85	أَطَرباً وَأَنْتَ قِنَّسْرِيٌّ	.81
85	أَعِلَّةً وَبُخْلاً	.82
86	أَغَيْرَةً وَجُبْناً	.83
86	أَكِبْراً وَإمْعَاراً	.84
86	هُوَ مِنْي دَرَجَ السّيلِ	.85
86	هُوَ دَرْجَ يَدِكَ	.86
86	ذَهَبَ أَمْسِ بِمَا فِيهِ	.87
90	كارِهاً حَجَّ بَيْطَرُ	.88
90	كُرْهاً تَرْكَبُ الإبل السَّفَرَ	.89
90	كارهاً يَطْحَنُ كَيْسَانُ	.90
90	لِأَمْرٍ مَا يَسُودُ مَنْ يَسُودُ	.91
90	لأَمْرٍ مَا جَدَعَ قَصِيرٌ أَنْفَهُ	.92
90	ذَهَبُوا أَيْدِي سَبا وَتَفَرَّقُوا أَيْدِي سَبا	.93
91	أَطْرِقْ كَرَا إِنَّ النَّعَامةَ فِي الْقُرَى	.94
91	لِجْ مَالِ وَلَجتَ الرَّجَمَ	.95
91	أَطْرِقْ كَرَا يُحْلَبْ لَكَ	.96
92	مَازِ رَأْسَكَ والسَّيْفَ	.97
93	دُهْ دُرَّيْنِ سَعْدُ القَيْنُ	.98
93	سَرْعَانُ ذَا إِهَالَةً	.99
94	أَلَصُّ مِنْ شِظَاظٍ	.100
94	أَلَصُّ من سرحان	.101

الرقم	المثل	رقم الصفحة
.102	أَلَصُّ مِنْ فَأْرَةٍ	94
.103	أَلَصُّ مِنْ عَقِعقٍ	94
.104	"أزهى من ديك	94
.105	أشغل من ذات النحيين	94
.106	أَزْهَى مِنْ غُرَابٍ	94
.107	أَزْهَى مِنْ وَعِلٍ	95
.108	أَزْهَى مِنْ طَاوُسٍ	95
.109	أَزْهَى مِنْ ضَيْوَنٍ	95
.110	إنَّما يَجْزِي الفَتَى لَيْسَ الجَملُ	95
.111	مَا كُلُّ بَيْضاءَ شَحْمَةً ولاَ كُلُّ سَوْداءَ تَمْرَةً	95
.112	الذَّوْدُ إلىَ الذَّوْدِ إبِل	97
.113	تَسْمَعُ بالْمُعَيْدِيِّ خَيْرٌ مِنْ أنْ تَرَاهُ	98
.114	لاَ تَنْهَ عَنْ خُلُقٍ وتَأتي مِثْلَهُ	99
.115	زَاحِمْ بِعُودٍ أَوْ دعْ	100
.116	لَوْ ذاتُ سِوَارٍ لَطَمَتْنِي	102
.117	بِعَيْنٍ ما أَرَيَنَّكَ	103
.118	بِألَمٍ مَّا تُخْتَنَنَّ	103
.119	في عضَةٍ ما يَنْبُتَنَّ شَكِيرُهَا	103
.120	أَشْبَهُ بِهِ مِنَ التَّمْرَةِ بالتَّمْرَةِ	108
.121	أبِي يَغْزو، وأُمِّي تُحَدِّثُ	110
.122	تَجُوعُ الحُرَّةُ وَلاَ تَأكُلُ بِثَدْيَيْهَا	111
.123	عِشْ رَجَباً تَرَ عَجَبًا	113
.124	أشأَمُ مِن مَنْشِمَ	115
.125	إنْ يَبْغِ عَلَيْكَ قَوْمُكَ لاَ يَبْغِ عَلَيْكَ القَمَرُ	117
.126	منْ استَرْعَى الذِّئْبَ ظَلَمَ	118
.127	أنَا دُونَ هَذَا، وَفَوْقَ ما فِي نَفْسِكَ.	120

الرقم	المثل	رقم الصفحة
128.	إذَا صَاحَتِ الدَّجاجَةُ صِياحَ الدِّيكِ فَلْتُذْبَحْ	122
129.	إذا شَبِعَتِ الدَّقِيقَةُ لَحِسَت الجَلِيلَة.	123
130.	الحَرْبُ سِجَالُ	124
131.	مَقْتَلُ الرَّجُلِ بَيْنَ فَكَّيْهِ	125
132.	ماتَ وَهُوَ عَرِيضُ البِطَانِ	126
133.	ما يُعْوَى ولاَ يُنْبَحُ	127
134.	ما قَلَّ سُفَهاءُ قَوْمٍ إلاَ ذَلُّوا	128
135.	لاَ بُدَّ للفقيه من سَفِيه يُنَاضِلُ عنه	128
136.	مَتَى كانَ حُكْمُ اللهِ فِي كَرَبِ النَّخْلِ.	128
137.	عَرَفَ النَّخْلُ أَهْلَهُ	131
138.	كَمُسْتَبْضِعِ التَّمْرِ إلى هَجَرَ	132
139.	مَا كُلُّ بَيْضَاءَ شَحْمَةً، ولاَ كُلُّ سَوْدَاءَ تَمْرَةً	133
140.	التَّبْعُ يَقْرَعُ بَعْضُهُ بَعْضًا	135
141.	آكلُ لحمي ولا أدَعُهُ لآكل	136
142.	أتبع الفرسَ لجامها والناقةَ زمامها.	138
143.	إنمّا أكلتُ يومَ أُكلَ الثورُ الأبيضُ.	139
144.	لا ناقتي في هذا ولا جملي	140
145.	رجعَ بخُفيّ حُنين	141
146.	جوّعْ كلبك يتبعْك	142
147.	يَا عَمَّاهُ هل كُنْتَ أعْوَرَ قَطُّ	143
148.	إيَّاكُمْ وَخَضْرَاءَ الدِّمَنِ	145
149.	كلُّ شَاةٍ بِرِجْلِهَا مُعَلَّقَةٌ	146
150.	أَكَلْتُمْ تَمْرِي وَعَصَيْتُمْ أَمْرِي	148

ملحق (ج)

فهرس الأشعار

بيت الشعر		رقم الصفحة
إنَّ أَبَاهَا وَأَبَا أَبَاهَا	قَدْ بَلَغَا فِي الْمَجْدِ غَايَاتَاهَا	11
بِأَبِهِ اقْتَدَى عَدِيٌّ فِي الْكَرَمْ	وَمَنْ يُشَابِهْ أَبَهُ فَمَا ظَلَمْ	14
إذَا التف جُنْحُ الليلِ فَلْتَأتِ وَلْتَكُنْ	خُطَاكَ خِفَافَاً إنَّ حُرَّاسَنا أُسْداً	23
إنَّ العجوز خِبّةً جَرُوزَا	تأكل ما في مقعدها قفيزا	
كأنَّ أُذْنَيْهِ إذا تشَوَّفا	قادمةً ، أوْ قَلَماً مُحرَّفَا	
ألا يا لَيْتني حجراً بوَادٍ	أقام وليت أمي لم تلدني	
يا ليت أَيّام الصِّبا رَوَاجعا	....	
مرّت بنا سحراً طيرٌ فقلت لها	طوباك يا ليتني إياك طوباك	
أَكْثَرْتَ فِي الْعَذْلِ مُلِحًّا دَائِمَا	لا تُكْثِرَنْ إنِّي عَسَيْتُ صَائِما	26
فَأُبْتُ إلى فَهْمٍ وَمَا كِدْتُ آيِباً	وَكَمْ مِثْلِهَا فَارَقْتُهَا وَهْيَ تَصْفِرُ	
دِيارَ مَيَّةَ إذ مَيٌّ مُساعِفةٌ	ولا يَرى مثلَها عُجْمٌ ولا عَرَبُ	35
فأَرْسَلَهَا العِرَاكَ ولم يَذُدْهَا	ولم يُشْفِقْ على نَغَصِ الدِّخَالِ	47
أَتَتْني سُلَيْمٌ قَضّها بقَضِيضِها	تُمَسِّحُ حَوْلي بالبَقِيعِ سِبالَهَا	
وحتى يبيتَ القومُ في الصّفّ ليلةً	يقولونَ نوّرْ صبحُ، واللّيلُ عاتمُ	55
ولنْ تنتهوا حتى تكسّرَ بيننا	رِمَاحٌ بِأيْدِي شُجْعَةٍ وَقَوائمُ	
وحتى يبيتَ القومُ في الصّفّ ليلةً	يقولونَ نوّرْ صبحُ، واللّيلُ عاتمُ	
وقوفاً وراءَ الطّعنِ، والخيلُ تحتهمْ،	تشدّ على أكتافهنّ القوادم	
فقيل: تحمَّلْ فوق طوقك إنّها	مُطَبَّعة منْ يَأتها لا يضيرُها	57
عسى الكَرْبُ الذي أمسيتَ فيه	يكونُ وراءَهُ فَرَجٌ قَرِيبُ	62
عَسَى اللَّهُ يَغْنَى عَنْ بلادِ ابنِ قادِرٍ	بمُنْهَمِرٍ جَوْنِ الرَّبابِ سَكُوبِ	
فَأَمّا كَيّسٌ فَنَجَا وَلكنْ	عَسَى يَغْتَرُّ بِي حِمِقٌ لَئِيمُ	
أَكْثَرْتَ في العَذْلِ مُلِحّاً دَائِمَا	لاَ تُكْثِرَنْ إنَّي عَسَيْتُ صَائِمَا	63
فأُبْتُ إلى فهمٍ وما كدتُ آئِباً	وكَمْ مِثْلَها فَارَقْتُهَا وَهْيَ تَصْفُرُ	

بيت الشعر		رقم الصفحة
إذَا التــف جُــنْحُ الليــلِ فَلْتَــأتِ وَلْــتَكُنْ	خُطَــاكَ خِفَافَــاً إنَّ حُرَّاسَــنا أُسْــداً	64
إنَّ العجــوز خِبَّــةً جَــرُوزَا	تأكــل مــا فــي مقعــدها قفيــرا	
كــأنَّ أُذْنَيْــه إذا تــشَوَّفا	قادمــةً ، أوْ قَلَمــاً مُحرَّفَــا	
ألا يــا لَيْتَنــي حجــراً بــوَادٍ	أقــام وليــت أمــي لــم تلــدني	
يــا ليــت أيّــام الــصِّبا رَوَاجعــا	....	
ولا يكــون اســم زمــان خبــرا	عــن جثــة وإن يفــد فــأخبرا	66
وغَيْــرُ مُنْــدُوبٍ ومُــضْمَر ومــا	جــا مُــسْتَغَاثًا قــد يُعَــرَّى فاعْلَمــا	72
وَذَاكَ فــى اسْــمِ الجِــنْسِ وَالْمُــشَارِ لَــهْ	قَــلَّ وَمَــنْ يَمْنَعْــهُ فَانْــصُرْ عَاذِلَــهْ	
قَــدْ قِيــلَ ذَلــكَ إنْ حَقــاً وإنْ كَــذِباً	فَمَــا اعْتِــذَارُكَ عَــنْ شَــيءٍ إذا قِــيلاَ	75
إذَا قَالَــتْ حَــذَام فَــصَدَّقُوهَا	فَــإنَّ القَــوْلَ مَــا قَالَــتْ حَــذَامِ	80
إذَا قَالَــتْ حَــذَام فَــصَدَّقُوهَا	فَــإنَّ القَــوْلَ مَــا قَالَــتْ حَــذَامِ	82
لَقَــدْ رَأَيْــتُ عَجَبــاً مــذْ أَمْــسَا	عَجَــائِزًا مِثْــلَ الــسّعَالَى خَمْــسَا	87
فَيَــا لَــكَ مِــنْ دَارٍ تَحَمَّــلَ أَهْلُهــا	أَيَــادِي سَــبَا بَعْــدِي وطَــالَ احْتِيالُهــا	91
وإذا أُقرِضْــتَ قَرْضــاً فــاجْزِه	إنّمــا يَجْــزِي الفَتَــى غيــرُ الجَمَــلْ	95
ألاَ أَيُّهــذا الزاجــري أَحــضرَ الــوغى	وأَنْ أَشْــهَدَ اللــذاتِ هَــلْ أَنْــتَ مُخْلِــدِي	98
فَلَــمْ أَرَ مِنْهَــا خُباسَــةَ وَاحِــدٍ	وَنَهْنَهْــتُ نَفْــسِي بَعْــدَ مَــا كِــدْتُ أَفْعَلَــهْ	98
أَلَــمْ أكُ جَــارَكُمْ وتكــونَ بينــي	وبيــنكُم المَــوَدَّةُ والإِخَــاءُ	100
قَتَلْــتُ بِعَبْــدِ اللَّــهِ خَيْــرَ لِدَاتِــهِ	ذُؤابــاً فَلَــمْ أَفْخَــرْ بــذاك وأَجْزَعَــا	100
سَــأَلَتَانِي الطَّــلاَقَ أَنْ رَأَتَــانِي	قَــلَّ مــالي قــد جِئْتُمَــانِي بنُكــرِ	101
وَيْ كَــأَنْ مَــنْ يَكُــنْ لــه نَــشَبٌ يُحَبَّــبْ	وَمَــنْ يَفْتَقِــر يَعِــشْ عَــيْشَ ضُــرِّ	
لَــوْ غَيْــرُكُمْ عَلِــقَ الزُّبيــرُ بِحَبْلِــهِ	أَدَى الجِــوَارَ إلــى بَنِــي الْعَــوَّامِ	102
تَــدَارَكْتُما عَبْــساً وذُبْيَــانَ بَعْــدَمَا	تَفَــانَوْا ودَقُّــوا بَيْــنَهُمْ عِطْــرَ مَنْــشِمِ	116
أرى شــاعِرًا لاَ شَــاعِرَ اليَــوْمَ مِثْلُــه	جَرِيــرٌ ، ولَكِــنْ فِــي كُلَيْــبٍ تَوَاضُــعُ	129
أقُــولُ وَلَــمْ أمْلِــكْ بــوَادرَ دَمْعَتِــي	مَتَــى كَــانَ حُكْــمُ الله فِــي كَــرَبِ النَّخْــلِ؟	129
ألاَ إنَّمَــا تحظَــى كُلَيْــب بــشعرها	وبالمجــد تحظَــى دارمٌ والأقــارع	
أَنــا الــصلتان وَالَّــذِي قــد علمْــتُم	منــي مَــا يحكــم فَهُــوَ بــالحكم صــادع	

بيت الشعر		رقم الصفحة
أَتَتْنِي تميمٌ حِين هابت قضاتها	وَإِنِّي لبالفصل الْمُبين قَاطع	129
قَضَاء امرئٍ لَا يَتَّقِي الشتم مِنْهُم	وَلَيْسَ لَهُ فِي الْحَمد مِنْهُم مَنَافِع	
وَلم يرجع الْأَعْشَى قَضِيَّة جَعْفَر	وَلَيْسَ لحكمي آخر الدَّهْر رَاجع	
فَإِن يَك بَحر الحنظليين وَاحِدًا	فَمَا يَسْتَوِي حيتانه والضفادع	
وَمَا يَسْتَوِي صدر الْقَنَاة وزجها	وَمَا يَسْتَوِي شم الذرا والأجارع	
فيا شَاعِرًا لَا شَاعِر الْيَوْم مثله	جريرٌ وَلَكِن فِي كُلَيْب تواضع	
وَيرْفَع من شعر الفرزدق أَنه	لَهُ باذخ لذِي الخسيسة رَافع	
يناشدني النَّصْر الفرزدق بَعْدَمَا	ألحت عَلَيْهِ من جريرٍ صواقع	
أقُولُ وَلَمْ أمْلِكْ بوَادرَ دَمْعَتِي	مَتَى كَانَ حُكْمُ الله فِي كَرَبِ النَّخْلِ؟	131
لا أذبحُ النازيَ الشبوبَ ولا	أسلخُ يومَ المُقامةِ العُنُقا	137

Abstract

Migdadi, Sadam Hail Hassan. The Linguistic and Pragmatic Analysis of Proverbs in Arabic. Ph.D. Thesis, Yarmouk University. (2013). Supervisor: Proff. Sameer shrief Istetieh.

The linguistic and pragmatic analysis of Arabic proverbs have not been talked in depth interms of its linguistic and pragmatic analysis. So, the researcher in this study attempted to analyze Arabic proverbs. Linguistically and pragmatically, taking into consideration Al-Maidani's collection of Arabic proverbs as a model for the study. The study is based on two dimension; the structural and the residual of their proverbs. In there as, pragmatic analysis is based on linking the proverbs with their circumstances and conditions to find out their semantic indication.

This study consists of on introduction, a preface, three chapters and a conclusion. The first chapter studies the historical stages in which the Arabic proverbs went through and therefore, the meaning beyond its constituents which make up the overall meaning of the proverb. Then, referring to the linguistic residuals in the proverbs and finally relating there historical stages with the role of pragmatics in interpreting a proverb in the way that we received it now.

However, the second chapter studies syntactic issues in proverbs by considering the proverb statement which constitutes the proverb .The study has discussed two aspects; the first studies the structure of the proverb concerning its extraordinary syntactic measurements and showing the syntactic points of view about this issue, the second presents the proverbs that contributed in its structure to support some syntactic rules as their structures have a good proof to the correctors as the rule.

The third chapter explains the pragmatic indication in Arabic proverbs by concentrating on the proverb's circumstances. Then

interpreting the proverb pragmatically in a way that corresponds to its circumstances.

I ended the study with a conclusion that included the most important results which the study has pointed out.

Keywords: Residuals pragmatics, Arabic structure, circumstances, Proverb.